

تاریخ النصاری فی الاندلس

دكتور عبادة كحيلة



تاريخ النصارى في الأندلس

دكتور عبادة كحيل

أستاذ مساعد

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

الطبعة الأولى

١٩٩٣

حقوق النشر محفوظة للمؤلف

الغلاف هدية من المكتبة شريفة عامر

إهداء
إلى وكدي .. أذهم وأرؤى ..
في رحلة الزمن الردئ ..

1. 1

2. 2

3. 3

4. 4

5. 5

6. 6

7. 7

8. 8

9. 9

10. 10

11. 11

12. 12

13. 13

14. 14

15. 15

16. 16

17. 17

18. 18

19. 19

20. 20

21. 21

22. 22

23. 23

24. 24

25. 25

26. 26

27. 27

28. 28

29. 29

30. 30

31. 31

32. 32

33. 33

34. 34

35. 35

36. 36

37. 37

38. 38

39. 39

40. 40

41. 41

42. 42

43. 43

44. 44

45. 45

46. 46

47. 47

48. 48

49. 49

50. 50

51. 51

52. 52

53. 53

54. 54

55. 55

56. 56

57. 57

58. 58

59. 59

60. 60

61. 61

62. 62

63. 63

64. 64

65. 65

66. 66

67. 67

68. 68

69. 69

70. 70

71. 71

72. 72

73. 73

74. 74

75. 75

76. 76

77. 77

78. 78

79. 79

80. 80

81. 81

82. 82

83. 83

84. 84

85. 85

86. 86

87. 87

88. 88

89. 89

90. 90

91. 91

92. 92

93. 93

94. 94

95. 95

96. 96

97. 97

98. 98

99. 99

100. 100

فهرست

الصفحة

٧

مقدمة

الباب الأول

عناصر المجتمع في إسبانيا بعد الفتح الإسلامي

تمهيد : عناصر المجتمع في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي ١١

الفصل الأول : عناصر المجتمع في الأندلس ١٧

الفصل الثاني : عناصر المجتمع في إسبانيا النصرانية ٥٧

الباب الثاني

الحياة الخاصة للجماعة النصرانية بالأندلس

الفصل الثالث : التصاري وتنظيماتهم الإدارية والدينية ٧٧

الفصل الرابع : التصاري وحياتهم الاجتماعية ١٠١

الفصل الخامس : التصاري وحياتهم الثقافية ١١٥

الباب الثالث

الحياة العامة للجماعة النصرانية بالأندلس

الفصل السادس : صلات التصاري بالدولة والمجتمع الإسلامي بالأندلس ١٤١

الفصل السابع : التأثيرات الاجتماعية والثقافية والدينية بين

التصاري والمسلمين ١٧١

الباب الرابع

نصارى الأندلس ودورهم في الحركات المناهضة للدولة

١٩٧	تمهيد :
١٩٩	الفصل الثامن : حركة شهداء قرطبة النصارى
٢١٣	الفصل التاسع : النصارى والفتنة الكبرى
٢٣٩	الفصل العاشر : نصارى الأندلس والصراع بين المسلمين وبين ممالك إسبانيا النصرانية
٢٤٩	خاتمة
٢٥٣	جداول وخرائط
٢٥٩	المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الأدب... ..

لا أرى متى أحببت الأدب، ومتى صار لهذا الاسم وقع خاص في نفسي ما أفرقه إن هذا الحب يعود إلى سنوات بعيدة في عهد الصبا، حين كانت الدنيا خضراء، تعبق بأكام خضراء. تملأ سنوات وسنوات، ويتنامى هذا الحب، ليتحول في كتاب دعوته "صقر قریش" ويتحول أيضاً في كتاب دعوته "الندى". وأزعم أن الأدب، مثلما كانت حبى في أيام الشباب، فهي أيضاً حبى وقد ذهب الشباب. بعد سنوات عديدة من النسيان، أو تعدد التسميات، نهضت الدراسات الأدبية في أوروبا، وتصدى لهذه النهضة في مطلع القرن الماضي أجيال من المستشرقين - إسبانياً وغير إسبانياً. ومع ما كان يكتنف هذه النهضة من غرض، إلا أنها أعادت على كنف بعض ما كان مخبواً من تراث الأدب، كما هيأت حافزاً لأجيال من العرب كي يلجوا إلى ميدان غاب عنهم أو غابوا عنه منذ بعيد. توافر على الدراسات الأدبية من جيل الرواد عدة من علامات الأجلاء، يذكرون فيشكرون، على أن غالب من أتى بعدهم، تطرقوا إلى موضوعات تقليدية بمناهج تقليدية، وغادروا كما غادر الشعراء من متركهم. وموضوع النصارى المعاصرين - أو المستشرقين - موضوع حقيق بالدراسة، من حيث أنه موضوع خلاقى، ونحن نحوج إلى أن نرتاد مواقع

الخلافاً في تاريخنا، وأن نشك في بعض ما تعتقد أنه من التراث.. هذا إذا شئنا نهضة حقيقية في زمان التردى الذى نعيشه.

وقد سيقنا إلى دراسة هذا الموضوع مؤرخون إسبان، أشهرهم سيمونيت F.J. Simonet ، ولما كان هؤلاء يصرون فيما يكتبون عن منازع وأهراء عرقية ودينية وتصورات قديمة، صار ملحاً أن نعبر عن وجهة نظر تفارق وجهتهم، ولاتفارق حقاً رأيناها فلتبناه.

وها نحن نحاول أن نتقصى ما كانت عليه الحال في جنة منالمة (أو جنة أضناها)، فنستهل هذا الكتاب بتحديد الصورة العامة للمجتمع الأندلسي (والإسباني) وعناصره الأصيلة والوالدة، ونشئ بالحديث عن الجماعة النصرانية من داخلها، ثم الجماعة النصرانية من خارجها، وننتهي بالحديث عن دور هذه الجماعة (أو بعض هذه الجماعة) في مناهضة التولية والمجتمع الإسلامي بالأندلس.

وفى نهاية البداية يصور لشكر لأستاذين جليلين وقاء بحق وفنضل وسبق وعلم وخلق.

الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور، أسبق عليه تعالى من فيض رحمته، ولما كانه فسيح جناته، والأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم، آمد تعالى في عمره، وأعلى من مثأله وفنره.

ومن قبل ومن بعد يصور لشكر لله فريضة لازمة، وثنياً واجب الأداء، وهو المؤلف والمستعان.

أبو آدم

الهرم، الجيزة في غرة المحرم ١٤١٣ هـ شهادة بن عبد الرحمن رضا كحيلة
٢٦ من يوليو (حزيران) ١٩٩٣.

الباب الأول

عناصر المجتمع في إسبانيا بعد الفتح الإسلامي

تمهيد : عناصر المجتمع في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي.

الفصل الأول : عناصر المجتمع في الأندلس.

الفصل الثاني : عناصر المجتمع في إسبانيا النصرانية.

•

•

•

•

الباب الأول

عناصر المجتمع في إسبانيا بعد الفتح الإسلامي

تمهيد :

كانت إسبانيا عند مقدم المسلمين في سنة ٩٢/٧١١م في حال سيئة، وكانت هناك خمس طبقات إجتماعية: هي النبلاء، رجال الدين، الأحرار، الألقاب والعبيد، اليهود.

كان النبلاء^(١) في معظمهم من القوط، وكثفوا بشكلهم مع رجال الدين لطبقات العليا Clases Elevadas^(٢) وقد حازوا ضياعاً واسعة Latifundia، Villae، ولت إليهم ثلثا الحيازات الرومانية Fundi بينما احتفظ الرومان بالثقل^(٣)، وصنعوا إلى جانب ذلك بامتيازات قضائية، وشاركوا في عضوية مجمع طليطلة Toledo اثنين والمجلس الملكي Aulia Regia^(٤).

ومع أنه كان من حق الذين يرجعون إلى أسر غير عريقة، أن يرتفعوا إلى درجة النبالة، إذا تظاهروا مواهب معينة، فإن الاستقرارية بدت في أواخر القرن السابع وروثة^(٥).

(١) Seniores، ويدعون أيضاً Proceres، Príncipes، Maiores.

(2) Montgomery Watt, W.A. history of Islamic Spain. Edinburgh Univ press, 1967. p. 10.

(3) Livermore, H.V: The origins of Spain and Portugal, London, Allen & Unwin, 1971. p.140.

(4) O' Callaghan, J.f.: A history of medieval Spain. Cornell univ press. 1975. pp. 60-63.

(5) Ibid. p 73.

كان ملوك القوط ينتخبون من بين النبلاء، وبعد هذا النظام من أسباب القوضى العامة في البلاد، وحاولت الكنيسة حل هذه المشكلة فأعلنت أن ذات الملك مصونة لاتمس، كما سعى بعض الملوك إلى الأخذ بمبدأ الوراثة، على أن ذلك لم يجد شيئاً^(١)، وإذا كان فامبا Wamba قد تقلد السلطة في سنة ٦٧٢ على غير إرادته، فإنه في سنة ٦٨٠ أرغم على النزول عن العرش لصالح إرفيج Brwigius^(٢). أما رجال الدين، فقد أعطيت أراضيهم من أداء الضرائب، وتوجهت إلى إرهابهم للمسرف على الكنائس وطلب آخر الحاجات الأسقف، والتفت الأخير لمن هم دونه، كما كان للكنيسة دخلها من العشور والهباء، وتشارت قرارات المجامع إلى أن تقلت الخبايا بالصرف على الكنائس كان غالباً ما يتلقى في مصارف أخرى^(٣).

ولما اعتنق ريكارينو Recarado المذهب الكاثوليكي في سنة ٥٨٧م ازدادت سيطرة الكنيسة، وتخلت على نحو سيء في الصراعات على العرش، وشارك بكيل Julian مطران طليطلة في عزل فامبا سنة ٦٨٠، الأمر الذي جعل عدداً من المؤرخين المحدثين إلى اتهامه بالخيانة والغدر، وإلى وصف الدولة بأنها دولة يمتطيها القساوسة^(٤).

ثم تكن أوضاع الكنيسة الداخلية خالية في الوقت نفسه من التصرفات المعينة، فالقوانين المتتابعة التي صدر بخصوص عزوبة رجال الدين، تعلى أنها كانت مشكلة دائمة^(٥)، كما أن القرارات المتتابعة لمجامع طليطلة تدل على أنه مازالت توجد معائل للرثية في معظم أنحاء إسبانيا^(٦).

(1) Ibid. pp. 48-49.

(2) Murphy: F.X : Julian of Toledo and the fall of the Visigothic Kingdom in Spain. *Speculum*. Vol. XXVII, n.1, January, 1952, pp 1-2.

(3) O' Callaghan: Op cit p.79.

(4) Murphy: Op cit pp. 2 - 3.

(5) O' Callaghan: Loc cit .

(6) King, P.D: Law and Society in the Visigothic Kingdom, Cambridge university press 1972 p. 147.

وكان الأحرار *ingenui*^(١) تفصلهم عن التبتلاء هوة واسعة، وكان الحرفيون والتجار منهم - وتجمعهم نقابات مهنية *Collegia* - يعانون من المضرائب المجحفة، مما جعل عدداً كبيراً منهم على الهرب إلى الريف^(٢).

وكان في الريف في الحقبة الرومانية حيازات صغيرة كثيرة، لم تلبث أن أصبحت في الضياع الكبيرة، لدى مقدم القوط، حيث أن ملكها شعروا بحاجة إلى الحماية إزاء تيار القوضى العام الذى اجتاح البلاد، فغزل بعضهم عن ملكياتهم وأجلوها اليهم، وأضحوا مجرد مستأجرين لها، وعرفوا باسم المحميين *Buccellarii*^(٣)، وكان ليولاء الحرية في أن يتركوا خدمة السيد إلى سيد آخر، ولكن كان عليهم أولاً أن يعيدوا إليه الأرض التى منحها لهم^(٤). على أن عامة سكان الريف كانوا من الأفنان *Coloni* والعميد *Servi*، ولم يكن للآن حرية الحركة، وعليه أن يدفع ضريبة الرأس *Capitatio*^(٥)، وأمس له أن يتزوج دون مراقبة سيده، فإذا فعل فصلت عنه زوجته، وعلمنا أن يتزوج بسيدة من ضريبة غير ضميمته تقسم الثرية بين الضيعتين^(٦). جرى العرف على لئلا الأفنان في الجيش، حتى فاق عددهم في أواخر القرن السابع عند الأحرار، وأضحى واجب الدفاع عن لوطن يعهد به إلى جنود يؤثرون التواطؤ مع العدو في الحرب، لا أن يدافعوا عن ظالمهم^(٧).

(١) ويدعون أيضاً *Inferiores*, *Miseros*

(2) Cf. Callaghan: Op cit pp.73-74..

(3) Ibid. pp : 30-31..

(4) King: op cit p. 187.

(5) Ibid. p : 161..

(6) Dozy: Spanish Islam, Trans by F.G. Stokes, London, Frank Cass, 1972. p. 226.

(7) Ibid. pp. 228-229.

لما العبيد فقد ازداد عددهم زيادةً كبيرةً في القرن السابع، بعد أن دخل فيهم عدد من الإقنات^(١)، وأكبر دليل على سوء أحوالهم، ما صدر من قوانين كثيرة ضد الإقنات والعبيد الأيقن^(٢)، ولم تسع الكنيسة إلى حل مشكلة العبيد، بل كانت تحثهم على طاعة أسيادهم^(٣)، وكان موقفها في عهد الهرطقة الأريوسية^(٤) أفضل من موقفها فيما بعد، عندما أعلنت الكاثوليكية عقيدة رسمية، وألّت إلى الكنيسة ضياع كثيرة يعمل بها عدد كبير من العبيد. وكان العبد لدى تحريره يسمّى محققاً Libertus، لكن حاله لم تكن تختلف كثيراً عن حاله السابق، وليس له حق الشهادة ضد حراً، وإذا تزوج رقيقاً صار أولاده رقيقاً، وغالباً ما كان يخضع لعملية سيده السابق، وتوضع قرارات المجمع أن معنّى الكنيسة ما زالوا مرتبطون بالأرض التي تشاروا بها عبداً^(٥).

ولما كان القوط عند قدومهم يدينون بالأريوسية وسمّوا شعب من الكاثوليك، فإنهم سمحوا لليهود بحرية العقيدة، ولم يتدخلوا في حياتهم الخاصة، وتركهم ينظّمون أمورهم وفق تقاليدهم وقوانينهم^(٦).

وعندما أعلن ريكاريو الكاثوليكية مذهباً رسمياً للبلاد في سنة ٥٨٧ تعرض اليهود لحملة متصلة من الانسلاط، وصلت إلى ذروتها في أواخر

(1) King: op cit pp. 160-161.

(2) Dozy: op cit p. 228.

(3) رسالة بطرس الأولى لصحاح ٢ آية ١٨، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس

لصحاح ٦ آية ٥-٧.

(4) نسبة إلى أريوس وهو كاهن من الاسكندرية، عاش في القرن الرابع وذهب

إلى ترويج قنাসوت في المسيح على اللاهوت.

(5) Livermore: op cit p. 227.

(6) Grayzel, S. A history of the Jews. Jewish publication society of America, 1968. p. 267.

القرن السابع، ففي المجمع الثاني عشر سنة ٦٨١ تقرر مصادرة كل من لا يتنصر من اليهود وتمنيبه ونفيه، وتطبيق هذه الجزاءات على الذين يستنون، ولا يتركون الطقوس اليهودية^(١).

وفي المجمع السادس عشر سنة ٦٩٣ أمر إبيكا Egica بأن يبيع اليهود بأسعار يحددها لهم الملك عبيدهم وعقارهم وأرضيهم وكرومهم، ومنوعقت عليهم الضرائب، ولما راجت شائعات بأن اليهود يتآمرون مع من هم وراء البحر Los Transmarinos (الغرب ؟) سارع إبيكا فعقد المجمع السابع عشر في العام التالي، وألهمهم بالخيلة وأعطتهم عبيداً وصنادير لملاكهم، وأمر بأن يؤخذ منهم أطفالهم لينشأوا مع النصارى ويتزوجوا معهم. وإزاء ذلك اضططر عدد من اليهود إلى الهرب من البلاد، ولم يسترقاق الباقين^(٢).

كانت تلك صورة عامة للمجتمع الأسباني بملحقه كافة في عهده القوطي، ومنها يتضح أن هذه الطبقات كانت طبقات متفككة Estate^(٣) فلم يوجد حراك اجتماعي Social Mobility^(٤) بمعنى أن كل طبقة من هذه الطبقات كان لها عالمها الخاص بها، وليس لها أن تتجاوز، ثم إن القوط أنفسهم عاشوا بمعزل عن أهل البلاد، وتؤكد الاكتشاف الأثرية الحديثة أن معظم للتتركز القوطي كان في شمال لتقسم الأوسط من الميسيتا Meseta

(1) Encyclopaedia Judaica, Jerusalem, Keter Publishing house, 1974, Vol. XV, p. 220.

(2) Poliakov, L: The history of Anti-Semitism. London, R.K.P. Vol. II p. 17.

(3) راجع بخصوص شريف طبقة المتفككة. محمد عاطف عيث: قاموس علم

الاجتماع، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ١٦٦.

(4) إبراهيم بيومي منكور: معجم الطرم الاجتماعية. القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،

١٩٧٥، ص ١٢١، قاموس علم الاجتماع، ص ٤٢٧-٤٢٨.

الإسبانية، أي ما يعرف اليوم بـ *Castilla la Vieja* القديمة ولم ينتشروا في سائر شبه الجزيرة^(١).

يُكمل بهذا كله ما ورثه القوط من الرومان من أوضاع اقتصادية سيئة، زادوها هم سوءاً، فكانوا يختصمون أبناء الشعب الإسباني بمعظم الضرائب، فضلاً عن السفرة *Munera* ، ولم يكن القوط يميزون بين الملكية الخاصة بالملك وبين الملكية العامة^(٢).

إذا أضفنا إلى ذلك ما كان يسود البلاد من فساد وفتن في الداخل، وحروب متصلة في الخارج، أدركنا إلى أي مدى كانت تعاني إسبانيا. بذلت محاولات من جانب الملوك القوط نحو الإصلاح، وكانت ترمي نحو توحيد العقيدة والقانون والتزواج مع الرومان، على أن هذه المحاولات جاءت متأخرة، وكانت تحتاج لعنة ملين حتى يتحقق أثرها.

ويذهب البعض إلى أن القوط لم يكتروا شيئاً في يوم من الأيام^(٣)، بل كانوا مصدرراً للثروات، التي حلفت بإسبانيا على سر العصور^(٤)، وإذا كان للفرق بين الإسبان وبين القوط سبباً في هزيمة الأواخر في فوييه *Vonille* أمام الفرنجة سنة ٥٠٧ م، فإنه كان أيضاً سبباً في هزيمتهم أمام العرب في سنة ٧١١ م، وبدا الأمر لدى مقدم هؤلاء كأنه ثورة شعبية عند حكام أجايب^(٥).

(1) Kings: op cit. P. 205.

(2) O' Callaghan: Op cit pg.68-69..

(3) Castro, A: The structure of Spanish history. trans by L. King. Princeton, 1954 p. 62.

(4) O' Callaghan: Op cit pg. 17-18..

(٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩.

الفصل الأول

عناصر المجتمع في الأندلس

انقسم المجتمع في الأندلس إلى سبعة عناصر، هي العرب، البربر، الموالى، المولدون، النصارى المعاهدون، اليهود، والعبيد.

١ - العرب :

دخلوا في هيئة ملوألح ، قاد أولها موسى بن نصير، في سنة ٩٢هـ/٧١٢م ، وبشكل القسم الثاني من جنود القنص، وتحدث معظم المصادر عندها بعشرة آلاف^(١)، وبعضها البعض بنمائية عشر ألفاً^(٢). ولما ولي الحر بن عبد الرحمن الثقفي في سنة ٩٧هـ/٧١٦م صاحب طائفة ثانية، يبلغ عندها أربعائة من وجوه أهل إفريقية^(٣).

على أن أهم طوائع الأندلس هي طائفة بلج بن بشر القُشَيْرِي في سنة ١٢٣هـ/٧٤١م، فقد انتجأ بعض العرب ، بعد أن هزمهم البربر في ثورتهم

(١) لولدي في نظري: تاريخ قرطبة والمولود. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م. ج١ ص٤٨١، قرطبي في المعري: فتح القليب. القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١٣٠٢هـ. ج١ ص١٣.

(٢) لبلال مجموعة في فتح الأندلس. نشر الأوريشي: لكتنرا. موبيل: ١٨٦٧م. ص١٥، المعري: فتح القليب ج١ ص١٢٦.

(٣) قرطبي في المعري: فتح القليب ج٢ ص٥٦، ابن عذاري: البيان المغرب، تطبق ليلي بروفيسال، بيروت، دار الثقافة دت، ج٢ ص٢٥ .

الكبرى^(١) إلى سينة، حيث أرسلوا إلى عبد الملك بن قطن القهري وإلى الأندلس، يستجدون به، فأوجس منهم خيفة. ولما اقتدى بربر الأندلس ببربر العدو، وقللوا على العرب سمح لهم بالعبور، وشروط عليهم الرجوع بعد سنة، وقد نجح العرب في التمسك للبربر، وهزيمتهم بوادي ميظط Guazalete قرب طليطلة، على أن ما كان يخشاه ابن قطن حدث، فثارعه بلج وأصحابه، وانزعوا منه الولاية وقتلوه^(٢).

كانت الطالبة التي قادها بلج تضم نحو عشرة آلاف، بينهم ألفان من الموالي^(٣) كما تضم قسبة ويمتدة، على أن الطابع القيسي كان يغلب على جندي دمشق وقصرين^(٤).

وآخر الطوابع العربية بالأندلس هي الطالبة التي قادها أبو الخنثار حسام بن ضرار الكلبي، الذي قدم سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، ومعه فريق من الشامين، عندهم ثلاثون رجلاً^(٥).

لم تنقطع هجرات العرب إلى الأندلس، وتستقل على تلك من قوائم الغزاة في كتب الملبقات، ومما يجدر ملاحظته أن الأسرة الأموية، كانت

(١) بخصوص هذه الثورة راجع: حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ١٦١ وما بعدها وكذا إعادة كتابة: سفر قريش - القاهرة، دار الكتب العربي، ١٩٦٨م. الفصل الثاني.

(٢) أخبار مجموعة ص ٤٠-٤٦، ابن عذاري: البيان للمغرب ج ٢ ص ٢٠-٢١.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتب الإسلامية ١٩٨٢م ص ٤٠.

(٤) راجع في هذا الشأن: أخبار مجموعة ص ٤٤، ٥٦، ٦٥، ٨٣، ١٠٢، ابن عذاري: البيان للمغرب ج ٢ ص ٤٦، ابن حيان: المقابس ص ٣، نشر أثرياً، باريس ١٩٣٧م ص ٩، القنبري: كتاب شيدان - لندن، بريل ١٨٩١م. ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٢.

تشجع هذه الهجرة، وبخاصة من ينشئون إلى قرطش، وإذا كانت هذه السياسة قد تغيرت فيما بعد، بسبب الفتن التي أثارها العرب، فإنها لم تثبت أن عاودتها في عهد عبد الرحمن الداخل ٣٠٠هـ/٩١٢م - ٣٥٠هـ/٩٦١م وولده الحكم الميمون ٣٥٠هـ/٩٦١م - ٣٦٦هـ/٩٧٦م^(١)، عندما استقرت الأحوال، ولم يعد العرب يمتأقون من سلطة الدولة.

لم يلتزم العرب منطقة واحدة يقيمون فيها - كما كان شأن القوط - وإنما انتشروا في أنحاء البلاد جميعها، وأعلمهم على ذلك التشابه الواقع بينها وبين جزيرتهم العربية^(٢). على أن الوجود العربي تكشف في مناطق معينة، وبخاصة في المدن الواقعة على الوديان قرب الأراضي الخصبة مثل الوادي الكبير^(٣)، Guadquivir.

انقسم العرب كعدهم أيضاً حلوا إلى قيسية ويمتية، وهما قبيلتان العربيان الكبيران، وكان قرطش مكنة خاصة بين قبائل العرب، ولها نقيب من بني أمية، عاصر ابن حزم أحدهم في أولسب القرن الخامس الهجري^(٤)، ودعى بنو أمية بالشرقاء^(٥)، وأحياناً بالقرشيين^(٦).

(١) راجع على سبيل المثال، ابن حزم: جيرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦م، ص ٣٦، ٣٤، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨.

(٢) جمال حمدان: بين أوروبا وآسيا، دراسة في التطور الجغرافية، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٢م ص ٨٠.

(٣) Lévi-Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane Louvain, Brill, 1950, Vol.3 pp. 83-84.

(٤) جيرة أنساب العرب، ص ٩٢.

(٥) ابن سعد: القلوب. تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م ج ١ ص ٨٧، ص ١١٩.

(٦) ابن علق في المعرى: تاريخ الطوب ج ١ ص ١٣٦.

كان للقبيلة أكثر العرب اتصالاً بأهل البلاد، ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم أعرق في الحضارة التي عاشوها في بلاد اليمن وتخوم الشام والعراق^(١). كما أن الهزائم في معظم الفتن التي قاموا بها منذ القيسية أوجدت للدولة، جعلهم ينصرفون إلى الريف، وأنحس دورهم كأجداد ثانياً قياساً بالقبيلة، وفيما بعد نجد أن معظم من انتسب من أهل الأندلس إلى العرب لو والأهم حمل لقباً يمنية.

لما للقبيلة وأهلهم أجداد شامية، فلم تكن صلاتهم بأهل البلاد وثيقة، كما غلب عليهم البدو، وكان معظم عرب كورة فييرة الذين شاركوا إبان الفتنة الكبرى قيسية^(٢).

كذلك تقسم العرب إلى بلدية وشامية، والبلدية تضم العناصر العربية التي قادها موسى بن نصير، أي العرب القماماء، وكثرتهم يمنية ومنجية (فييرة) ويورد ذكرهم لأول مرة في الحرب بين العرب وبين البربر بوادي سليمان^(٣). أما قشامية فهم العرب الذين قادهم بلج بن بشر، وكان للقبيلة أطوارهم، وإن لم يكونوا لكثرتهم، وكانت بين الحيين عدواة، تعود إلى معركة الحرة سنة ٦٨٢هـ/٦٨٢م، التي خربت فيها المدينة المنورة.

ولما قدم أبو الخطاب لأقصى في سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م وزع الشاميون في الكور، فأول جند دمشق فييرة، وجند الأردن رية rejio وجند حمص إشتييلة

(١) ابن خلدون : المقدمة، تحقيق علي عبد الوليد وآل، القاهرة، لجنة هيدان العربي، ١٩٥٧، ج ٢، ص ٤٢٩-٤٢٧.

(٢) وهي الفترة التي شاركت فيها عناصر المجتمع الأندلسي جميعها، ودانت نحو مئين عاماً من أوايط عهد الأخير محمد إلى فشل دولة عبد الرحمن القاصر، وتحدث عنها تفصيلاً في الفصل التاسع.

(٣) أخبار مجموعة ص ٤٠.

Sevilla، وجند فلسطين شذونة Modina Sidonia وجند قيسرين جيلان Jaen
وجند مصر باجة Beja وتكمير Tadmir وأطلق العرب الشاميون على المدن
التي تزلوها أسماء مدنها الأصلية^(١).

أصبحت هذه الأجناد عصب الجيش الأندلسي، منذ قيام الإمارة الأموية
سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م، حتى عصر المتصور بن أبي عامر ٣٦٨هـ/٩٧٨م -
٣٩٢/١٠٠٢م، لأن الشاميين هم الذين تهيضوا بهذا الجيش، ولدى تفرقهم في
الكر، صار لهم ثلث أملاك من تزلوا بأرضهم من أهل الأندلس، وصار عليهم
أن يقتلوا ثلثيهم أو يبيعوا أو يهدموا أو يسلوا، وكان عطاء الجندي عشرة دنانير
عن كل غزوة، أما الأسير فمعتلوه مائتا دينار، وكان الشاميون يعقون من
العشر.

وقد أعتت للبلدية ألبية خاصة بهم، وكان رؤسلاهم - وخدمهم - هم
الذين يعطون، في حين كان يقتضى للمقاتلة بالقتال وخدماء، وكان البلديون
يؤتون عشر عن أرضهم^(٢).

وإذا كانت الأقطار الإسلامية شهدت في عصورها الأولى صراعات
بين القيسية واليمينية، فقد ساد هذا الوضع أيضاً في الأندلس، لكن هذه
الصراعات جاورتها صراعات أخرى بين الشامية والبلدية، فكان الثاني
القيسي يقف أحياناً مع إخوانه القيسيين ضد سائر الشاميين، وأحياناً يقف مع
الشاميين اليمينيين ضد سائر القيسية.

شهد عصر الولاة قللة بين قبائل العرب استمرت سبع سنوات

(١) ابن القوطية : تاريخ فتح الأندلس، ص ٤٥ .

(٢) ابن الخطيب : الأندلس في أجيال غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عزان،
قاهرة، الخرجي، ١٩٧٣م، ج ١، ص ١٠٢-١٠٤ .

١٢٢٣هـ/٧٤١م - ١٢٣٠هـ/٧٤٧م، قعد مصرع عبد الملك بن قطن النهري،
ولي طنج بن بشر الفشيزي، غير أن أهل البلد ثاروا به، ومع أنه انتصر عليهم
في وقعة لقوة برطورة Aqua Portera في سنة ١٢٤ هـ/ ٧٤٩م، إلا أنه
لم يلبس بجرادات لودت بحياته^(١). وظلت الفوضى تسود البلاد، حتى مقدم
أبي الخطار حسام بن حنرار الكلبلي في سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، بيد أنه اختلف
مع الصنمائل بن حاتم الجيباني - وكان شامياً قيسياً - وفي شذونة سنة
١٢٧هـ/٧٤٥م لحقت الهزيمة بأبي الخطار، لكن الصراع لم ينته وأقام أهل
الأندلس بغیر وال يجمعهم^(٢).

ولما رأى الصنمائل أن هذه الحال قد تؤدي إلى خراب البلاد، أشار بأن
يكون الوالي من قريش، واقترح اسم يوسف بن عبد الرحمن القوري سليل
عقبة بن نافع، غير أن الفتنة عادت، وأضحت قيسية يمانية خالصة، وفي
شذونة Segunda سنة ١٢٠هـ/٧٤٧م، انجلت المعركة عن هزيمة يمانية ومصرع
أبي الخطار^(٣)، ومنعبر أمر اليديلية إلى أن أتى عبد الرحمن الداخل ١٢٨هـ/
٧٥٦م - ١٧٢هـ/٧٨٨م فاستعان بهم ليحقق أطماعه في ولاية الأندلس.
وفي عهد الإمارة تجمعت ثورات العرب، وكانت في أقاليم يمانية،
تحقق على الدولة قتي عثرها، ثم لم يلبثوا ملها خطاهم، وفي بعض هذه
الثورات، اتحد زعمائها مع العباسيين^(٤)، وفي بعضها الآخر اتحدوا مع
الفرجة^(٥). كما ثارت العصية بين قيس وبن قورة بتمير في عهد

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٦، أخبار مجموعة ص ٤٢.

(٢) أخبار مجموعة ص ٥٦-٥٧، ابن عثري: البيان المغرب ج ٢ ص ٣٥.

(٣) أخبار مجموعة ص ٥٩، القمري: شع الطيبة: ج ٢ ص ٦١-٦٢.

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٤-٥٥، أخبار مجموعة ص ١، ٢، ٣، ٤.

(٥) أخبار مجموعة ص ١١٣-١١٤، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٠٥، ٢٢٣، ٢٤٤.

عبد الرحمن الثاني ٢٠٦هـ/٨٢٢م - ٣٢٨هـ/٨٥٢م، الأمر الذي حمل الأمير على أن يأمر عامله هناك بالرحيل عنها، ويتخذ مَرمية Murcia منزلاً له^(١). على أن العسيرة العربية تجذبت بصورة واضحة في عهد الفتنة الكبرى واتخذت لها مركزين أساسيين، أحدهما في كورة لإبيرة وقولمه شامية قيسية، والآخر في إشبيلية وقولمه بلدية بنية^(٢)، وتوجه معظم جيدها نحو المولتين والمعجم المعادين، ورغماً عن اتحاد العرب على تفاوت أوضاعهم في هذا الصراع وببعض الخلافات، إلا أنه بين حين وآخر، كانت تتجدد المثار عت بين أحبارهم^(٣).

وإذا كانت الدولة قد اعتمدت في جيوشها على العرب والمسلمين منهم على نحو خاص، فإنها اتجهت منذ عهد عبد الرحمن الداخل إلى الاستعانة بغيرهم^(٤)، بل إن المنصور بن أبي عامر ٣٦٨هـ/٩٧٨م - ٣٩٢هـ/١٠٠٢ كان يجعل في الجند الواحد قرماً يتبعون إلى عدة قبائل^(٥)، ويضيف الأمير عبد الله العزيز في مذكراته^(٦)، أن أهل الأندلس - ويقصد بهم الأجناد - انصرفوا إلى عساة أرضهم، وصاروا يؤثرون عنها ما ينفع على الأجناد الجدد.

(١) عشاري: تصويص عن الأندلس: تحقيق عبد العزيز الأمازي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥، ص ٥-٦.
(٢) راجع في هذا الشأن عشاري وابن حبان وابن عشاري في مواضع متفرقة.
(٣) ابن حبان: المقتبس ص ٣ ص ٩٨.
(٤) ابن حبان في التقرية: نفع الطلبة ج ٢ ص ٦٧.
(٥) المنصور السابق ج ١ ص ١٢٧.
(٦) كتاب البيان: تحقيق إلهي بروفانس، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥، ص ١٦-١٨.

هكذا كضمان بشأن العسيرة العربية، ولم يتجاوز الأمر غالباً جسد المفارقات الشعرية، وبدأ ظهور الشخصية الأندلسية، فيعد وفرد أعداد كبيرة من يربز العتوة، نفر منهم أهل الأندلس، ونظروا إليهم على أنهم قوم غرباء غير متحضرين، ومما أكد هذه النظرة لالتحام اليرير قرطبة Córdoba، عام ١٠١٣هـ/١٠١٣م ودميرهم لها، وقد عبر عنها ابن حزم^(١) في عبارات رائعة تتم عن الحزن.

٢ - اليرير :

يعود الفضل الأول إليهم في فتح الأندلس، فقد خاضوا المعركة الأساسية مع القوط يردى لُكَّه Guadalete سنة ٩٢هـ/٧١١م، ولا يُثنى من هذه الحقيقة مجهود العرب بعد نحو عام مع موسى بن نصير وبلغ عدد اليرير الذين صحبوا طارق بن زياد نحو اثني عشر ألفاً^(٢)، كما وجدت أعداد أخرى، بعد أن وصلت أخبار الفتح إلى العتوة^(٣).

ولما قامت ثورة اليرير الكبير في سنة ١٢٣هـ/٧٤١م، وحلّت بهم الهزيمة على أيدي العرب، وتمزقت الأندلس للقطعة، عاد عدد كبير منهم إلى بلادهم الأصلية^(٤)، ثم نشطت هجرتهم، حين استعان بهم بعض الأمراء الأمويين كمراقة، ولم يرد بالمصادر هجرة جماعية لليرير إلا في عصر الخليفة الناصر، ثم في عصر الحاجب المنصور^(٥).

(١) ملوك العمالة تحقيق الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م، ١٢٦-١٢٧.

(٢) أخبار مجموعة من ٧، فريق القرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجى الكعبي، تونس، ٧٤.

(٣) الرازي في التاريخ: فتح القتيب ج ١، ص ١٢١.

(٤) أخبار مجموعة من ٦٢.

(٥) Lévi-Provençal: op. cit. Vol. I, p. 86.

لنقسم الجير في الأندلس - كما كانت حالهم في المغرب - إلى بَترُونِزَاقِين، وينسب لبعض البتر إلى قَيْس عِيْلَان، والبتراس إلى جَيْتَر^(١)، وليس هناك ما يدل على وجود عصبية واضحة بين الحيين.

وكما لقسم العرب إلى شامية وبليدية، انقسم الجير على نحو مشابه ولما كثر توافد الجير المدونين في عصر الخلافة، ظهر التمايز واضحاً بينهم وبين من سبقهم من الجير، وصار يشار إلى أهل الأندلس القدامى من العرب والجير بأسم الأندلسيين أو البليديين أو أهل البلد، بينما يشار إلى الجير الوافدين باسم الملققة البربرية أو الملققة المغربية أو البرابر أو البرابرة، وذلك من حدة هذا التمايز، ما جرى من فوجئى إبان عهد سقوط الخلافة، وما ارتكبه هؤلاء من شذاعات في اقتحامهم قرطبة سنة ٤٠٢ هـ.

وإذا كان من اليسير تحديد منازل العرب في الأندلس، فإن الأمر بخلاف بالنسبة للجير، على أنه في المنطقة التي تبدأ من جبل اليرير Pirineos وتحتل إلى مدينة سالم Medinaceli نولجته كتلة بربرية ضخمة، تصل إلى الحواز طليطلة، وتمتد هذه الكتلة غرباً، فتمثل المنطقة الواقعة بين التاج Tagus والذوير Duero حتى الساحل عند قلعة Coimbra، وينتهي الاستقرار الجيرى في أطراف غلة وجليقية Galicia^(٢).

ويرى بعض الكتاب^(٣) أن العرب اختصوا أنفسهم دون الجير بأحسن الأرضين، مما كان سبباً في ثورة هؤلاء، على أن ذلك لا يمنع أن كثيراً من

(١) مجهول : نيد تاريخية جامعة. مسجوح ليلي بروفسيل، الرياض ١٩٣٤م من ٦٥، ابن خلدون: الجير بولاق ١٢٨٤ هـ ج ٦ من ١٣٩.

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس من ٣٨١-٣٨٥.

(٣) Dozy: Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne. Leyde, Brill, 1881 Vol. pp. 218-219.

البربر اختار السككى فى المثلث الجبلية، للتشابه الواقع بينهما وبين بلادهم الأصلية^(١).

لم يمنع إعلان الإمارة الأموية من توالى ثورات البربر، وكان أخطرها وأقواها جميعاً ثورة شقفا بن عبد الواحد بشننيرة Santa Maria فقد بنى لنفسه حصناً يمتنع به، ولم يتمكن عبد الرحمن الداخل من التغلب عليه إلا بعد ثمانى سنوات^(٢). واستمرت الثورة التى قلم بها أهل تالكرونا Takrouna فى سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م سبع سنوات مما جعلها قفراً^(٣)، ثم عادوا إلى الثورة سنة ٢٣٥هـ/٨٠٩م^(٤). أما ماريّة Mérica فشارت فى عهد الحكم القريبسى (١٨٠هـ - ٧٩٦م - ٢٠٦هـ - ٨٢٢م) سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م^(٥)، وتوجدت الثورة بها فى سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، ولتجاً زعيمها وهو محمود بن عبد الجبار بن راحلة إلى ملك جليقية، وأقام عنده فترة، ثم اختلف معه وقتل^(٦)، وفى عهد الفتنة الكبرى ثعلثت مراكز ثورة البربر، ويذكر ابن حبان^(٧) من ثوراهم خمسة، أخطرهم بنودى الذين فى كورة شنت برية، وكان البربر فى الفتنة يتحدون أحياناً مع أهل البلد من العرب، وفى أحيان أخرى يتحدون مع المروليين^(٨).

(١) Lévi-Provençal: op. cit., Vol. I, pp87-88.

(٢) أخبار مجموعة من ١٠٧ وما بعدها، ابن الأثير: الكامل بولاق، ١٢٦٠هـ - ج ٢، ص ٢٤٤، ج ٣ وما بعدها.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٢، ص ٦٤، ابن الأثير: الكامل ج ٦، ص ٥٩.

(٤) المصدر السابق ج ٧، ص ١٨.

(٥) أخبار مجموعة من ١٣٨-١٣٩، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٢، ص ٧٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل ج ٦، ص ١٥٦.

(٧) ابن حبان: الفتن من ٣ ص ١٧-١٨.

(٨) المصدر السابق من ٣ ص ٢٥.

ولما زالت الدولة العامرية في سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م بدأ عهد من القوطى، امتد حتى سقوط الخلافة في سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، وساند البربر سليمان المستعين ضد محمد المهدي، واستولوا على دولته^(١)، ولما استعاد الأمويون نفوذهم في سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م، لم يقطع البربر عن التدخل في شئون الدولة^(٢)، بل بدأ ظهور الدول البربرية في نواح متعددة من الأندلس، مثل بني الألب في بطليوس Badajoz وبني ذي القنون في طليطلة، وبني زيري بن متاد في غرناطة Granada إلى جانب بني حمود في مملكة Málaga والجزيرة Algeciras.

اختص الأمويون بالأندلس البربر بعنايتهم منذ البداية، خاصة بعد أن أظهروا انقيادهم من العرب، واختاروا منهم بعض قوادهم ووزرائهم وكيار رجال دولتهم، وكان بين البربر من يحمل إلى جانب الأصل البربري لولاء الأموي، مثل بني الليث من زنقة، وبني الخروبي موالى الوليد بن عبد الملك، وبني وليموس من مكلمة موالى عبد العزيز بن مروان، وبني الزجالي من رزقونة.

وكان أول من تولّى قضاء الجماعة من البربر أحمد بن يحيى بن منكدة في سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م^(٣)، ومن ثمّ بر قضاء البربر محمد بن يحيى بن زرب وقد ولي القضاء في سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م، وكان شديدا على أهل البدع^(٤).

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ج٢ ص ٦٦ وما بعدها.

(٢) المسند السابق ج٢ ص ١٢٥، القزويني: فتح الطيب ج٢ ص ٢٢٨.

(٣) الفشلي : قضاء قرطبة. القاهرة، دار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م

ص ١١١-١١٢.

(٤) أقباضي : القرعة القلبي، تحقيق ليقي بروفسال. القاهرة، دار الكتب المصرية،

١٩٤٨م ص ٧٨-٧٩.

وكان دور البربر في الثقافة الأندلسية وإقرأه ونستدل على ذلك مما ورد في رسالة ابن حزم في تلميع الأندلس^(١)، كما نجد في كتب الطرقات مادة غريبة عنهم. وكان يحيى بن يحيى اللبني (ت ٢٣٢ أو ٢٣٤ هـ) ممن اتهم في ثورة الربيع، فهرب إلى طليطلة ثم استأمن، فكتب له الحكم أمناً، وانصرف إلى قرطبة، ثم عظم مكانه لدى عبد الرحمن الأوسط، ورجع إليه وإلى عيسى بن دينار القفطلي في نشر مذهب الإمام مالك في الأندلس^(٢). أما يحيى بن مخلد (ت ٢٧٦ هـ) فسمع من يحيى بن يحيى، وله تفسير القرآن، ويؤكد ابن حزم^(٣) أنه لم يؤلف مثله، ولا يجاريه الطبري ولا غيره. وكان عيسى بن قرتاس القنكري (ت ٢٧٤ هـ) مولى بنى أنية شاعراً إلى جانب كونه كيميائياً، كما كان فلكياً صنع آلة لمعرفة الوقت، على أن شهرته تنبع أساساً من محاولته الطيران برفيه يقول الشاعر مؤمن بن سعيد^(٤):
يُلبس على الفقاء في طيرانها إذا ما كسا جملته ريش فنسمع
ومن شعراء البربر المبرزين أحمد بن محمد بن تراج القنسطلي (ت ٤٢١ هـ) وكان على قول صاحب الوثيقة^(٥) يصفق الأندلس كالميتي

(١) المقري: تاج الطوب ج٢ ص ١٣١ وما بعدها.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس. القاهرة، دار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ج٢ ص ١٧٩-١٨٠، ابن فرجون: التنبؤ المذهب تطبيق محمد الأحمدي لو التور. القاهرة، دار التراث ١٩٧٣ ج٢ ص ٣٥٢.

(٣) المقري: تاج الطوب ج٢ ص ١٣١.

(٤) ابن سعيد: المغرب ج١ ص ٢٢٣ تر ٢٢٩، المقري: تاج الطوب ج٢ ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٥) الثعالب: تحقيق محمد اسماعيل الصاوي. القاهرة مكتبة القصبة، ١٣٥٢ هـ ج٢ ص ٩٠.

بصق للشام^(١) واتصل بالعماليين ورجال دولتهم ومداخلة فيهم لاقتل عن
الستين قصيدة، وفيه يقول ابن حزم^(٢) لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا
أحمد بن زجاج، لما نكر عن شأو حبيب^(٣) والمتنبى.
كذلك كان للبربر دور هام في نشر الإسلام بالأندلس، وقد هُتكت لهم
كثرتهم المعنوية القلم بالجهد الأكبر في الفتوح وراء القُرُبات، ولولا مااحت
بينهم وبين العرب من نزاعات، لكان للإسلام في هذه الأصقاع شأن آخر.

٣ - الموالى :

لم يشكل الموالى تنصراً أو طائفة بالمعنى المفهوم، والفة الوحيدة
المتزايلة، هي التي كتبت على صلة بدوائر الحكم، وتعنى بها الموالى الشامية
بقرطبة، ورايهم الموالى الصقلية، ومنهم الموالى المالديون.
كان الموالى من أصول شتى، وكان بعضهم - كما أوضحنا - من
البربر، كما كان بعضهم من الفرس مثل بنى جهور، وجدهم يوسف بن بُخت
وكان في جند قُسْرَيْن، ولقد عبد الرحمن الداخل. وكان لبعض الأخر من
الروم، مثل بنى يسيل، وجدهم عبد السلام بن يسيل، مولى هشلم بن عبد
الملك، قدم إلى الأندلس في عهد الداخل^(٤).
كان بعض الموالى من أصل عيسى، وأشهرهم بنو شَيْت من أشتج
وجدهم الوضاح بن زجاج، كان مع الضحك بن قيس القهري يوم مرج

(١) فكتيدى : جنة المقيمين القاهرة، دار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦
ص ١١٣ قر ١٨٦.

(٢) وهو الشاعر الكندي أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

(٣) ابن الأثير : حلة الشَّراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية
للطباعة والنشر، ١٩٦٣ ج ٢ ص ٣٧١ قر ٢٠١.

راجل ٦٥ هـ - ٦٨٥ م، وأُسرة مَرْوَان بن الحَكَم ثم أُطلق سراحه^(١)، وكذا كانت حال بني أبي عَبدِ جَسَّان بن مالك، ويتصون لكَتَّاب بن وَتْرَة، وجدهم الأعلى كان مع مَرْوَان يوم المَرْج^(٢).

كما كان عدد من الموالي من أهل البلاد الأمويين، مثل بني قُتَيْبٍ لصاحب الثغر الأعلى مِوَالِي التَّوَيْد بن عبد الملك، وبني موسى الوزير مِوَالِي بني عبد الرحمن بن عبد الله الخلفي.

على أن غالبية الموالي بالأندلس كانت أموية، ومما يجدر ذكره أن جرت العادة عند بعض الكتاب الأندلسيين، أنهم يكتبون في أحيان كثيرة بالتمسية الأموية، بل وصل الأمر عند صاحب الأخبار المجموعة^(٣) أنه أطلق على مِوَالِي بني لُمِيَة تعبير بني لُمِيَة قصبي.

يختلف الولاء في الأندلس عن نظيره في المشرق، حيث كان يقصد به في معظم الأحوال المسلمون من غير العرب^(٤)، الذين لم يحصلوا على حقوق المواطنة الكاملة في خلافة دمشق، الأمر الذي دعاهم في أحيان كثيرة إلى مناهضة الفئولة والثورة ضدها، وأحياناً كانوا يؤثرون الجزية مع دخولهم في الإسلام^(٥).

لما في الأندلس، فقد اختلف الوضع، ولأين خلدون^(٦) نظرية طريفة في

(١) الحميدى : جزء المقابس ص ٢٣٢ قر ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق ص ٦٦ قر ٩٤٠.

(٣) ص ٦٦ وما بعدها.

(٤) فليب حتى تاريخ التريبسول - بيروت، دار الكشاف، ١٩٥٢ م ج ٢ ص ٢٩٩.

(٥) ظهورن: تاريخ الفئولة العربية. ترجمة محمد أبو ريدة. القاهرة، لجنة التأليف،

١٩٦٨ م، ص ٢٣٥.

(٦) المقنن. ج ٢ ص ١٣٣-١٣٥، ٤٦٢، ٤٦٤.

هذا الشأن، فهو يقرّر أن للملك يحصل بالعصبة، ولكن بعد أن تستقر الأمور، قد تستلخي الدولة عن العصبية بالموالي، والصلة التي تحصل بالولاء، تسمير أقوى من الصلة بالحسبة بالنسب.

وإذا كان الولاء ثلاثة أنواع: عشقة (أو انعام)^(١) واصطناع وحلف، فالنصوص الخاصة بتحديد صفة الولاء في الأئمة قليلة، وما لا شك فيه أن فريقاً من الموالين الذين يلتصقون إلى أصول إسبانية قوطية كان ولاؤهم ولواء اصطناع، أي أنهم كانوا إلى الأصل لحرراً، ثم دخلوا في ولواء ملوك القوط، وانتقلوا بعد ذلك إلى ولواء الأسرة الأموية، وربما دفعهم إلى ذلك الرغبة في الاحتفاظ بامتيازاتهم.

انقسم الموالين إلى شامية وبلدية، كما كانت حال العرب، وقد تنازع الفريقان الصدارة، فاحتاز الأمير محمد ٨٥٧هـ/٢٢٨م - ٢٧٣هـ/٨٨٦م إلى جانب الموالين الشاميين^(٢) الذين كان يترعهم بنو أبي عتبة، أما الموالين البليديون فترعهم بنو حنتر^(٣).

كان يدخل في طبقة الموالين من حين لآخر عناصر جديدة، ففي سنة ٨٧٧هـ/٢٢٢م قدم على عبد الرحمن الأوسط بنو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم من فهيرت بالمغرب^(٤)، وصاروا في عداد الموالين، وكان قد سبقهم في عهد الحكم الربيعي بعض أفريكيهم^(٥). وفعل الشيء نفسه^(٦) (١) يميز مؤرخ بين ولاء العشقة وبين ولاء الانعام. فجر الأئمة من ١٠٥ في حين أن قواميس اللغة تجعل مولاي النعمة هو نفسه مولاي العترة. أن منظور : لسان العرب. دار المعرفه ١٩٨١م ج١ ص ٥٤٩٢.

(٢) ابن حبان : المقيمين من ٢، تحقيق محمود مكى. بيروت. ١٩٧٣ ص ١٢٧.

(٣) المصدر السابق من ١٩٦.

(٤) ابن سعد : ج١ ص ٤٨ تر ٢.

(٥) ابن الأثير : حلة الشترام ج٢ من ٢٧٢ تر ٢٠٢.

عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني، الذي قدم من مصر والتصل بعيسى بن شهيد الذي أرسله إلى عبد الرحمن الأوسط وولي الوزارة^(١).

وكان يصدر أحياناً أمر بضم البعض إلى طائفة الموالي، كما حدث مع عبد الرحمن بن جرج الذي قرر الحكم المستنصر إلحاقه بالموالي القرطبيين^(٢).

اشتهر من الموالي بعض البورتات، منها أبو أبي عتبة، أبو مخيث، أبو شهيد، أبو رسول، أبو فطرس، أبو حنير، أبو الزجالي، أبو ولسموس، أبو غانم، أبو عبد القوي، أبو خالد، وغيرهم.

قام الموالي بدور كبير في إدارة الدولة، وبخاصة في مجالات الحرب والسياسة، وإن نالهم العرب أحياناً وبعض أفراك الأسرة الأموية كما تولوا بعض المناصب الثابتة مثل المكتوفة، والفتية، وفي أواخر القرن الثاني وإلى بعضهم القضاء في الكور^(٣)، وكان أول من تولّى منهم قضاء الجماعة بقرطبة، عمرو بن عبد الله بن ليت القبة في سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م رُفِعَ عن استياء العرب^(٤)، وولى القضاء بعده كثير من الموالي.

كانت مساعدة الموالي لمحمد ولد عبد الرحمن الأوسط من الأسباب التي أدت إلى توليته بدلاً من أخيه عبد الله^(٥)، كما عارضوا المنصور بن أبي عامر

(١) ابن قوطبة : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٨-٨٩.

(٢) ابن حبان: التقيس فطمة الحكم المستنصر، تحقيق عبد الرحمن الحجى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م، ص ٩٢.

(٣) فتاوى حسان: ترتيب المدارك تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٨م، ج ٢ ص ٥١.

(٤) فتاوى : فضاء قرطبة ص ٦٧.

(٥) ابن قوطبة: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٩١-٩٢.

في صراعه مع المصحفي جعفر^(١)، وكان تصراف محمد المهدي عنهم، من أسباب سقوطه سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، الأمر الذي دفع خصمه سليمان المستعين على التودد إليهم^(٢).

كان دور الموالى في الفتنة الكبرى محدوداً، ويذكر النجاشي^(٣) وابن حبان^(٤) من ثوارهم خمسة، أربعة منهم كانوا على الطاعة، والآخر يرجح أنه من الموالى البليدين أي أنه كان مولداً، وكان المولودون عصب هذه الفتنة. لم يظهر الموالى نشاطاً واضحاً إبان سقوط الخلافة، إذ كانت القوات الأساسية هما الصفائية والبربر، غير أنهم شاركوا في الأحداث بين حين وآخر، فلما ولي التامر بن حمود في سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م حبس أبا الحزم جهوز - زعيم أهل قرطبة - وصانق أمواله. واقتنص عبد الرحمن المستنير بعد ميلته سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م ببعض موالى بني أمية بينهم ابن حزم^(٥). وشارك أبو الحزم جهوز في إعادة الأمر إلى بني أمية في سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، وميلعة هشام الثالث المعتد بالله كما نزعهم في خلع سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، وفادت دولة بني جهوز^(٦).

لما عن دور الموالى في الحياة الثقافية، فقد كان دوراً هاماً وعرف

(١) ابن خاقان، مطلع الأئمن، قسطنطينية، مطبعة الجوفاب، ١٣٠٢هـ ص ٧.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٣ ص ٧٤.

(٣) تصويص عن الأئمن ص ١٦، ١٣، ١١٢-١١٤.

(٤) المعقن ص ٢ ص ٢٢، ٢٤، ٣٢.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٢، ابن بتمام: الخيرة، تحقيق اصناف

عيسى بيروت، دار الثقافة ١٩٧٦ ق ١، م ١٠، ص ٥٠-٥١.

(٦) الحميدى: جذوة المعقن، ص ٢٧، عبد الواحد الشراشقي: المعجب، تحقيق

محمد سيد العربي، القاهرة، مكتبة التجارية ١٩٤٩م ص ٥٧.

عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ) بعالم الأندلس، واشتهر بكتابه "الواضحة" كما كان مؤرخاً^(١)، ومن الموالى محمد بن أحمد بن عبد العزيز المكنى (ت ٢٥٥هـ) واشتهر بكتابه "المستخرجة" أو "المعينة" وقد أثنى فيه بالسلا القريية^(٢)، ومحمد بن وضاح بن زيغ (ت ٢٨٧هـ) ولهم مع يلى ابن منك في جبل الأندلس دار حديث^(٣) ومحمد بن عمر بن لبابة (ت ٣١٤هـ) وكان لهما في القلة بصيراً بالكتبا^(٤)، وقاسم بن أصيغ الليالي (ت ٣٤٠هـ) وكان متحد الجواب، وإليه كانت الرحلة، وأثنى عليه ابن حزم^(٥).

ومن الموالى الذين نبغوا في غير مجال العلوم الدينية مؤمن بن سعيد (ت ٢٦٧هـ) وكان شاعراً، دعى يدعى الأندلس^(٦)، وأحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) صاحب كتاب "العقد الفريد" وعرف بشاعر الأندلس، وابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) وشهرته عند أهل الأندلس تعود إلى كونه لغوياً، وأحمد ابن رشيق مولى بنى شهيد (ت بعد ٤٤٠هـ) وبرع في الرسائل، وحظي عند مجاهد العاسرى ٤٠٨هـ/١٧م ٤٣٦هـ/٤٤م بدائية Denia^(٧).

وفي مستهل القرن الخامس ظهر ثلاثة من كبار الأدياء الموالى، وهم أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد (ت ٤٢٦ هـ)،

- (١) ابن القزطى : تاريخ علماء الأندلس ج١ ص ٢٦٩-٢٧٢ تر ٨١٦.
- (٢) المصدر السابق ج٢ ص ٦-١٧، تر ١١٠٤، الحميدى: جذوة المقتبين ص ٣٩ تر.
- (٣) ابن القزطى: تاريخ علماء الأندلس ج٢ ص ١٥-١٧ تر ١١٣٦.
- (٤) المصدر السابق : ج٢ ص ٣٤-٣٥ تر ١١٨٩.
- (٥) المصدر السابق : ج١ ص ٣٦٤-٣٦٦ تر ١٠٧٠.
- (٦) ابن سعيد : المغرب ج١ ص ١٣٢ - ١٣٣ تر ٤٦.
- (٧) الحميدى : جذوة المقتبين ص ١٢٣-١٢٤ تر ٢٠٨.

واشتهر برسالة التوليع والتزويج^(١) التي سبق بها أبا العلاء المعري في رسالة الغفران^(٢)، وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) ويصعب علينا أن نجد صنفاً من صنف المعرفة لم يكتب فيه. وأبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن خلف بن حيان (ت ٤٦٩ هـ) وهو أكبر مؤرخي المغرب الإسلامي.

ويعد الصقلية^(٣) من المؤلفات، ويأتي ذكرهم أحياناً على أنهم مرافقون للخصيان^(٤)، وغالباً ما كان يطلق تمييز فضل على من لا يتم حصوله^(٥)، وعرفوا في زمن الفتنة التي صاحبت سقوط الخلافة بالمعبد^(٥).

(١) راجع أخبار ابن شهيد ورسائله وجمالاً من شعره ونثره في ابن هشام: القصيدة ق ١ ج ١ ص ١٩١-٢٢٦.

(٢) Esclaves وتلحق حرفاً الجيد، وعند الاستعمال تعني أهل البلاد التي تلي بلاد جرمان شرقاً، لكن الواقع كان يدخل فيهم لبناني آخرى غير السلاف، وهو ما يتضح من حديث ابن حوقل عنهم، فكأنوا بأكون من جليقية وفرنجة والتكبرية (المباردية) وقورية (كالأبريا) وغيرها. صورة الأرض، تحقيق تروزي، لندن، أبريل ١٩٢٨م ص ١١٠ ولدينا نسخة على ذلك في يد فرحمن بن مروان (الجبلي) تناثر في المخطوطات من حشم الأسيير محمد، ابن القوطية: تاريخ الفتاح الأندلس ص ١٠٧. كما كان طرسوس المجوسى (أي التورماني) من قوتان عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبي عامر وقد تأسر عليه. ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٥٥، وفي سنة ٣٢٠هـ/٩٤٢م دخل في الحشم خمسة من الشجعان (أي المجربون) بن حيان: المعقبين بن: تحقيق شاميتا، الرباط، ١٩٧٩م ص ٤٨٢-٤٨٢.

(٣) راجع الدراسة القيمة لشقيد ليون D. Ayalon عن الخصيان في الإسلام، Jerusalem Studies in Arabic and Islam, Vol. I, 1979 The Hebrew Univ. والمراجع المعطاء.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٦-١٦٧.

(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٢.

ولا تعلم بالتحديد متى بدأ أمراء بني أمية في الاستفادة بالصقلية، ويذكر أن عبد الرحمن الأول استعجب المنصور أخصى^(١) وربما كان من الصقلية، على أن الحكم الأول استعجب منهم، وبلغت عندهم خمسة آلاف من بينهم ثلاثة آلاف فارس ولذا راجل^(٢)، وقد لعبوا دوراً بارزاً في أحداث الأندلس، ووصل الصقلية إلى ذروة مجدهم في عصر عبد الرحمن الثالث، وكان الفتيان منهم يشكلون بعض المناصب الكبرى في القصر، ومنها رئاسة الحرس^(٣)، كما استعان بهم المنصور بن أبي عامر، وأقبل على شراكتهم، وعرفوا فيما بعد بالفتيان الحامرية، ولدى وفاته ترك سبعة من الفتيان الكبار^(٤). لعب الصقلية دوراً هاماً في تولية الأمير محمد مكان أبيه عبد الرحمن الأوسط^(٥) وحاول فائق وجوزر أن يلعبوا الدور نفسه بعد وفاة الحكم المستنصر، وباتوا بالمغيرة لهوية بدلاً من ولده الصغير هشام، غير أنهما فشلوا في تحقيق مأربهما، بفضل دهاء المنصور وسعة حيلته^(٦). أدى ازدياد نفوذ الصقلية إلى إثارة العرب على الدولة، وهو ما ظهر أثره في معركة الخندق Alhandega سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م، التي انتصر فيها الجلائفة على عبد الرحمن الناصر، وكان يفتد حياته^(٧).

(١) القزويني: تلح المطب، ج٢ ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق ج١ ص ١٦٠، ابن الأثير: الكامل ج٦ ص ١٣٩.

(٣) Lévi Provençal: L'Espagne Musulmane au X^{ème} siècle Paris, 1932, p. 54.

(٤) ابن الخطيب: أصل الأعلام: تحقيق توفيق بوقفسال، بيروت: دار المكنشرف

١٩٥٦م ص ١٢١.

(٥) ابن حبان: المغتربين ص ٢ ص ١٠٨.

(٦) ابن حبان في ابن بسام: الخيرة ق٤ م ٦ ص ٥٨.

(٧) أخبار مجموعة، ص ١٥٥-١٥٦.

ولذا كان دور الصقلية في الفتنة الكبرى ضعيفاً، شارك فيها اثنان منهم^(١)، فانهم في فترة سقوط الخلافة، كانوا يشكلون القوة الأساسية الموازية للبربر والمناهضة لهم في الوقت نفسه، ولم يكن لهم موقف ثابت حول محمد المهدي، لكنهم أكثر هشاشاً للمؤيد ضد سليمان المستعين واتباعه من البربر، وتولى واشح حجابته. وتبع اقتحام البربر قرطبة في سنة ٤٠٣ هـ هروب الموالي العباسيين إلى شرق الأندلس، لكنهم عاودوا التدخل في الأحداث بالحضرة، فأجبراً ينصرون الحمويين وأحياناً ينصرون الأمويين إلى أن ولي هشام الثالث^(٢) سنة ٤١٨ هـ.

وفي أواخر عصر الخلافة تقاسمت الأندلس دويلات عربية وبربرية وصقلية، ولمكت سيطرة الصقلية من نهر إزرو حتى الجزائر الشرقية Islas Baleares فاستبد خيران بالمرية Almeria وزهير بترسية، ومبارك ومظفر ببلنسية Valencia ولييب بطرطوشة Tortosa، ولشهر هؤلاء جميعاً مجاهد الذي اختص بدانية، وفتح جزيرة سردينيا وبث الرعب على سواحل إيطاليا، وأسس دولة دامت حتى سنة ٤٦٩ هـ/١٠٧٦ م.

أسهم الصقلية في الحياة العقلية بالأندلس، وأشهرهم في عصر المنصور العنبري قتي يدعي قاتن (ت ٤٠٢ هـ) كان ملماً بكلام العرب وناظر صاعداً البندادي (ت ٤١٧ هـ) مجلس المنصور وظليه وأسكنه وعثر في تركته بعد وفاته على دفاتر أدبية حسنة^(٣). ولما قامت الدويلات الصقلية

(١) ابن حبان: الفقيس ص ٣ من ٢٥، المعري: تموصص عن الأندلس ص ١٠٤ -

١٠٥.

(٢) راجع هذه التفاصيل في ابن عذري: البيان المغرب ج ٣ ص ٥٠ وما بعدها.

(٣) ابن سلام : الفخيرة في ٤ م ١ ص ٣٤، المعري: فتح الطريب ج ٢ ص ٨٩ - ٩٠.

شجع أمراؤها الحركة العلمية، وأثنى ابن حبان^(١) على مجاهد واشتغاله بالعلم، حتى صار تسيح وحده، وجمع كتاباً جمة.

يرتبط الصقلية أيضاً بحركة الشعوبية، ويلاحظ جولد تسيهر أن هذه الحركة في الأندلس، كانت تختلف عنها في المشرق، فلم تضم ملاحدة ولا زنادقة^(٢)، ومن رجالها حبيب الصقلبي الذي تعصب لقومه، في كتاب ٤٢٢ استظهر والمغالبة على من أنكر فضل الصقلية^(٣) ويعد جولد تسيهر اليدوية الأولى للشعرية في إسبانيا الإسلامية، غير أنه من المرجح أنها بدأت قبله بمائة عام فذكر المصنف محمد بن تليد المعافري قاضي وكشافة Huesca (ت ٢٩٥هـ)^(٤) وعبد الله بن الحسن المعروف بابن السدي قاضي وشقة أيضاً (ت ٣٣٥هـ)^(٥) وهما من المولدين.

ومن الشعوبيين الذين ظهروا في أوائل القرن الخامس الهجري الكبير أبو الحسن علي بن إسماعيل القزويني المعروف بابن مسيدة^(٦) (ت ٤٨٥هـ) وهو من المولدين، على أن أشهرهم جميعاً أبو عامر أحمد ابن غرسيمة، ونص رسالة هو النعمان الوحيد البلقى عن الشعوبية في إسبانيا، ولدينا منه نسختان، إحداهما في كتاب للخيرقو الأخرى في مكتبة

(١) في ابن بسام: للخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٢.

(٢) عبد السلام هارون: تواتر المخطوطات، القاهرة، لجنة تحقيق ١٩٥٢، م ٣ ص ٢٤٢-٢٤١.

(٣) ابن القزويني: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٢١، تر ١١٤٩.

(٤) القمطر نعمة ج ١ ص ٢٢٨، ٢٢٧ تر ٦٨٧.

(٥) القزويني: سيرة أعلام النبلاء، مطبوع بدار الكتب المصرية برقم ١٢٩٥، ج ١١ ق ٢ ص ١٨٠.

الإسكوريال^(١) ونصحب كل نسخة رد ود على الاعاءات ابن غرسية، كما وردت بعض الردود في كتاب البتوي ألياء^(٢).

٤ - المولودون :

كان من الطبيعي عند فتح العرب أحد الأمصار، أن يسارع إلى الإسلام فريق من أهله، ثم يتزايد عددهم فيما بعد، وكذلك كانت الحال في الأندلس. وقد أطلق العرب على من أسلم من أهلها لفظة مولدين^(٣) وعلى أحدهم اسلاماً مسلماً، كما كان يطلق عليهم أحياناً موال، وهو مايتضح من روايتي ابن حبان والعقري عن ثورتهيم بلشوية^(٤).

أما عن التواخي التي تركز فيها المولودون، فيذهب ليفي بروفسال^(٥) إلى أنهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من السكان المسلمين في الجنوب،

(١) نشرت ضمن مجموعة تولار المخطوطات وضمن كتاب الصغانية لأحمد مختار الديدي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٥٢.

(٢) مصر، يولاق ١٢٨٧ هـ ج ١ ص ٣٥٦-٣٥٠.

(٣) جانب بعض الصواب، حين اعتبر المولدين، من كثر تزايدهم عرباً ولهماتهم استقلات، ولدى انتقال أقلية مولدين إلى إسبانيا العصور الوسطى صارت Muladíes ويشار إليهم أيضاً باسم Mauladíes و Muladíes و Mudíes ويشير الأب سمسون إلى الجنس المولدي La Raza Muladíة ويميز قرو القرطبي والقش لوفيجيانوس Mozemites و آل Jemadites وهم العرب المرحاء.

راجع: Isidro de las Cagigas: Los Mozárabes, Madrid 1947 tomo.1. pp.55-56.
وفي معجم التاريخ الأسباني لكتلكتي موليير Mulato على ألباء الإسبان من قزوينات Madrid, 1932. tomo II p. 589.

(٤) الفقيس ٤ ص ٢ من ٦٨، نصوص عن الأندلس ص ١٠١.

(٥) Histoire de l'Espagne Musulmane, Vol. 1, pp.74-75.

والشرق، وخاصة في كورة إبيرة، التي شهدت معارك طاحنة بينهم وبين العرب في عهد الفتنة الكبرى، وكذا كانت الحال في إشبيلية، حيث كان لهم اثنا عشر رئيساً، وفي طليطلة وغيرها من مناطق الشتر^(١).

وليس ثمة ما يدل على أن المولدين كان يختصون بأحياء معينة داخل المدن، بل إنهم في إشبيلية وطليطلة كانوا يسكنون المدينة في حين سكن العرب خارجها، على أنهم في قرطبة، كانوا يختصون بالضاحية الجنوبية، وهي شقطة التي عرفت بالريض Armida بعد إعادة بناء القنطرة الرومانية في عهد هشام الأول ١٧٢هـ/٧٨٨م - ١٨٠هـ/٧٩٦م، امتد العمران إلى الضفة اليسرى من النهر، فعمرت شقطة القديمة بالعامة والحرفيين والتجار من المولدين والمعاهدين، ويسبب موقعها القريب من القصر والجامع، جاور المولدين عدد من الموظفين والفقهاء المالكية^(٢)، الذين استغلوا بهم في صراعهم مع الأمير للحكم.

ويذهب ليفي بروفسال^(٣) إلى أن المولدين كانوا يعيشون على تربية الماشية والزراعة في الأرياف، وعلى صيد الأسماك والأعمال البحرية في المناطق الساحلية، أما في المدن فزاولوا حرفاً وشغلاً يدوية كما مارسوا العمل بالتجارة واشتهروا في إشبيلية بقراتهم^(٤).

لم يكن للمولدين نشاط في الحياة العامة إلا أن عصر الولاة، كما لم يشاركوا في فتوحات العرب وراء البركات، لكنهم لشاركوا في حروب الدولة إلا أن عصر الأماة، فكانوا يدخلون في جملة القوات الاحتياطية، ولا يمتحنون

(١) ابن حيان : الفقيه من ٢٠١ - ١٠١.

(2) Lévi-Provençal: op. cit Vol. I pp.161-162.

(3) Ibid p. 76.

(4) Dozy: Spanish Islam. p. 337.

مرتبات، بل يُلحقون تسميتهم من المغانم^(١)، وكانت الدولة تعهد إليهم بمناصب الوزراء والقواد، عندما تجد فيهم من هم أهل للثقة^(٢).

وفي عهد عبد الرحمن الثاني كان تسمى الخصي، يتمتع بمنزلة رفيعة عنده، وقد جيوش الدولة في حروبها ضد المجوس (التورمان) سنتي ٢٢٩هـ- ٨٤٣/٢٣٠م^(٣)، كما كان له دور هام في أحداث الشهداء بقرطبة وفي عهد الأمير محمد كان من رجاله القاهن محمد بن موسى الذي استوزره غداة بيعته^(٤)، وكلاهما من المولدين.

تقلد بعض المولدين مناصب هامة خلافا للوزارة، فعبد الله بن عمر ابن الخطاب بن لجئ (ت ٢٧٦هـ) ولي قضاء إشبيلية^(٥)، ومحمد بن عمر ابن ليلى (ت ٣١٤هـ) شاور في الأحكام في عهد الأمير عبد الله وانفرد بالفتيا في عهد الناصر وولاه الصلاة^(٦)، على أن أول من ولي قضاء الجماعة من المولدين، هو عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية مولى بني فطيس في سنة ٤٠٧هـ، ولمدة اثنتي عشر عاما، وكان معروفا بشعوبيته^(٧).

كان للمسلمين من عرب وبربر صلات مع المولدين، فقد جاوروهم وصاهرهم، وأدعى عدد منهم نسباً عربية (بغية في السجل الأول) ، ومع

(١) حسين مؤني: قهر الأندلس ص ٦٠٢.

(2) Lévi-Provençal: op cit. Vol. I. pp.131-132.

(٣) ابن حبان : المحققين ص ٩ ص ١٠٤-١٠٥.

(٤) ابن القوطية : تاريخ المماليك الأندلس ص ٨٩-٩٠.

(٥) الحميدى : جنة المحققين ص ٢١٢ تر ٥٥٧.

(٦) ابن القزويني: تاريخ علماء الأندلس ج ٤ ص ٣١-٣٥ تر ١١٨٩.

(٧) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ١٥٨ تر ١٠٠.

أن القولة قُطعت مرحلةً طويلةً في استيعابهم، فإنها كانت تنظر إليهم أحياناً بعين الشك، ويتجلى ذلك في هيح الربض وفي حادثة الشهداء النصراني. كان المسلمون الجدد يتصيون أحياناً تحصياً ساذجاً وجاهلاً في الوقت نفسه، ويأخذون على القولة قتهان في إقامة دينها، وهكذا أصبحوا ممثلة للقهاء المالكية^(١) الذين كانوا ينقمون على الحكم الأول، أن حرّمهم نفوذهم الذي حظوا به في عهد أبيه هشام. وفي ثورتهم سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م حاصروا القصر وكانوا يفتكون بالأمير، ولدى فتح القصور، صلب من زعمائهم ثلاثمائة، وهدم الربض الذي صار مزرعة، ونفى القوم في أقطار الأندلس وخارجها، ولحق بالإنكفارية عدد كبير منهم، وأقاموا بها إلى أن أجلاهم الله بن مناهر بن الحسين عنها في سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، فغادروها إلى جزيرة إيبريا - كريت - فملكوها إلى أن استعادها الروم في سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م^(٢).

وفي القرن الثالث أيضاً معى عدد من المولدين في مناطق القصور إلى الاستقلال عن القولة، وأشهر هؤلاء موسى بن موسى القسوي الذي أطلق على نفسه لقب ثالث ملوك إسبانيا^(٣).

(1) Cambridge Medieval history Vol III p. 414.

(٢) راجع بضمير هذه الأحداث ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٦٨-٦٩، ابن الأثير: الفتح السيرة ج ١ ص ٤٤-٤٥، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٦-١١١، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٧٥-٧٦، ابن سعد: المغرب ج ١ ص ٤٩، ابن تقي بردي: تهذيب التراجم، القاهرة، دار الكتب ١٩٢٩م ج ٢ ص ١٥٨، فزاريك: العرب والعجم - ترجمة محمد عبد القادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ص ٥٦ وما بعدها.

(3) Dozy: Spanish Islam p. 312.

وفي أواخر عصر الإمارة تعرضت الأملح للثورة دعيت بالفتنة الكبرى شاركت فيها عناصر المجتمع جميعها، وكان للمولدين الدور البارز فيها، كما حالفهم المعادون من النصاري، وارتد عدد منهم عن الإسلام، وعلى رأسهم زعيمهم الكبير عمر بن حصون.

وفي أواخر القرن الرابع كانت الفتنة الكبرى تجتاز آخر مراحلها، وتوفي عمر بن حصون في سنة ٣٠٥هـ/٩١٨م، وكان موته بداية النهاية للمولدين كطبقة، فقد عاشتهم الدولة يحف أطاح بالعناصر المتطرفة منهم، كما أنها اتاحت للبلاد قراءاً من الاستقرار والازدهار، وأدى هذا كله في النهاية إلى إدماج المولدين في المجتمع الأندلسي، بحيث لم يبق من الصعب تمييزهم عن غيرهم^(١).

مما يجدر ذكره أن الحركة الشعبية المناهضة للعرب، كانت صقلية في معظمها، ولا تسمع عن دويلات مولدية، نشأت بعد سقوط الخلافة، إنما كانت هذه الدويلات عربية وبيزرية وصقلية.

ويلاحظ عند التأريخ لصقلية، أن بعض المولدين الذين أسهموا فيها، كثقوا ينسجون إلى الموالى، ومنهم ابن الجارن الإشبيلي، وابن تليد المعافري، وابن السدي، وقد حمل هذا الأخير الموطأ عن يحيى بن عمر بالبرقية، وكان يقرأ عابه ويسمع منه. ومن المولدين الذين نبهوا في علوم اللغة ابن سيده الضرير صاحب "المعجم" و "المفردات".

وفي عهد الفتنة الكبرى سمعت العصبية إلى جعل الشعر أداة تدافع بها

(١) راجع رسالة لدرجة الماجستير (رسالة جامعية غير منشورة) آيب قراب

عن وجهة نظرها، بحيث أنصحى صورة للتفاضل المشرقية^(١)، ومن أشهر شعراء المولدين في تلك الحقبة عبد الرحمن بن أحمد العلي من كورة إلىيرة، وكان يعارض محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي - أسد خزيمه - شاعر العرب بالكورة نفسها^(٢).

على أن أكبر حركة فكرية تسبب إلى المولدين هي حركة محمد بن عبد الله بن سنرة بن نجيج (ت ٣١٩هـ) وكانت مزيجاً من التصوف والاعتزال. وبعد اشتهار أمره رحل إلى الحجاز، ثم عاد إلى قرطبة واعتزل بجليلها، وأخذ يقرأ دروسه، وعاش مع تلاميذه حياة مقفلة، لا يعرف شيء عنها إلى أن مات^(٣).

وحسب كتب ابن مسرة جميعها، يبدو أن الأفكار كانت تدور حول وحدة الوجود، وتعرضت لمطاردة الدولة، فأصدر السلار في سنة ٣٤٠هـ/٩٤٩م كتاباً قرئ في لطار الأندلس أن المسرية^(٤).

(١) لسان عباس: تاريخ الألب الأندلس، عصر مدينة قرطبة. بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٥م ص ٥٨.

(٢) ابن حبان: المقتبس ص ٣ ص ٦٢ وما بعدها، ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ٦٢٥ تر ٤٤٠.

(٣) ابن قريطس: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢١٧-٢١٨ تر ٦٥٢، ج ٢ ص ٣٩ تر ١٢٠٤ و لطار أيضاً ترند: فوات الأنام (كبير) القاهرة، لجنة التأليف، ١٩٣٥م ج ١ ص ٢٨٦.

(٤) ابن حبان: المقتبس ص ٥ ص ٢٦-٢٦.

• - اليهود :

كان فتح المسلمين للأندلس بداية عهد جديد في تاريخ اليهود وتشير المصادر إلى التعاون الذي جرى بين الجانبين، ويرى لوقا التردى أن اليهود في طليطلة فتحوا أبواب المدينة للعرب، منتهزين فرصة شغل النصارى بأحد السعاب^(١).

ولم يقتصر التعاون بين المسلمين واليهود على الأندلس، فقد امتد إلى قوتهم وراء البرشات، وانحاز يهود لانجدوك Languedoc إلى المسلمين، وفتحوا لهم أبواب مدينة طولوزة Toulouse^(٢)، غير أنهم تعرضوا لمصادرة أراضيهم، حين علجوا معارضة المسلمين في حفاة برشلونة Barcelona في سنة ٨٥٠ م^(٣).

كان اليهود يثرون الإقامة في المدن، يزاولون بها أعمالهم التقليدية، مثل غرناطة التي دعوت بفرنانطة اليهود^(٤)، وفي القصر الأعلى كانت روملة Rueda تدعى بـروملة اليهود^(٥). أما في إشبيلية فكان عددهم والفرأ، هيا لهم مساعدة الدولة في عهد الفتة الكبرى، ففتحوا لجلودها أبواب المدينة، مما يسر الخضااع العصاة من المرابطين^(٦).

(1) Saavedra: Estudio sobre la invasión de los Árabes en España, p. 79.

(2) ريتو: تاريخ غزوات العرب. ترجمة شكيب أرسلان. القاهرة، طبع، ١٣٥٢هـ، ص ٢١٢.

(3) Barco; Salo: A Social and religious history of the Jews, Columbia, 1937 Vol. IV p. 34.

(4) الحميري: قروض المطار - تحقيق إيفي بروفانسال. القاهرة، لجنة هداية، ١٩٢٧م ص ٢٢.

(5) الحميري: لصر من عن الأندلس ص ٤٩، ابن خيان: المغتلب ص ٢ ص ٣٢٤.

(6) الحميري : لصر من عن الأندلس ص ١٠٣.

على أن أكبر مراكز الانتشار اليهودي في الأندلس، كان في مدينة لوسنة Lucena، قرب حصن نُزّة في الجنوب، فقد اختصت باليهود وحدهم، لا يخالطهم المسلمون، ويصفها الشريف الإدريسي^(١) بالحصانة ويصف أهلها بالثراء.

أقام اليهود في المدن الأندلسية في أحياء مستقلة، وكان باب المدينة المؤدى إلى حي اليهود، يعرف أحياناً باب اليهود^(٢). ويقع الحي اليهودي في مدينة نرغون Zaragoza إلى الجنوب الشرقي منها^(٣)، ويذهب ابن الفَرّص^(٤) إلى غير هذا، فيذكر أن باب اليهود = ومن ثم حي اليهود = يقع غربي المدينة.

وكان الحي اليهودي في قرطبة، يقع في قلب المدينة، بجوار القصر والمسجد الجامع، ويحمل هذا الحي حتى الآن اسم Juderia^(٥)، على أننا نجد في المسور الشمالي باباً، يطلق عليه باب اليهود، وجوار هذا الباب طريق يسجه شمالاً بشرق، يؤدي إلى مقبرة اليهود^(٦).

وتذهب الموسوعة اليهودية^(٧) إلى أن رئيس المجتمع في الأندلس في

(١) صفة المغرب: تحقيق دوزي ودي غوييه- لين، بريل، ١٩٦٨م ص ٢٠٥.

(٢) ليلي بروفسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد سالم وسلاح حلي ليهضة مصر، ١٩٥٦م، ص ٦٤-٦٥.

(٣) Lévi-Provençal: op cit Vol III, p. 354.

(٤) تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٢٧ ث ٣٩١.

(٥) Lévi-Provençal: op cit Vol III, pp. 328-329.

(٦) فون شاك: الفن العربي في إسبانيا وصقلية، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، دار المعرفه، ١٩٨٠م، ص ٢٢ ونظر أيضاً: ديوان فن شهيد الأندلس تحقيق يعقوب زكي، القاهرة، دار الكتب العربي، المخطبة ص ٥٩.

(٧) p. 758.

لقرن العاشر الميلادي كان يطلق عليه لقب ناجيد، وكان يعين من بين الأشخاص ذوي المكانة بالباطن الخلفي.

وترك المسلمون لليهود حريةهم في أن يسبقوا أمورهم وفق أعرافهم ومنها إعدام الهرطقة^(١)، وكانوا يقتلونهن فيما بينهم، وعندما طلب أحد اليهود أن يحاكم أمام قاضي مسلم، ألقى ابن الخطار (ت ٢٨٧هـ) بجواز ذلك، وكذا ذهب لشيخ بن سعيد (ت ٣٥٨هـ)^(٢).

وكان كنيس اليهود يطلق عليه اسم شنوغة (أو شنوغة)^(٣)، وله في أحوال كثيرة أحبار وولائف للشفعة عليه، وعندما مثل ابن عتاب (ت ٤٦٢هـ) عنها لجازها وأجاز أيضاً بيعها^(٤).

كانت الصلات بين المسلمين واليهود طيبة تسودها العودة، واتخذ اليهود القبلان العربي، وتحذشوا بالعربية^(٥). وتمطينا الوثائق المستعربية بطليطلة فكرة طيبة عن ذلك، ويتضح منها أن اليهود تسادوا في استخدام الأسماء العربية، حتى بعد زوال السيادة العربية بزمان طويل، بل منهم من حمل لقب

(1) Baron: op. cit. Vol. V pp. 45-46.

(٢) كونشيتي: المعيار المغرب، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٠ فقه ملك ٥٣٠ ورقة ١٨٨ أب ٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) رجمها شروغات (أشروعات) وهي مشتقة من الكلمة Synagoga وصارت في الشكالية Sinoga والبرنالية Senoga راجع :

Simonet, J: Glosario de voces hebreas y latinas usadas entre los Mozarabes. Madrid, 1888. p. 603.

(٤) ابن سول : وثائق في أحكام قضاء أهل النمة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلافت. القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٠ من ٦٧. وانظر أيضاً:

Lévi-Provençal: op cit Vol III, p. 230.

(5) Cambridge Medieval history, vol III p. 429.

ذى الوراقين^(١)، ومع أن ابن حزم وجه نقداً حقيقياً لليهودية، فإنه عندما كان يذهب إلى ألمرية Almería كان يحلو له الجلوس في مكان صديق له اسماعيل ابن يونس الطبيب الأسرائيلي.

زاول اليهود مهناً مختلفة، وسمح لهم المسلمون بملكية الأرض^(٢)، ولشئ عدد منهم صناعة الورق، على أن أكبر مجال عمل فيه اليهود هو التجارة، ويشير ابن خردادبة^(٣) إلى مسلك اليهود الرافضية^(٤) الذين يتقنون عدة لغات، ويتقنون بين فرنجة والمسلمين، وأهم تجارة تشتهروا بها هي تجارة الفريق وبخاصة الصفالية^(٥).

شارك عدد من اليهود في ستامب الدولة، وكان لعمدای بن شبروط مكانة عالية عند عبد الرحمن الثالث، فكان طبيبه، ومبعوثه إلى شانه المسلمين Sancho (٩٥٦-٩٦٦) ملك ليون^(٦).

ازدهرت الثقافة اليهودية في إسبانيا الإسلامية بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلادين، ويظهر اليهود إلى هذه الحقبة بزهو وفخار، فكان الراهب النصراني يلقى من فرنسا، ليدرس في الأندلس، على يدي أساتذة يهودي، وكانت الكتب التي ألقت باليونانية أو بآلة لغة أخرى، تترجم إلى العربية، ثم يترجمها اليهود إلى العبرية، وفي بروفلس يعمدون ترجمتها إلى اللاتينية^(٧).

(1) González Palencia: Los Moriscos, Madrid 1926 vol. I p.279. año 1197.

(2) Grayzel: A history of the Jews p. 281.

(3) المسلك والمسلوك: يزيك، لين. نشر في حوزة ١٨٨٩ م من ١٠٥٢-١٠٥٤ .

(4) نسبة إلى وادي الرافدة وهو نهر الفرون.

(5) المقرئ : تقع المصنف ج ١ من ٧٩ وتفكر أيضاً:

Dozy: Spanische Islam. p.430.

(6) راجع في أخبار ابن حبان: العقيد من ٥ .

(7) Grayzel: op cit pp280-282.

ومن أعلام الثقافة اليهودية بالأندلس حسداى بن شبروط وصمويل بن التفريلة وسليمان بن جبيرول. فقد أسهم الأول (ت ٣٥٩هـ/٩٧٠م) فى ترجمة كتاب الحشاش لـديسقوريدس إلى العربية، ومن خطابه المتبادلة مع ملك الخزر يبين أسهمه الواسع فى علم الجغرافيا^(١).

أما ابن التفريلة (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) فله ثلاثة أصال شعرية حاكى فيها أسفار الكتاب المقدس، كما شرح بعضها، ونشر بالعبرية مقدمة للتلمود، واثنين وعشرين عملاً فى النحو، وكان يجيد سبع لغات^(٢).

ويعد ابن جبيرول (ت ٤٦٢هـ/١٠٧٠م) أول فيلسوف يهودى، وكتابه "ميكور حاييم" أى ينبوع الحياة Fons Vitae ألفه بالعربية، وترجم إلى العبرية والفارسية والآرامية، وأكثره واضح فى الفلسفة المدرسية فى المصنوع الوسطى، كما ألف عدة كتب بالعربية، وأنظم فى النحو العبرى قصيدة على بحر الرجز العبرى من أربعةة بيت^(٣).

كانت الظروف الحسنة التى عاشها اليهود فى الأندلس، دافعة لأن يدخل عدد منهم فى دين الإسلام، غير أن هذا العدد كان قليلاً، ولطلق على اليهودى إذا أسلم تغيير نسائى، ومن أسلم عن كره إسلامى^(٤)، وليس لدينا ثبوت بأسماء من أسلم من اليهود، وأقدمهم بالنسبة لنا الوزير الكاتب أبو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى وزير المفكر بن هود ملك سرقسطة

(1) Waxman, A: A history of Jewish literature. N.y. Bloch Publishing Company, 1958 vol. 1. pp.435-450.

(2) Ibid. Vol 1. pp.217-218.

(3) Ibid. Vol 1. pp.187,218,327.

(4) Dozy: Supplément aux dictionnaires Arabes Leide, Brill, 1927. Vol. 1. pp. 678-679.

٤٣٨هـ / ١٠٤٦م - ٤٧٤هـ / ١٠٨١م وكتابه، وكان معاصراً لمساعد، ولدى إسلامه أضيف إلى اسمه لقب الإسلامى^(١).

٦ - العبيد :

كان المصدر الرئيسى للعبيد هو أسرى الحرب، ولدينا معلومات وفترة عما كان يحوز به المسلمون فى غزواتهم منذ افتتاح الأندلس، حتى أواخر عصر الخلافة. واشتهر المنتصرون بين أئس عسكر بلقب "الجلاب" وفى أيامه تنال الناس فى تجهيز بناتهم، وذلك لخص بنات الروم^(٢)، وعندما لم يأت ولده المظفر ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م - ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م فى غزاة سنة ٣٩٦هـ بما يرمى عليه أوطية، جعل هؤلاء يتصاليحون: مات الجلاب.. مات الجلاب !! يقتصدون أبناء الذى ماله الأندلس سبياً، الأمر الذى دفع المظفر على سعة صدره إلى زجرهم^(٣).

كانت سوق العبيد تعرف بـ"قنطرة"^(٤)، وتختص إشراف المحاسب^(٥).

(١) راجع فى اختياره مساعد: طبقات الأسماء لـ"أبو الحسن شيبو" بيروت ١٩٩٢م ص ٩٠، ابن خلدون: كتابه العقبان، القاهرة، بولاق، ١٢٨٣هـ، ص ١٠٨، ١٨٣-١٨٤، ابن بسلام: الفتوح، ق ٢ م ١ ص ٤٥٧-٥١٤.

(٢) ابن حبان فى عهد فولند المراكشي: السجيب ص ٣٨.

(٣) ابن عذارى: أحيان المغرب ج ٢ ص ١٢.

(٤) عبد العزيز الأهراسي: ألقاب مغربية فى كتاب ابن هشام القصى فى لحن العامة، مجلة معهد الدراسات العربية ج ٢، ١٩٥٧م ص ٣١٦، انظر أيضاً: Dozy Supplement Vol. II, p. 114.

(٥) لقي بروكسلي: سلسلة محاضرات عامة، ترجمة محمد شعيرة، القاهرة - كلية الآداب، ١٩٥١م ص ١٢.

ولقد في كتاب النقطي^(١) عن الحسبة قصصاً كاملاً يتناول هذه التجارة، وينسب في شرح ما كان يقوم به باعة الختم والعريد من الأعياب فيبيعون نوعاً على نوع، وصنفوا على صنف، وقد يبيعون الحرة على أنها رقيق، وعندما يكتشف الشاري هذا يكون قد خسر ماله، ويشير إلى دور المحتسب في منع مثل هذه المخالفات.

كان العبيد تحت السيادة الإسلامية في وضع أفضل بكثير، مما كانوا عليه في إسبانيا القوطية، أو إسبانيا النصرانية، ومن الأسور التي أتت بها الإسلام إلى الأندلس عدم الفصل بين أفراد الأسرة الواحدة فلم يعد من حق السيد أن يفصل بين الأمة وبين أبنائها^(٢)، وكان أبو عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي (ت ٤٠٦ هـ) شيخ فقهائ الأندلس في عهد الحكم المستنصر وعهد المنصور العاشر، ومن فتاويه أن شكت إليه امرأة أن أبنائها المملوك باعها مولاها إلى رجل خارج قرطبة، فأفتى بمنعه من إخراجها وبيعها على مشكروها، وخالفه القاضي ابن زريق، لكن المنصور أخذ برأي أبي عمر^(٣).

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فكان أهل الثمعة، بمنعون أيضاً من التفرقة بين عبيدهم الصبية وبين أمهاتهم كما يقضى حكم الإسلام^(٤).

(١) كتاب في آداب الحسبة، تصحيح ليفي بروكسل، باريس، ١٩٢٧م ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) سحنون بن سعيد التوفسي: المعونة الكبرى، مطبعة السعادة، ١٣٢٣هـ ج ١ ص ١١٠-١١١.

(٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك ج ٤ ص ٦٣٩.

(٤) ابن قريون: شجرة الحكام، القاهرة، المطبعة الكهية، ١٣٠٧هـ ج ٧ ص ١٤٩.

وإذا كان الأحرار من النصارى يؤتون جزية وموسم إلى جماعة المسلمين، فإن هذه لم تكن ملزمة لمن أسلمه رقب أو فيه شافية رقب^(١). أما بخصوص الزواج، فيلخص ابن رشد (الحفيد)^(٢) الموقف في أن القنهاء تقفوا على جوار نكاح الكتائية لحرية، وإحلال الكتائية الأمة بملك اليمين، واختلفوا في إحلال الكتائية الأمة بالنكاح، أما الأمة المسلمة فهي حلال بالنكاح وملك اليمين. ويبدو أن الزواج بالإمامة مسلمت كن أو ككتائيات كان ظاهرة عامة بالأندلس.

وكانت الأمة عندما تنجب من سيدها يتغير وضعها، فتصير أم ولد ولا يجوز له أن يبيعها، وإذا فعل نقض بيعه، وإذا مات عنها صارت حرة، ووصل الأمر إلى حد أنه لا يجوز له أن يستخدمها، وليس له فيها إلا التوبة^(٣)، وكان ابتلاؤه منها أحراراً، بخلاف ما كانت عليه الحال في عهد القوط.

الجنير بالتكر أن أمراه بنى أمة وخلفاءهم بالأندلس، كانوا أبناء أمهات أولاد، وقد حظيت طروب بمكافة كبيرة عند عيد الرحمن الأوسط، وكانت تنجح في تولية ولدها عبد الله عهد إليه دون أخيه محمد. وكذلك كانت نبال أورورا Aurora التي تكتفم حطية الحكم الثاني التي أسلمت وتزوجها ودعيت بصبح، وكانت وراء ازدياد نفوذ المنصور بن أبي عامر، واستبداده بالسلطة في الأندلس فيما بعد.

(١) ابن رشد (الحفيد) المقدمات الممهدات. القاهرة، مطبعة المصنف، ١٣٢٥هـ، ج١ ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد. القاهرة، المطبع، ١٣٣٩هـ، ج٢ ص ٤١، ٤٢.

(٣) ملاء : الموطأ. تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة، المطبع، ١٩٥١، ج٢ ص ٧٧٦، فونشريشي: المعيار للمغرب ج ٥ ورقة ٥٧ ص.

لم يكن الرق منتشرأ في الأندلس لعدة عوامل، منها ارتفاع أسعار العبيد، وبخاصة الجوارى المغنيات، ويروي ابن حبان^(١) أن إحدى الفتيات بيعت في أيامه بثلاثة آلاف دينار، كما أن أهل النمة - يهوداً و نصارى - لم يكن من حقهم أن يحوزا عبيداً من المسلمين، والعبد إذا أسلم يباع على سيده النسي^(٢)، ولولاد العبد الصغير، شأنهم شأن أبيهم، بل إن لم ولد للنسي إذا أسلمت وجب عتقها^(٣).

ورفض عن البيان أن الإسلام كان يشجع على عتق العبيد، ويجعله أحد مصارف الزكاة. وكان في إمكان العبد أن يشتري حريته بمبلغ من المال يؤديه متجماً، وهي طريقة المكتنية، لو يوصى السيد بعتقه حال وفاته، وهي طريقة للتبوير^(٤).

كانت تستمر بشأن العتق وثيقة، يوقع عليها شهود معلما حدث عندما اعتل الحكم المستنصر في سنة ٣٦٤هـ، فأعتق مائة رقية من عبيده، ووقع على الوثيقة ولده هشام ولفقهاء وأهل الشورى والعقول^(٥).

وكان يحدث أحياناً أن يدعى بعض الناس الحرية، ويدعى آخرون امتلاكهم لهم ، وكان فقهاء الأندلس يميئون إلى جانب الأولين، لأن الأصل في الإنسان هو الحرية، وعلى من يدعى امتلاكهم أن يأتى ببينة. وفي لواخر القرن الثالث ادعت امرأة الحرية ، فأجمع سبعة من الفقهاء ، بينهم عبيد الله

(١) في ابن عذاري : فريق المغرب ج٢ ص ١٨٢.

(٢) ابن رشد (العبد): المقدمات ج١ ص ٢٧٥.

(٣) سبطون : المدونة الكبرى ج٨ ص ٣٢.

(٤) مالك : الموطأ ج٢ ص ٨٠٠، ابن رشد (الطهري) بداية المجتهد ج٢ ص ٣٥٢،

٤٦٤.

(٥) ابن حبان : منتخب، قطعة الحكم المستنصر ص ٢٠٦.

ابن يحيى بن يحيى على أن المدعى لرقياً أثبات دعواه في حين انفراد ابن
لُبَّاه - وحده - بأن البينة على مدعية الحرية^(١).

كان العبد عندما يتم عقده يصير مولى لمن أعاقبه، عضواً في أسرته،
لا يختلف عن بقية أفرادها، فيرت مولا ويرثه مولا، وينسب إليه إذا لم يعلم
أبوه^(٢)، غير أنه غالباً ما كان يصير ولاء المعتق إلى الأسرة الأموية التي
تمثل جماعة المسلمين، وهو الأمر الذي يقس كثرة النسبة الأموية بين الموالى.
أقبل عدد كبير من العبيد على الإسلام، حتى يشتعوا بحريتهم. وقد
ذهب البعض إلى أن غالبية المولدين - أي الإنسان المسلمون - أقتان حصلوا
على حريتهم بالإسلام^(٣). أما المعتق الذين ظلوا على نياتهم، فكانت لا توجد
منهم جزية^(٤)، الأمر الذي أثار استغراب ابن حزم^(٥).

شارك العبيد في الحياة العامة بالأندلس، واستخدمتهم الأسرة الأموية
كجنود، ودخل في عددهم عدد من السود، ومنهم يزيغ الذي اشتراه عبد
الرحمن الداخل، وظهرت منه نجدة^(٦)، ومسل وكنه الحارث عاملاً للأخوين
محمد على قلعة رياح Calatrava^(٧) وطليعة Talavera وكان لدى المنصور

(١) يحيى بن عمر : كتاب الأحكام، مخطوط بالمعهد البريطاني برقم ٢٦٦ ورقة
١١ ظهر، ابن فرحون: تبصرة الحكام ج٢ من ١٥٤.

(٢) الأجزاء ٥، قرطبي، الجامع لأحكام القرآن، قضاة، دار الكتب المصرية،
١٩٢٦م ج٤ من ١١٩.

(3) Cambridge Medieval history, vol. III p. 429.

(٤) مسنون : المدونة الكبرى ج٢ من ١٢.

(٥) السطلي، تحقيق أحمد شاكر، دار الطباعة المصرية، ١٣٤٨هـ، ج٧ من ٣٤٧.

(٦) أخبار مجموعة من ١٠٩.

(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ج٢ من ٩٥.

ابن أبي عامر من العبيد السود ألفا فارس، يضربون عادةً إلى الجزير^(١)، كما كان القاسم بن حمود كلفاً بهم، وإيتاح الكثير منهم، وجعلهم على أوصاله، وأبدوه في صراعه ضد ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود^(٢).
لنهم موالى الثقافة إلى الثقافة العربية بالأندلس، ويمكن أن تدخل فيهم عباس بن ناصح الجزيري الشاعر، وكان والده عبداً لأمراء من تيف^(٣) وأحمد بن بيطير (ت ٣٠٣ هـ) وكان حافظاً للثقافة مشهوراً في الأحكام متقناً في الفتوى^(٤). وسالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن أبي (ت ٣١٠ هـ) وكان رواية عن عدة من الأندلسيين^(٥)، وسعدان بن إبراهيم بن عبد البراث ابن محمد بن يزيد ويعرف بأبن الجُرْز (ت ٣١٦ هـ) من أهل ريه، سمع من محمد بن ومناخ بقرطبة، وأبني بموضعه وولي صلاته^(٦).

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ١١٩.

(٢) ابن خيان في ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ١٢٠-١٢١.

(٣) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٣٢٤ تر ٢٢٢.

(٤) ابن قزوين: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٩٨ تر ٧٧.

(٥) المستدرق السابق ج ١ ص ١٩٣ تر ٥٨١، الحميدي: جذوة الفقهاء ص ٢٢٩ تر ٤١٥.

(٦) ابن قزوين: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٨١ تر ٥٤٣، الحميدي: جذوة

الفقهاء ص ٢٢٩ تر ٤٩٢.

1

2

3

4

الفصل الثاني

عناصر المجتمع في إسبانيا النصرانية

كانت الأقطار النصرانية في إسبانيا هي: أستوريش Asturias جليقية، قشتالة Castilla، البرتغال Portugal، نبرة Navarra، أطلونيا Catalonia، وكوتشيات صغيرة لدى مفرح البرتات أهمها أرغونة Aragón. ومع أن أستوريش وجليقية كانتا مملكة واحدة، إلا أن أوضاع كل منهما كانت تختلف عن الأخرى، وفي أواخر القرن التاسع الميلادي صارت مملكة أستوريش - جليقية تدعى بمملكة ليون León، بعد امتداد حدودها شرقاً وجانباً على حساب المسلمين، وضمها لأرض جديدة. صاحب هذا الامتداد إنشاء عدد من القلاع في القسم الشمالي من الميسينا الأيبيرية المعروف باسم برغوليا Berulia، وقد مهد ذلك لظهور إمارة قشتالة، وهي بلاد القلاع، التي كثيراً ما يتردد ذكرها - مضافاً إليها ألّيه Alava - في الوثائق الإسلامية، وكانت هذه الإمارة تنزع نحو الاستقلال، وقد تحققت غايتها خلال القرن العاشر الميلادي، وفيما بعد تزعمت قشتالة الممالك الأيبيرية جميعها. صاحب هذا الامتداد أيضاً ظهور إمارة البرتغال في مطلع عصر الطوائف، ثم صارت مملكة قبل أن ينتصف القرن الثاني عشر. وفي أوائل القرن التاسع الميلادي بدأ ظهور إمارة نبرة في بلاد البشكنس Los Vascos وحاضرتها بابلونة Pamplona وكانت إمارة ضعيفة الشان صغيرة المساحة، وفي القرن الثاني، أصبحت منافساً أساسياً لليون خاصة بعد اتحادها مع كوتشيتا أرغونة.

لما أرغونة، وإن كانت قد بدأت تاريخها إمارة صغيرة، جرى احتلالها في مملكة تبرقة، إلا أنها عاينت الوجود مرة أخرى خلال القرن الحادي عشر، ولم تثبت أن اتحدت بنورها مع إمارة قطالونيا، لتصبح هذه المملكة القوة الثانية في شبه الجزيرة بعد مملكة قشتالة.

والى جانب أستوريش - جليقية ونبرة وأرغونة كان هناك الثغر القوطي أو الاسباني Limes Hispānicus في منطقة قطالونيا، نشأ بعد استيلاء الفرنجة على برشلونة في عهد الإمبراطور شارلمان Charlemagne ٧٦٨-٨١٤ م وكان هذا الثغر امتداداً للإمبراطورية الفرنجية في شبه الجزيرة الأسبانية لكنه لدى تفكك هذه الإمبراطورية بعد وفاة مؤسسها، تقاسمته تسع كونتيات أهمها برشلونة وألمبا بعد اتحدت هذه الكونتيات لتتألف إمارة قطالونيا.

تميزت مملكة ليون عن غيرها من ممالك السبانيا النصرانية، بما كان لها من تأثير في الأحداث في صدر التاريخ الأنثسي، وتعد هذه المملكة إلى حد ما امتداداً للمملكة القوطية التي أزالها العرب.

كانت عناصر المجتمع في الممالك النصرانية باسبانيا هي :

١ - النبلاء :

كان على رأس هذه الطبقة الملك، وعلى الرغم من تحصيل الحكم في أسرة واحدة بالوراثة، فإن ذلك لم يمنع وقوع منازعات على العرش، مما ساعد على تجديد عزوفات المملكين وتوسيعهم، بل وتدخلهم في شئون القضاة الداخلية، وبخاصة في عصر الخلافة.

ارتبط النبلاء بنظام الإقطاع الذي أضفى نظاماً أساسياً في أوروبا، منذ القرن التاسع، ويظهر أثره في اسبانيا، غير أن نمو هذا النظام في قطالونيا كان أضعف منه في ليون ، بسبب ارتباط الأولى بالقارة^(١). ويقوم نظام الإقطاع

(1) Cambridge: Economic history of Europe. 1971. Vol. I. p. 433.

على أساس التعاقد الخاص بين الأتباع والسيادة فيؤدي التابع للخدمة العسكرية وغيرها من الخدمات، ويحظى في مقابل ذلك بحق الانتفاع بالضريبة أو المنصب، والميد ولأيات قضائية في منيعته، ويتسلم الأجير من أتباعه، وفي سنة ٨٧٧ م اعترف بورقة حق الانتفاع في قطالونيا^(١).

شملت طبقة النبلاء بقايا قبلاء العهد القوطي، مضافاً إليهم عدد ممن برزوا في مجال الحرب أو المناصب الحكومية، وكان كبار القبلاء^(٢) Seniores يخدمون قبلاً للملك Fideles Regis ، ويشاركون في مجلس البلاط. Oficina Palatino ويرى سافيتش ليرنوت أن هذا المجلس ألت إليه اختصاصات مجلس الملك القوطي العلماني، وكذا مجلس طليطلة الديني^(٣).

لما صغار النبلاء فكثروا يدعون Infanzones^(٤) وهم أتباع لكبارهم، وينحدرون من أصل تيبلي، ويقاتلون على خدماتهم نقداً أو يمنحون لأرض كاتلاخ^(٥).

كان قبلاء - إلى جانب ذلك - يرون أن من حقهم الاستقلال عن الملك، والانتقال إلى مملكة أخرى، إذا غضبوا منه لسبب أو لآخر، بل إن بعضهم كان ينتقل إلى الأندلس، ويحارب في جيوش المسلمين ضد قومهم وأبناء دينهم^(٦)، ويقتل على ذلك من قصة السيد القنيطور El Cid Campeador

(١) O'Callaghan: op. cit. pp. 165-199.

(٢) ويدعون أيضاً Barones, Proceres, Magnates, Optimates

(٣) Ibid, pp. 169-170.

(٤) ويدعون أيضاً Caballeros, Milites

(٥) Ibid, p. 178.

(٦) محمد عبد الله علق: دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، تحقيق، ١٩٦٦ ع

فقد تنقل في ولايته بين المسلمين والنصارى،
قام النبلاء بعدة ثورات في مملكة ليون ، مثل ثورتهم ضد راميرو
الأول Ramiro ٨٤٢ - ٨٥٠ م في سنتي ٨٤٥ ، ٨٤٩ م ، التي أخمدتها
بحلف، وقبض على معتزم زعمائهم ، وأعدم الكثير منهم^(١)، وثورة القوم
عند شالب Gandilvo Sánchez حاكم جليقية على الملك شالجه الأول
Sancho ٩٥٦ - ٩٦٦م^(٢).

٢ - رجال الدين :

شكلوا الطبقة الميراثية لطبقة النبلاء، وحافظوا على امتيازاتهم الموروثة
من عهد القوط، وما أعانهم على ذلك حال الحرب الممتدة مع المسلمين،
وكانت تحمل طابعاً دينياً إلى جانب المصالح القومية، خاصة بعد أسطورة
اكتشاف قبر القديس يعقوب Santiago de Compostela في جليقية. وقد انفرد
رجال الدين بأرض خالصة بهم، وأهم أتباع بيتون بالولاء لهم ، وشاركوا
النبلاء في عضوية مجلس النبلاء^(٣).
كذلك أسهم النبلاء في تدعيم سلطة الكنيسة، فكثفوا يمتحنون الأساقفة
ورؤساء الأديرة من حين لآخر قطاعات غير مسبوحة للموظفين الملكيين
يدخلوها، فكثفوا بدورون الأقليم ويجمعون الضرائب والأموال، ويجهزون
الجيش ويزاولون القضاء^(٤).

(١) المرجع السابق ع ١ ق ٢ ص ٢٥٥.

(٢) المرجع السابق ع ١ ق ١ ص ٥٩٦-٥٩٧.

(٣) Cambridge Medieval History, Vol III pp. 439-440.

(٤) O'Callaghan: op. cit. p. 171

تدخلت الكنيسة في صراعات العرش كما فعل البابا، فتأمرت على مورقلاط Mauregato (٧٨٣-٧٨٨م) الذي اضطر إلى الاستعانة بالمسلمين في مداخلتها^(١)، وكان من جملة من خرج على شانه الأول Sanchio ملك ليون سمعانو Sisenando أسقف شتيايف الذي كان قد حصن المدينة وقسمه الأماني بحجة حمايتها وحماية مزار القديس يعقوب من غارات التورمان ، لكنه لم يلبث أن أعلن العصيان، وإن اضطر في النهاية إلى فتح أبواب المدينة للملك^(٢).

لم يكن لدى رجال الكنيسة الحرية في مناقشة الآراء الجديدة، فلما أعلن إلباندوس Elipandus مطران طليطلة نجلة لأبني^(٣) في أواخر القرن الثامن، وأبوهم فليكس Félix أسقف أورجة Urgel في ألتور الأسباني استدعت الكنيسة اليكس هذا ليحكم أمام مجمع كنسي في فرانكفورت سنة ٧٩٤م حيث كانت تولجهم تهمة البرطقة، ولم تستطع أن تفعل شيئاً لمطران طليطلة^(٤).

٣ - الأحرار :

يطلق عليهم Ingenui^(٥) وكانوا يشكلون طبقة وسطى، عمل بعض أفرادها كصناع وحرفيين يتقنون بين شجعة وأخرى، وكان عدد الذين انضموا منهم بالمدن محدوداً^(٦) ، على أن الأحرار ارتبطوا أساساً بالنظام الاقتصادي المسائد، وحفز بعضهم الأرض হিসارة كاملة . وقد أدت هجمات المسلمين

(١) محمد عبد الله عان: دولة الإسلام في الأندلس ع ١ ق ١ من ٢١٩.

(٢) لمرجع السابق ع ١ ق ٢ من ٥١٦.

(٣) وثقب الجلب القسري في المسيح، وتذهب إلى أنه ابن لله بالقبلي.

(٤) O' Callaghan: op. cit. pp. 186-187.

(٥) Van Koningveld: The Latin Arabic glossary of the Leiden University library. Leiden 1977, p.63.

(٦) O' Callaghan: op. cit. pp. 183-184.

والحروب الأهلية إلى حمل عدد كبير منهم على طلب الحماية من النبيل أو الأسقف أو رئيس النير^(١).

وكان النبيل يزود أتباعه الأحرار بالغذاء والكساء والملجأ والعمل في دياره، على أن ينتقموا هم بالأرض نظير دفع إيجار عنها، ولم يكن يسمح لهم بتركها^(٢):

بيد أن غالبية الأحرار كانوا أجراء يعملون في الضوايح الكبير مرتبطين بالأرض Adscriptos a la tierra مثل الأتقان في العهد القوطي^(٣)، وحيث أنهم كانوا يؤدون الجزية لسيادتهم فقد دعوا باسم Uniores, Tributarii وكانوا يدفعون رسوماً مقابل استخدام طاحونة النبيل أو فرنه أو معصرة تبيذه، أو المولقة على زواج أحد منهم أو مفارقة^(٤).

أجحت للأحرار الفرصة أن يعيشوا حياة أفضل، في المناطق التي تم استردادها من المسلمين في وادي دوير، على وجه الخصوص، فكان لمن شارك في تمرد المسلمين وليدئ شجاعة، الحق في الحصول على قلعة أرض ويمنح من أداء ضرائبها، شلته في هذا شأن رجال الدين والنبلاء^(٥). وكان النصارى المهاجرون الذين فارقوا الأنكلس عظمراً هماً بين هؤلاء بل كانوا في الحقيقة أهم هذه العناصر، فاشتغلوا بالزراعة وغيرها من المهن، وصار بعضهم رهباناً، وكانت مهزاتهم الزراعية والصناعية عالية، بسبب مستواهم الثقافي^(٦).

(1) Cambridge Economic history of Europe p. 343.

(2) O' Callaghan: op cit. pp. 178-179.

(3) Cambridge Economic history of Europe vol. I, p. 436.

(4) O' Callaghan: op cit. pp. 179-183.

(5) Ibid p. 177.

(6) Livermore: The Origins of Spain and Portugal, p. 377.

لم تزد حركة الاستقرار في الأراضي الجديدة إلى تحسين أحوال طبقة الأحرار، فعدد من استقر فيها كان قليلاً منذ البداية^(١)، ثم إن الخراب كان يعم تلك المناطق خاصة إبان الحروب مع المسلمين، ولم يبدأ التعمير إلا في في لآخر القرن التاسع، وكان الممسرون لا يحصلون على الاعتراف الملكي بحقوقهم في بعض الأحيان^(٢).

لكن تلك الحال التي عاشها الأحرار إلى هربهم من أراضي مسابهم، ولما أصبحت هذه ظاهرة عامة، اضطر ألفونس الخامس في سنة ١٢٠٧م إلى السماح للأجير بتركه أرض سيده، على أن يسلمه نصف سلعه المنقولة^(٣).

٤ - اليهود :

كان عددهم كبيراً، وبخاصة في لشغر الأسباني، فدعيت طروكونة Tarragona بمدينة اليهود^(٤)، وفي برشلونة كانوا يعملون النصارى كثر^(٥) ويشير الرحالة بنيامين التابلي^(٦) إلى أنها حقلت بعدد من علماء اليهود وحكمتهم، وقد أقام اليهود في أحياء دعيت بمسكرات اليهود Castro Judaeorum^(٧).

(1) Cambridge Economic history of Europe, pp. 66-67.

(2) O' Callaghan: op cit, pp. 181-182.

(3) Ibid p. 180.

(٤) الشريف الأريسي: سنة المغرب من ١١٩١.

(٥) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق عبد الرحمن المجبي- بيروت: دار

الارشاد، ١٩٦٥م، ص ٩٦، الحميري: فروض المعطر ص ٤.

(٦) رحلة بنيامين التابلي، ترجمة جزرا جداد، بغداد، المطبعة الشرقية، ١٩٤٥م،

ص ٥٠.

(7) Barre: op. cit. Vol IV, p. 35.

ومما يجدر الإشارة إليه أن اليهود الذين ولجها صهيون شديدة من قبل ملوك القوط قبل الفتح الإسلامي، عوملوا معاملة طيبة من قبل ملوك النصارى بعد الفتح، واستعانوا بهم في الوظائف العليا. وكتاب ألفونس السادس (١٠٦٥-١١٠٩م) إلى يوسف بن تاشفين قبل معركة لازلاق، يشير إلى هذه الحقيقة التي ورثها عن أسلافه فقال في حديثه عن اليهود أنهم "وزرائنا وكتائنا وأكثر خدم العسكر منهم فلا غنى بنا عنهم"^(١) وقد عبر مادارياجا Madariaga عن وضع اليهود في ذلك الوقت بأن إسبانيا هودت، وكان ترتيبهم يأتي مباشرة بعد الملك والنبلاء، وسمح لهم ببناء المعابد التي تصل في ارتفاعها إلى ارتفاع الكنائس المسيحية، وكانت دية اليهودى تساوى لحياتاً دية الفارس أو القس^(٢).

زاول اليهود أعمالاً مختلفة، منها الطب، ويذكر أن نجد بين أطباء القصر الملكى من أيام يهوديا^(٣)، وسمح لهم بملكية الأرض وزراعتها، وكانوا يمتلكون نحو ثلث الضياع الكبيرة في برشلونة^(٤)، وأنشئت في الأراضي التي استصلحت بعض المستوطنات، وأطلق عليها اسماء يهودية، مثل Villa Judaica, Mons Judaeorum^(٥).

على أن اسهام اليهود في الزراعة كان محدوداً، وكانت التجارة مجال عملهم الرئيسى فتحكموا في تجارة التسيج والأحجار الكريمة بمدينة ليون في القرن العاشر^(٦)، واشتهروا بتجارة ترقيق، كما كانوا يتعاملون بالربا

(١) عبد الولد المراكشى : المعجب، ص ١٢٤.

(2) Poliakov; op. cit. Vol II. pp. 106-113.

(3) Castro; op. cit. 49.

(4) Encyclopaedia Judaica. p. 227.

(5) Baron; op. cit. Vol. IV p. 29.

(6) Encyclopaedia Judaica p.226.

وبعضهم الناس بمصر قلادة كبير يبلغ الثلث^(١).

قام اليهود بدور في الحياة الثقافية في اسبانيا النصرانية، فمكثوا على نقل الكتب العربية وترجمتها إلى اللاتينية، وقد كتب قسم كبير من الأدب اليهودي في الأندلس بالعربية. أما في اسبانيا النصرانية فتون بالعبرية^(٢). أما عن موقف الكنيسة ولشعب من اليهود، فكان يباين موقف الملك وبلاقضه، فلم يكن استخدامهم يحظى برضاء الكنيسة، وفي المجمع القشتالي بأزبج Oviedo سنة ١٠٥٠م، قرر ألا يعيش نصراني مع يهودي ولا يشاركه طعامة^(٣). ويشير القرافي^(٤) - وهو من فقهاء المسلمين (ت ٦٨٤هـ) إلى أنه جرت العادة في برشلونة وطركونة وسائر مدن الفرنج، أنه في ثلاثة أيام معلومة كل سنة، يحرض الأساقفة العامة على اليهود، فيطلقون إليهم يطالبونهم، فمن وجدوه منهم قتلوه ولبسوا داره.

٥ - الأقتان والعبيد:

عرف العبيد بعدة مسميات أشهرها Servi^(٥)، وتقسوا إلى عبيد دولة Fiscales، عبيد كنيسة Ecclesiasticos عبيد أشخاص Particulares^(٦) ولم يكن للعبيد أية حقوق، كما كان شأنهم في عهد القوط، وليس لهم أن يتقاضوا، ويخضعون لأرادة السيد خضوعاً تاماً^(٧).

(1) Castro: op cit p.471.

(2) Waxman: op cit Vol I, pp 155-156.

(3) Bacon: op cit p. 37-43.

(٤) الأجوبة الأخيرة عن الأسئلة القانونية. على هامش كتاب الفارق بين المملوك

والخلاق لعبد الرحمن بك القندي بلجيه ج١ زائد - مصر - مطبعة الموسوعات د ت ص ٤٤
والشارح أيضاً: Bacon: op cit Vol V, p. 109.

(5) O' Callaghan: op cit, p. 180.

(6) Cambridge Medieval history Vol. III p. 439.

(٧) محمد عبد الله عاتق: دولة الإسلام في الأندلس ج ١ ق ٢ ص ٦٠٣.

أما الأتقان - وهم رقيق الأرض - Coloni فكانوا يعتبرون جزءاً من الأرض، ويتضمنون في عقود البيع والشراء، وحالة القلية تتحدد بالميلك أو الذين أو الأسر^(١) وكان الأتقان يدفعون للمالك مبلغاً كبيراً، نظير السماح لهم بمغادرتهم^(٢).

أدت الأحوال السيئة التي كان يعيشها العبيد إلى قيامهم بالثورة على أسيادهم في استوريش في آخر القرن الثامن، ولما قُضت ثورتهم أُعيدوا إلى ما كانوا عليه^(٣)، وهرب بعضهم إلى الأراضي الجديدة التي جرى استصلاحها، حيث كانوا يحصلون على حق الانتفاع، غير أنهم مالئوا أن حرّموا من حرية ترك أرضهم.

كان الأسياد من حين لآخر يحررون عبيدهم، ويصدرون في هذا الخصوص براءة تحرير Carta Ingenuitas، وفي نهاية القرن العاشر كان المعقون Liberti يشكلون غالبية السكان، لكن المعتق كان يخضع عبادة لحملية سيده السابق، ويؤدي له منبرية الرأس، ويواصل العمل في منيعته، أو يزرع الأرض التي سبق أن عاش فيها كعبد^(٤).

٦ - المسلمون :

لدى توسع نصارى الشمال على حساب المسلمين في أخريات عصر الرواة، ثم في عصر الإمارة، إلى امتلاكهم نحو ثلث تشيه الجزيرة، في حين اختص المسلمون بالثلثين. وترقب على ذلك أن أضيف إلى عناصر المجتمع في إيبانيا النصرانية عنصر جديد هو المسلمون الذين هاجر بعضهم ولحق

(1) Cambridge Medieval history Vol. III, p. 439.

(2) Cambridge Economic history of Europe, vol. I, pp. 436-437.

(3) Dozy: Spanish Islam p. 226.

(4) O' Callaghan: Ibid. p. 380.

بأخواته في الأندلس، بينما أثر البعض الآخر ببقاء حيث أقام، لارتباط مصالحه بالأرض التي نشأ عليها.

ومن العوائل التي أتت إلى وجود العنصر الإسلامي في إسبانيا النصرانية الغزوات التي كانت متبادلة على جانبي الحدود، وكان النصارى يعودون أحياناً بعدد من الأسارى المسلمين.

وهناك فريق من المسلمين كان يأتي إلى الممالك النصرانية طوعاً أو رغبة، مثل يزيد بن محمد بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر إبان سقوط الخلافة فقد لحق بالراض النصارى وارتد^(١).

ومن المسلمين من كان يأتي إلى هذه الممالك بنزول رغبة، مثال ذلك ما قام به سليمان المستعين، فقد أهدى شانه الثالث الكبير el Sancho Garcés Mayor ١٠٠٠-١٠٢٥م ملك ليرة، عدداً من القبايل المسلمات حين طلب مساعدته في الفتنة^(٢).

عرف المسلمون الذين تنقلوا بالممالك النصرانية بعدة مصطلحات، والمصطلح الذي غالب على هولاء ابتداءً من عصر الطوائف أو قبله بقليل هو المنجرون^(٣) Mudéjares أما في المصور الأولى منذ الفتح حتى سقوط

(١) ابن حزم : جمهرة السوابغ العرب ص ١٠٢.

(٢) ابن هشام : الفخيرة ق ٢ ص ٣١٥.

(٣) يحاول فرانسيسكو فرنانديث في جريثايت P.Fernández Y González أن يربط بين قول جون وبين قول داغلز، وأن أصل كلمة Mudéjar أي مدجن هو مدافع Mudéjar ويستعين على ذلك ببعض التسميات العربية. انظر :

Estado social Y político de Mudéjares de Castilla. Madrid, 1886. p. 34 de introducción.

لخلافة، فكان يطلق على المسلمين بوجه عام "ماورئى" (١) Mauri، كما كان يطلق على المسلمين المقيمين بين ظهرائى التمسارى Mauri Capri أى المسلمون الأكرى، لأنهم أسرى حرب، واعتبروا عبيداً، وفى عصر الطوائف ظهر مصطلح Mauri Pacis أى المسلمون المستسلمون و Mauri Regis أى المسلمون التابعون للملك وهم احرار (٢).

ولمست لدينا معلومات وافية عن حال المسلمين الأوائل فى الأندلس التى استردها التمسارى، ويشير صاحب الأخبار المجموعة (٣) إلى أن بعضهم تنصر على أن أعدادهم لم تكن كبيرة، ولا يمكن أن نقارن بأعداد التمسارى المعاندين فى الأندلس.

على أن هذا ترويج قريباً منه معالمة اللغوية، فالقمة الاستعمارية لمصطلح منجلىن تساوى قيمته اللغوية، وفى التمان (ج ٢ من ١٢٢١) "نجد بالشكك بين دجونا، أنام به والله. ابن الأعرابي لحن مثله. أقام فى بيته، ومنه فى بيته أى لزمه وبه سميت دولون القيوت، والدلالة حسن المخاطبة ومعنى هذا أن المنجلىن قوم مسلمون لزموا ديارهم وأثروا السلامة. يؤكد ذلك ما ورد فى معجم التوكايرليستا Vocabellista فنرد لفظة منجى وشاويها لفظة Tributarius أى معاهد يدفع الجزية Teibenum انظر: Dazy: Dupplément. Vol. 1 p.425. ويشير صاحب الروض المعطار (س ١٦٦) فى

الفترة نفسها إلى المسلمين المعاندين بطولقة.

(١) انظر الدراسة القيمة لنبيل باربور Nevill Barbour عن لفظة ماورى

ومشتقاتها فى Actas do IV congresso de estudos Árabes e Islâmicos, Coimbra-

Lisboa, 1968. Leiden Brill, 1971. pp. 253-269.

Semadites, Saraceni Arabes, وتشير الدراسة إلى مصطلحات أخرى وهى: Agareni, Caldei, Barbari, Moabitas.

(2) Dicionario. Tomo II. p. 570.

(٣) من ١٢.

كان الرقيق المسلم يعامل معاملة سيئة^(٢) ، وكذلك نوبة الرندى^(٣) (ت ٦٨٤ هـ) المشهورة، كيف كانت حال المسلمين، حين يقعون في أيدي النصارى، وخاصة عد بينهم فيرق بين أبناء الأسرة الواحدة. وفي ترجمة الشيناي^(٤) لبقى بن مخلد، يشير إلى الأسرى المسلمين المستعبدون في بلاد النصارى، وكيف أنهم كانوا يستخدمون في تعمير الصحراء (أي الأراضي المستردة)، ويعملون تحت إشراف الرهبان، وتوجه إليهم الاهانات، وفي غير أوقات العمل، كانوا يعانون إلى قيودهم. كان يحدث أحياناً أن يتم خصي المسلم بعد أسره، فلدى وفاة المرتضى الأموى بعزورقة Mallorca، قام بالأمر بعدد أحد خصيائه ويدعى مباشر، تلقب بناصر الدولة، وأصله من لاردة Llerda، سباه العدو صغيراً ثم خصاه، فلما وجه المرتضى رسولا إلى النصارى، استحسن الرسول عقل الفتى مباشر والقدار، وقدم به على المرتضى ففر به إليه^(٥).

على أن نصارى الشمال تأثروا فيما بعد بالتعاليم الإسلامية في عتق العبيد، وليس أدل على ذلك مما ورد في الوثائق المستعربية، فتشير إحداهما إلى مملوكة متحصرة، فاطمت سيدها على حريتها، بقدر من المال تؤديه متجماً

(٢) Lea; H.C.A history of the Inquisition of Spain. N.Y. Macmillan, 1906. Vol. 1. p.57.

(٣) قصيدة طويلة، أشرف إليها في عصور تالية. راجع نسبها في المقرى: نفع الطيب ج٢ ص ٥٩٥.

(٤) جذرة المقتبس. ص ١٧٩ تر ٣٣١، وانتظر أيضاً: المقرى: نفع الطيب ج٢ ص ٥٨٩.

(٥) ابن القريبس : كتاب الاكتفاء في تاريخ الأندلس لابن القريبس ووصفه لابن قتيبة. تحقيق أحمد مختار العدوي: مدريد، معهد الدراسات الإسلامية ١٩٧١م ص ٢٢٦-٢٢٣.

فتصير حرة، وهي طريقة المكاثبة^(١)، وتشير وثيقة أخرى إلى وصية رغبة بعث ملكها المسلمة عند وفاتها، وهي طريقة للتبني^(٢).

كان العبيد المسلمون يفلوت عددهم بين عصر وآخر، وكثيراً ما كان يتحرر بعضهم بعد غزوات تاجحة لجيش الأندلس^(٣)، كما كانوا يتضمنون أحياناً في هدايا ملوك الشمال لثقلاء بني أمية^(٤)، وجدير بالذكر أن إيفاق المال في إطلاق سراح الأسرى كان من الأعمال الصالحة التي يتقدم عليها بعض الأثقياء^(٥).

لم يثر وجود مسلمين في بلاد النصارى مشكلة كبيرة لدى فقهاء المسلمين في البداية، غير أن هذه المشكلة ظهرت بواورها في مسئول القرن الخامس الهجري، حين سلم بعض المقاتلين على الخلافة إلى النصارى مدناً وحصوناً ومعقل، ويقرر ابن حزم^(٦) الذي عاش في هذه المرحلة، أن المسلم إذا لم يكن قادراً على الهجرة لسبب أو لآخر، فهو معذور، وإذا شارك الكفار في حربهم وأمانهم فهو كافر، وإذا أقام لدنياً يصبوها وهو قادر على الهجرة فغير معذور لكنه لا يكره.

وفي غزاة المنصور بن أبي عامر إلى قطالونيا، اقتحم مدينة برشلونة، وأبقى هناك عدداً من المسلمين، أئذ هم النصارى في سنة ٩٨٦ - ٩٨٧م

(١) vol. III pp. 59-60. Doc n. 788 Año 1241 Diciembre.

(٢) Vol. III p. 67. Doc n. 795. Año 1242 mayo.

(٣) المقرئ : فتح المظرب ج١ ص ١٦٦، ابن الأثير الكامل: ج١ ص ١٤٢.

(٤) ابن حبان : المقتبس ص ٥ من ٤٧٥-٤٧٦.

(٥) الفريدي : نهاية الأرب ج ٢٢. تحقيق أحمد كمال زكي. القاهرة، الهيئة العامة

للكتاب، ١٩٨٠ ص ٣٥٨.

(٦) المعلى . ج ١ ص ٢٠٠.

بالخروج منها، وشاركوهم فيما بعد حروبهم ضد لغواتهم المسلمين^(١). ويقول ابن رشد (الجد) في هؤلاء أن حكمهم حكم أهل الفساد والحرية، ولكن لا تحل أموالهم^(٢)، أما لورنريشي^(٣) - وهو فيه متأخر - فلا يجيز شهادتهم في أعقاب سقوط طليطلة في سنة ١٠٨٥هـ/١١٧٨، وغيرها من القواعد الأندلسية في أيدي الملوك النصارى، دخل في طاعة هؤلاء الملوك طوائف كبيرة من المسلمين الذين أثروا البقاء حيث هم، وصاروا يدعون بالمدجنين. عومل هؤلاء المدجنون معاملة في مجملها طيبة، لكنها لا تعدل معاملة المسلمين لرعاياهم النصارى في زمان سابق، وكان يوجد دائماً ثيار يتحو نحو التضييق عليهم، تشاهد أمثلة عديدة عليه، ولم يلبث أن تنامي هذا التضييق حتى أصبح الثيار الحاكم في أخريات الوجود الإسلامي بالأندلس، وبدأت من ثم الحملات التي قتمت بالثي في أوائل القرن السابع عشر الميلادي^(٤).

(1) Carreras Y Candi, Francisco: Relaciones de los Vizcondes de Barcelona con Los Árabes, en Homenaje A.D. Francisco Codera. Zaragoza, 1904. pp. 207-209. Lévi-Provengal, op. cit. Vol II p.238.

(٢) لورنريشي: المعيار المغرب م ١ ورقة ١٩٩.

(٣) المصدر السابق م ٥ ورقة ٢٠٣.

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع : عثان : المرجع نفسه ج ١ ص ٥٦ وما بعدها.

٧ - تقويم لعناصر المجتمع في إسبانيا بعد الفتح الإسلامي:

إذا نظرنا نظرة على ممالك الشمال، وجدنا المملكة الألمانية - مملكة ثيون - نشأت وعاشت منذ حياتها حتى عصر ملوك الطوائف في منطقة وعره شنيطة الموارد قليلة السكان^(١)، ويحيط بالمينيتا من الشرق إلى الغرب أنهار الدويرة والتاجه وواي الله Guadiana، وجميعها غير صالحة للملاحة وماؤها منخفض عن المستوى العام للبحيرة، مما يقيده كثيراً في الزراعة^(٢). هكذا كان اقتصاد هذا المجتمع رعيياً قديراً، إنتاجه الزراعي محدود والصناعة تكاد تبقى بحاجة المجتمع المحلي في المدينة، وقد أدت هذه الحال إلى تأخر التجارة، بل أن التقود نفسها كانت بادرة ولجأ الناس في بعض الأحيان إلى التقيضة^(٣)، كما أصاب الانهيار البلديات، حتى أن استورقة وثوذة Tky خللتا غير مأهولتين حتى منتصف القرن التاسع الميلادي^(٤).

فضلاً عن ذلك، فإن استقرار حال للحرب بين أمراء الإقطاع في الداخل ومع المسلمين في الخارج، تكشف عن حقيقة الأوضاع السياسية في إسبانيا النصرانية وتكوين لها لا تقارن بما كان سائداً في الأندلس، حيث لم تقم ثورة لأسياب اقتصادية سوى لفترة الكبرى في أول عصر الامارة، وقد أسهمت فيها عوامل أخرى غير العامل الاقتصادي.

لم يعرف المجتمع الأندلسي نظام الطبقة المتعلقة، فمناصب القضاء ومناصب الصلاة كان يتولاها مسلمون ينتمون إلى عناصر مختلفة، وبعضهم من أصل إسباني، وكان المعيار هو الامام بعلوم الدين، فضلاً عن النزاهة

(1) Cambridge Economic history of Europe. vol. I p. 432-.

(2) Baunigan, J. & Jarrett, H: The Mediterranean Lands, London, Macdonald, 1975 p.207.

(3) Cambridge Medieval history. Vol. III, p.441.

(4) Dozy: Spanish Islam p.412 ante n°1.

وحسن الخلق^(١)، واتسع نطاق الطليقة الوسطى، وبخاصة في عصر عهد الرحمن للناصر، فصارَت تضم كثيراً من المولدين والنصارى المعاهدين، ووضعت نشاطها في الصناعة والتجارة.

أما في إسبانيا النصرانية، فقد اتخذ الانتماء إلى طليقة معينة شكلاً وراثياً فمن كان أسلافه نبلأ صار نبلاً، واجتمعت إليه ملكية الأرض والمنصب، ومن كان أسلافه من لوساط الناس أو العبيد صار كذلك، وبنسباً دعوا الإسلام إلى المساواة بين الطليقات، فدية الحر واحدة، مهما كان وضعه الاجتماعي، نلاحظ تفاوتاً بين دية اللبل وبين دية غيره من الأحرار^(٢).

وعرف الأندلس الفصل بين السلطات، فكان القضاء يتولاه رجال عدول متخصصون ذوو ثقافة عالية، ويصدرون أحكامهم وفق ما يقتضى به الشرع^(٣) أما في إسبانيا النصرانية، فكان للملوك يتولون القضاء بأنفسهم، أو يتولاه النبلاء، ويطلقون أحكام كتاب القوانين Liber Iudiciorum المتخلف من عهد القوط، ولكن باسم جديد هو Fuero Juzgo^(٤) وكان قسم النبيل ذا قيمة أكبر من قسم الحر العادي، كما كانت الشهادة ثنائية، فوجد ما يعرف باختصار الماء الساخن Ad pena Caldaria فيضغ المتهم يديه داخل ماء ساخن، وعليه أن يقف بما فيه من حجارة ساخنة خارجة، لمدة تصل إلى أيام، فإذا لم

(١) راجع في هذا الشأن ما ورد في قضية قريظة للخصي، وبخاصة عهد عقبة بن الحجاج المهدي بن مسلم قاضي.

(2) O' Callaghan: op. cit. p. 174.

(3) راجع في هذا الشأن وثائق في أحكام القضاء الجلفي في الأندلس لابن سبيل: تحقيق محمد عبد الوهاب خالط. القاهرة ١٩٨٠.

(4) Altamira. R.A. History of Spain trans by Maria Lee. N.Y Van Nostrand, 1949. p. 106.

تلقب يداه، كان هذا دليلاً على براعته، ومن هذه الوسائل العراك المصلح، وفي الحالين يكون الفوز دليلاً على حكم الله بالبرادة^(١).

أنت الأوضاع السيئة التي كان يعيشها الرقيق في الأندلس قبل مقدم المسلمين إلى دخول عدد كبير منهم في الإسلام، ولم تترك ثورات لهم كما حدث في اسبانيا النصرانية، وبينما كانت الكنيسة تنظر إلى مورقاط الملك باعتباره لأنه ابن أمه، كان لمراء بنى لمية وخلفاؤه جميعاً أبناء أمهات أولاد.

كذلك كان المعتقون في الأندلس يشكرون بالأحرار، ويعززون في علومهم، بينما في اسبانيا النصرانية، لم تكن الأحوال المعتقون تختلف كثير من أحوال العبيد.

وفيما يتعلق بالأقليات الدينية، نجد المسلمين في معظمهم بعيداً خلال الشطر الأول من تاريخ اسبانيا النصرانية أما اليهود فرغماً عن تسامح الملوك معهم، فقد عاشوا داخل أجواء محسنة تحيط بهم كراهية الشعب والكنيسة.

ومما تجب الإشارة إليه أن وضع المرأة في الأندلس، كان أفضل وضعها في اسبانيا النصرانية، وقد خصت كتب الطبقات النساء بسابواب مستقلة، ويأبى ابن حزم^(٢) إطلاق مقولة نفس العقل والدين في المرأة في كل الأحوال، ويشير ريبير^(٣) إلى أن الفتيات كن يرسلن إلى المدارس الأولية منذ الصغر، يتعلمن ما كان يدرس للصبويان، ثم يواصلن التعليم العالي، ويحصلن على الإجازات نفسها التي يحصل عليها الرجال، ويعملن في بعض الدواوين، مثل ديوان الكتبة.

(١) O' Callaghan: op. cit. p. 173.

(٢) الفصل في الملوك والأهواء والنحل، بغداد، المثنى، جزء ١، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) فثريفة الإسلامية في الأندلس، ترجمة طباطر، مكي، القاهرة دار المعارف،

١٩٨٦م، ص ١٦-١٦١.

الباب الثاني

الحياة الخاصة للجماعة النصرانية بالأندلس

الفصل الثالث : التصاري وتنظيماتهم الإدارية والدينية.

الفصل الرابع : التصاري وحياتهم الاجتماعية.

الفصل الخامس : التصاري وحياتهم الثقافية.

1. The first part of the document is a list of the names of the members of the committee.

الفصل الثالث

النصارى وتنظيماتهم الإدارية والدينية

تمهيد :

أطلق المسلمون على العناصر الأصلية التي حافظت على دينها القديم مسمى نصارى، على أنهم ألتقوا عليهم - كذلك - مسيحيات أخرى، يرتبط بعضها بسباق تاريخي لا تتصلل عنه.

هذه المسميات هي: مشركون، كفرة، ملحدون، ملوح، روم، عبيد، ومشتقاها عيدان، وعبود، مسيحيون، نمة، ومشتقاها أهل نمة ونعميون ونصاري النمة، عجم وأعاجم وعجمة، معاهدون ومعاهدة وأهل عيد، مستعربون.

يختلف تردد هذه المسميات بين عهد وآخر، فالمسميات الثلاثة الأولى كانت تطلق في مناسبات معينة، لخصها هياج التعصب الذي كان النصارى يتعاملون جريته، ويرتبط معظمها بعهد الفتنة الكبرى، وعمر بن حفصون بإذات^(١)، والثابت تاريخياً أنه تنصر، وعهد إلى اضطهاد المسلمين، حتى من كانوا أتباعه.

(١) راجع في هذا الشأن بعض التصريح، مثل أول عزوات الناصر إلى بيشر في سنة ٩١٣/٨٢٠ م ابن عذري: قبيل المغرب ج٢ ص ١٦٤-١٦٣، وفزاة الفتنة إليها في عام فتنة المصدر السابق ج٢ ص ١٦٥، حيث ورد تعبير مشركين، وفزاته في سنة ٩٢٤/٨٢١ م، إلى المكان نفسه ويرد تعبير كفرة، المصدر السابق ج٢ ص ١٨٤. والشاعر المملوك لشد بن عيد ربه، يشير إلى الشرك والفكر معا في قصيدته عن العزلة الأولى، والمنطلق قبلي، وانفتح من بدليتها: قد لويح الله لالاسام مناجا - والاس قد نخلوا في الدين قواجا -

يُصلّ بيذه المسميات الثلاثة مسمى عِلْج، وهو مرادف لكفار، وإن قصد به الكفر تحصيلاً، أي كِبَار الكفار^(١)، وبخاصة في مجال الصدام معهم والجهاد، وعلى هذا فغالباً ما كان يطلق على نصارى الشمال وملوكهم بالتحديد^(٢)، وربما كان الاستثناء الوحيد هو زمن الفتح، مثل إشارة ابن حيان^(٣) إلى "علوج الأدلاء أصحاب يلبان" ورواية الأخبار المجموعة^(٤) عن علوج الشبيلة الذين أُرْهِقوا المسلمين في حصارهم. ويذهب دوزي^(٥) - ومن بعده إيسنبرو دي لاس كافيغاس^(٦) - إلى أن القوم في آخر العصر الوسيط كانوا يطلقون هذه اللفظة على من ترك دينه النصراني إذا أسلم والمسلم إذا كفّر.

وإذا كانت المسميات السابقة ذات طابع ديني، فتحة مسمى ذو طابع عرقي، وهو البروج، ويعني لسلاً أهل الأمير لطوربة التيزنطية، وبخاصة اليونانيون، لكن المسلمين كانوا يطلقونه أحياناً على الأوربيين بوجه عام أما

العقد الفريد - المطبعة الأزهرية بمصر، ١٩٢٨م - ج٢، ص ٢٠٨-٢٠٩، وقشاعر أحمد بن محمد بن لُحْجى الهمداني بمدح القاسم بقصيدة أولها:
لله أسلاك التي لا ترقها
وقد أراد الملحدون عرقها
ابن الخطيب : الأملحة ج١ ص ١٥١.
(١) ابن منظور: لسان العرب ج٤ ص ٣٠٦٥.
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٢ ص ٢٢١، ابن حيان: قلعة الحكم، المستنصر ص ٣٢، ١١٦-١٤٧.
(٣) القفري : فتح القليب ج١ ص ١٢٦.
(٤) ص ١٦.
(٥) Supplément aux dictionnaires Arabes, tome II, p.139.
(٦) Les Mameluks, Vol I, p.57.

في الأثناس فكان يقصد به في بعض الأحيان أهلها من النصارى، وفي أحيان أخرى نصارى الشمال، وقد عرف ابن علقمة^(١) في القرن الخامس الهجري التمييز بين الروم (نصارى ليون) الذين اقتحموا بالنسبة في سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وبين أهلها من الروم القبايين^٢. أما عبيد (وعبدان وعبود) فلها وردت كتعبيرات شعرية في زمن الفتنة الكبرى^(٣).

فيما يتعلق بتعبير مسيحي، فهو ترجمة حرفية للتعبير اللاتيني Christianus فيصنف ابن جُنَيد^(٤) اسحق الطريبي في عهد الأمير عبد الله، بأنه مسيحي النحلة، وفيما عدا هذا تجد الإشارة إلى النصارى بهذه الصفة قليلة في مصادرنا.

أما مصطلح النخلة ومشتقاتها، فيُستد به المواطنون غير المسلمين في دار الإسلام، يهوداً ونصارى، وهم الذين تم عقد ننتهم أي عهدهم^(٥)، ولا يتردد ذكر النخلة كثيراً خارج كتب الفتنة. وفي أحداث سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م يتحدث ابن حبان^(٦) عن بني ذي النون في القنجر "واستطاعهم على من جاوزهم من المسلمين وأهل النخلة"، كما يتحدث عن "وجه لساقفة أهل النخلة" الذين عقدوا الصلح مع الطاغية رُمير في سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م^(٧). ويشير

(١) ابن خنّار: البيان المغرب ج١ ص ٣٩.

(٢) ابن حبان: المقتبس ص ٣ ص ٥٩، ابن الأثير: المعجم في ١ ص ١٥٦ تر ٥٩.

(٣) طبقات الألقباء والحكام تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، المعهد القومي الفرنسي

١٩٥٥م ص ٩٧.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ج ٤ ص ١٥١٧.

(٥) المقتبس ص ٥ ص ٢٠٢.

(٦) المصدر نفسه ص: ١٧٤.

ابن الخطيب^(١) إلى «أهل لثمة الياقين من الروم» الذين قاتلهم النصارى على تلك الجبل، كما يشير ابن القوطية^(٢) إلى عمر بن حفصون، وكان يوه من «مسألة أهل لثمة».

على أن هذه الاشارات كانت قليلة، وفي معظم الأحوال يقصد بهذا التعبير في الأندلس اليهود وليس النصارى^(٣).

أما فيما يتعلق بمصطلح عجم (وأعاجم وعجمة) فيلاحظ أنه كثيراً ما يرد ذكره في لائحة الصدام المسلح بين النصارى وبين السلطة الإسلامية وبخاصة في زمن الفتح، وفي أيام الفتنة الكبرى، ونستدل على ذلك من روايات ابن حبان^(٤).

لم يكن مصطلح عجم يتصرف إلى نصارى الأندلس وحدهم، وإنما كان يجمع بين نصارى شبه الجزيرة جمعهم^(٥). ففي كتاب التناصر بعد غزوة الخندق يتحدث عن «مشركي قُلُوبُتَيْتوكُل صنف من اصناف العجم معهم»^(٦)

(١) الأمللة ج ١ ص ١٠٢.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٠٣.

(٣) Lévi-Provençal: op. cit. Vol. I, p. 78.

(٤) المقتبس ص ٢ هن ٣٦١، ص ٢ ص ١٦، ٢٤، ٢٧، ٥١، ص ٥ ص ١٣١، ٢٠٢.

(٥) ٢٠٥. ونظر أيضاً ابن عذاري: البيان لمغرب ج ٢ ص ١٤٥، ١٨٢، ١٩٢، وفي أرجوزة ابن عبد ربه يقول عن غزوة بشق في سنة ٣١١ هـ ٩٢٣ م.

ثم اتحن بعد حصون العجم فأنشأ بالضم بعد التضم

العدا القوية ج ٢ ص ٢٢٠.

(٥) في النسخ اللطيفة للقرطبي نجد Christiani, Latini

تقاليان عجماً في النص العربي - Le Calendrier de Cordoue publiée par Dozy.

Leyde, Brill, 1873. pp. 12-14.

(٦) ابن حبان: المقتبس ص ٥ ص ٤٤٠.

كما يطلق ليرازي^(١) على رسل بربل شكير Borrel Sunyer قوسمن برشلونة ٩٤٠-٩٩٢ إلى الحكم المستنصر في سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م تعبيراً عاجلاً.
يرازي مصطلح عجم، مصطلح معاهدتين^(٢) الذي يرافق في معاجم اللغة وكتب الفقه مصطلح ثمة، ويقابل مصطلح مسلم^(٣). وقد استخدم في الأندلس للتعبير عن نصارى أهلها، وأعلن على استخلافه ما عقده المسلمون من عهد مع بعض القصارى، حصلوا بمقتضاها على قدر من الاستقلال وبخاصة في مناطق القنطرة، وصار وضعهم قريباً من وضع أهل العهد في الفقه الإسلامي^(٤).

(١) ابن حبان : القتيبي قلعة الحكم المستنصر من ٢١ .

(٢) وتكتب خطأ عند غالب المؤرخين المعشكين بكسر الهمزة.

Levi-Provençal: op. cit. Vol. 1, pp.77-78. Baidro de las Cagigas: op cit. vol.1, p 57.

وهو خطأ شائع والصحيح بلقها، لأن معاهدين هذا اسم مقبول، وليست اسم قاعل وهم الذين وقع عليهم العهد.

(٣) جاء في اللسان في مادة ثمة أهل العهد أهل القصة وهم الذين يردون الجزية من المشركين كلهم، ورجل نعى معناه رجل له عهد والقصة العهد منسوب إلى القصة.. وقوم ثمة معاهدون. ج: ٤ ص ١٥١٧ وجاء في مادة عهد المعاهد القصة، وأهل العهد أهل القصة، فإذا أسلموا سقط عنهم اسم العهد. ج: ٤ ص ٣١٤٩ .

(٤) كان تصور العام للعالم في الفكر السياسي الإسلامي، هو أنه ينقسم إلى دارين: دار الإسلام ودار الحرب، والصراع بينهما سجل، على أنه بعد انحصار موجة الفتوح الإسلامية الأولى، بدأ يظهر تعبير دار الصلح (أو دار العهد)، وتظهر هذه دار تابع من عدم استطلاعة دار الإسلام أن تتطابق مع العالم بأسره، وعدم استقلالها أيضاً أن تعيش حال حرب مستمرة مع سائر الدارين في أرضة الضعفاء ومن الممكن ملاحظتها على أن عزدي مالا أو لا تونيه بل قد يؤدي لها مال.

من هذه العهود عهد العزيز بن موسى بن نصير مع تكمير Teodemiro في شرق الأندلس، وقد سقط بوقاته، وعهد المسلمين مع نصاري قلمرية Coimbra في القسبة القريب، الذي استمر حتى سقطت المدينة في أيدي نصاري الشمال في سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م.

وليس أدل على رسوخ مصطلح معاهدين في الأندلس أن صاحب معجم الفوكامواليسنا في القرن الثالث عشر الميلادي جعل Tributarius اللاتينية، وتعني دافع جزية، تقابل لثمن والمعاهد^(١).

عرف نصاري الأندلس أيضاً باسم مستعربين (بفتح الراء) Mozárabes على أن هذه التسمية مرت بعدة مراحل حتى استقرت، فيطلق عليهم لا فونش الساس في قانونه لسنة ١١٠٦ اسم Muzarabes^(٢)، كما يطلق عليهم أنفونش السابع في قانونه لسنة ١١١٨ اسم Mozárabes^(٣)، ودعاهم أنفونش المحارب ملك أرغونة في قانونه العام لسنة ١١٢٦، باسم Mozarabes^(٤).

١- نشر في هذا الشأن قاموردي، الأحكام المملوكية، مراجعة محمد فهمي السرجاني. القاهرة، مكتبة قروية ١٩٧٨ م ص٥٣-٥٥، ابن رشد (شعبد) بداية المجتهد جدا ص٣٥٦-٣٥٧.

٢- وانظر أيضا النقل القيم ليرنارد لويس في تراث الاسلام (جديد) تصنيف شاخت ويوزدوت. ترجمة محمد زهير السعوي. الكويت، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٧٨م ق١ الفصل الرابع سياسة الحرب ص٢٥٥-٢٥٦.

(1) Simonet. F.: Historia de los Mozárabes de España Madrid, 1897. p.9 del geologo nota.2.

(2) Ad totos Muzarabes de Toledo, tam cavalleros quam podones. Simonet: Historia de los Mozárabes p.9 nota n.5.

(3) Castellanos et Gallicos et Muzárabes p.10 nota n.1.

(4) Ad vos todos Christianos Mozarabes quos ego traxi cum Dei auxil io de prolesite saracenicorum. p.10 nota n.6.

ونقرأ كلمة Mozarabos في الأستيلار الذي منحته أنفونش السابع في سنة ١١٣٧ لأهل طليطلة^(١)، ويطلق عليهم كاتبه أنجليزى مات في منتصف القرن الثاني عشر تعبير Moceravios^(٢)، كما يطلق عليهم الشاعر جويتالودي برثيو Gonazalo de Berceo في أوائل القرن الثالث عشر Mozarabía^(٣)، وفي الوقت نفسه يشير كاتب فرنسي للأصبارى الخاضعين للمسلمين في إسبانيا وإفريقية بتعبير Mosárabes^(٤) ونجد في التاريخ العام لأنفونش العام ١٢٥٢-١٢٨٤ م تعبير Al mozarabes^(٥).

أما عن الأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة، فتذهب الدراسات الحديثة جميعها إلى أنها مشتقة من أصل عربي، وهو رأى له وجاهته، فقد عرف العرب تعبير مستعربة في المشرق، وكان يقصد به ولد اسماعيل عليه السلام، في مقابل العرب البائدة، وهم ولد إرم بن سام، والعرب العاربة وهم ولد قحطان بن عابر^(٦).

ويحتمل ابن خلدون^(٧) مصطلح مستعربة فيقول "وإنما سمي أهل هذه المنطقة بهذا الاسم، لأن السمات والشعائر العربية، لما انتقلت إليهم من قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة، بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسيهم، وهي اللغة العربية التي تكلموا بها".

(1) Omnibus Christianis qui hodie in Toletis populi sunt, vel populi veneris, Mozarabos, Castellanos, Francos. p. 10 nota n. 10.

(2) Tunc Moceravii Fere decem milia congregati sunt. p. 10 nota n. 11.

(3) Uodieron esta Voz toda la clerecia, li muchos legos de los de la Mozarabia p. 10.

(4) 1111. vetu Christiani qui in Africa et Hispania inter occidentales Saracenos commorantur, Mosárabes nuncupati. p. 11 nota n. 1.

(5) De los Christianos Almozarabes que eran criados en tierra de Moros. p. 11 nota n. 5.

(٦) أنفونزى : نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٧٦.

(٧) كتاب العبر : ج ٢ ص ٤٦ .

ويذهب رئيس الأساقفة خيمييث دي رادا D. Rodrigo Ximénez de Rada إلى جعل الأصل الاشتقائي للكلمة هو Mixti Arabes^(١) أي المختلطون بالعرب، وفي أغنية متأخرة، لا تعرف مؤلفها، يقبلي المستعربون أنفسهم نظريته ويعترفون بها^(٢).

لما عن إطلاق هذه التسمية على نصارى الأندلس، فواضح من التصوص أنها وجدت في صيغتها اللاتينية ابتداء من سنة ١١٠٠، ونجدها أيضاً بحروف عربية في الوثائق المستعربية بطلليطة، وانتمها يعود إلى لواخر القرن الحادي عشر، وبطبيعة الحال فإنه سبق هذه التواريخ فترة استخدام عند الجمهور، وربما كانت فترة طويلة، وبعد أن هاجرت أعداد من النصارى المعادين منقطعة إلى الأرائض النصرانية شمالاً دأبت هذه التسمية بين غيرهم من النصارى، وبخاصة أنهم جاعوا بلغة وثقافة ولسلوب حياة وأعراف، تخلف ما كان عند هؤلاء، وهذا صار الاستخدام الدارج لهذا المصطلح قبل سنة ١١٠٠م، وصار الاستخدام المكتوب بعد ذلك تقريراً لواقع.

١ - التنظيمات الإدارية :

لما قدم العرب إلى الأندلس، أتوا على النظام الإداري السائد، وعملوا على تطويره، وحالفوا على التقسيم الإداري الذي كان انعكاساً بدوره للتقسيم الجغرافي، كما حالطوا أيضاً على نظام البلديات الذي يعود إلى العهد الروماني^(٣).

(1) Simón: Op. cit. p. 11 del prólogo.

(2) Mozárabes nos llamamos, porque entre Árabes mezclados los mudamientos segundus de nuestra ley verdadera, con valor Fe sincera, han sido siempre guardados. Melvill Barbour: The Significance of the word Muzaros p.261 note 42.

(3) Simón: op cit. p. 106.

كان العرب إبان الفتح يعتقدون مع أهل كل بلد عقداً أو معاهدة، وكان التعاقد أو التعاقد يتم مع الكوريا Curia القديمة (أي المُنْتَخِبة) وهي الهيئة الحاكمة أو الممثلة لجمهور الأهالي^(١)، وأقر المسلمون لهؤلاء أن يسيروا وفقاً لأعراسهم وقوانينهم، ما دامت لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية^(٢).

(أ) القواميس :

كان رئيس الجماعة النصرانية في قرطبة يدعى بقوميس Comes الأندلس، ويذهب البعض^(٣) إلى أنه كان يطلق عليه أيضاً "رعيم نصارى الذمة" وتعد هذه التسمية وكذا "متولي المعاهدين" صفة للقوميس، وليس اسماً لوظيفته.

عرفت إسبانيا قبل العرب هذه الوظيفة، وأن اختلف مضمونها، فكان المجلس الملكي Aula Regia يضم إلى جانب كبار موظفي البلاط والنبلاء والأساقفة ستة من قواميس العاصمة^(٤) ، إلى جانب عدد من قواميس الأقاليم وكان القواميس هم الطبقة التي تلي طبقة النبلاء Duces في السلك الإداري للدولة، وكان هؤلاء الآخرون يلون الحكم في الولايات ويقودون الجيوش^(٥) وتذكر المصادر من القواميس الذين عاصروا دولة القوط ودولة العرب معا فمنهم قوميس اللغز الذي أسلم، وعبر البحر إلى توليد بن عبد الملك بدمشق،
(١) جيمس مونز: فجر الأندلس ص ٥٩٦.

(2) Simaet: op cit. p. 107.

(3) جيمس مونز: فجر الأندلس ص ١٥٩.

(٤) هم قوميس الخزنة Comes Thesaurorum ، قوميس الموازين Comes

Patrimonii، قوميس القضاء Comes Notariorum ، قوميس الحرس Comes Spatariorum

قوميس الأسطبلات Comes Stabuli ، قوميس البلاط Comes Cubiculariorum. انظر :

O. Callaghan: op cit. p.60.

(5) Livenices: op cit. p.223.

وصار من مواليه، وخلفه بنو قيس لسحاب النضر الأعلى خلال القرن الثالث الهجري^(١).

كان قريش الأندلس يعين بمعرفة السلطات الإسلامية، ويمكننا أن نقدر أن سلطة القوم كانت تتركز في المسائل المدنية الخاصة بالنصارى، إلى جانب أنه كان حلقة اتصال بينهم وبين الحكومة الإسلامية.

كان القوم يقوم أحياناً بجباية الخراج، وتشير المصادر إلى أن طرابلس - وهو أول القوامس - 'قومس الأندلس وزعيم عجم النخبة' مستخرج خراجهم لأمراء المسلمين^(٢) وأحياناً كان القوم يعاون الحكومة الإسلامية في استقبال ملوك إسبانيا وسفراتهم، مثلاً فعل معاوية بن أبي القومس سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م^(٣).

وكان النصارى - بنوهم - ينظرون إلى القومس باحترام، وهو ما نلاحظه في كتابات البربر القرطيس، الذي يدعو القومس الذي عاصره في أواسط القرن التاسع الميلادي - وهو رومانو - برئيس الكاثوليكين جميعهم Omnium Catholicorum Summo^(٤).

وإذا كان المسلمون يعينون قريش بالأندلس، فإنه كان يوجد إلى جانبه قواسم في مدن أخرى بالأندلس غير قرطبة، وهؤلاء كانت تختارهم الجماعة النصرانية في كل إقليم، فينكر الأهل صاحب مدونة القلعة، أن العرب تركوا لأهل البلاد حق اختيار قوامسهم.

(١) ابن حزم : جمهورية قصاب العرب ص ٥٠٢.

(٢) ابن الخطيب : الأمانة ج ١ ص ١٩٨.

(٣) ابن حبان : المقتبس، قطعة الحكم المستمصر ص ٦٤.

(٤) Simeoni: op. cit. p 460. nota 2.

Et unusquisque ex illorum origine de semit epsos comites eligere, qui per omnes habitantes terrae illorum pacta regis congregarentur^(١).

وإذا كان قومن قرطبية يعاونه نصراني مسئول عن القضاء، فالظاهر أن لقوامس في الأقاليم كانت لهم سلطات قضائية، فيقتضون بين النصاري وفقاً للكتاب القانوني^(٢)، ويشير المرجع إلى قومن قلورية، وما كان يتمتع به من سلطات واسعة.

إذا تتبعنا أخبار قوامس الأندلس، نجد أن أولهم هو أرطبان Ardabasto أحد ولد الملك غيثشة الثلاثة إلى جانب أعمد Ofemundo ووقلة (أورمله Romulo) وهو الذي اقترح على أبي الخطار حسان بن ضرار الكلابي بتفريق الشاميين في الكور^(٣)، ويحدثنا ابن القوطية^(٤) عن مجلسه واتخاذ كرمياً مصمداً^(٥) بالذهب والفضة، وكانت فخامة موكبة، عندما كان يخرج في صحبة عبد الرحمن الداخل، وما يتلقاه من هدايا في كل محطة من ضياعه سبباً في أن يفيض منه الأمير هذه الضياع، لكنه لم يلبث أن تصافى معه ووصله ولاء القناعة، فكان أول من ولّاهها.

وفي عيد الحكم أريضي نجد قومن يدعى ربيع بن تكتف Teodulfo كان كثيراً عنده، وعالونه إبان هوج الأريضي^(٦)، ونسب إليه فيما بعد أنه ظلم أبناء أهل النمة، فلبث أولاهم، مما جعل الحكم يأمر بصلبه في آخر سبلى حكمه، وعقب تولى ولده عبد الرحمن الأرمسط، أفتت وفود المظلمين من

(1) Ibid: p. 308. nota n. 1.

(2) Cambridge Medieval history vol. III, p. 430.

(3) ابن الخطيب: الأملقة ج ١ ص ١٠٣.

(4) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٧-٥٩.

(5) أي مكس.

(6) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص ٩٦.

خارج قرطبة، يطلبون رد أموالهم التي سلبها ربيع، وكان أشدهم أهل البيرة، وتطور الخلاف وتحول إلى معركة قتل فيها عدد كبير منهم^(١).

وفي بداية عهد الأمير عبد الله كان قومن قرطبة يدعى حجاج (أو حسان) هرب ولده شريك Servando إلى صغر بن حفصون، وشن الغارات على العاصمة، حتى ظفرت به خول المسلمين، واحتُزّت رأسه، وأمر الأمير بصلب ليه القومن^(٢). وتلاه في القناسة هزمير (الوجمير) Hazemiro^(٣) الذي علا نجمه عند الأمير حتى أنه نجح في صرف نظره عن تولية قلنس بعيته، وولى آخر بدلاً منه^(٤)، على أنه تورط بدوره في الفتنة بين حفصون وحبس، وظل في حبسه إلى أن توفي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م^(٥).

وفي للفترة التالية التي تبدأ بعهد عبد الرحمن الناصر، نجد أن معظم أخبار قوامس الأندلس ترتبط بمشاركتهم في استئصال ملوك أسبانيا للتصريفية وسفرائهم، وربما تضاعف شأنهم مع اتساع نطاق الإسلام وتعاظم سلطة الدولة.

(ب) الوظائف المساعدة :

كان يلى القوامس موظفون يساعدونهم Magistrados Menores^(١) منهم قلنسى التصاري (أو قلنسى المعجم) عرف في اللاتينية باسم Censor

(١) ابن الأثير: الكامل ج٦ ص ١٤١، ابن خلدون: المعبر ج٤ ص ١٢٧-١٢٨

ونشر أيضا محمد عبد الله حزان: دولة الإسلام في الأندلس ج ١ ق ١ ص ٧٥٥.

(٢) ابن حبان: المحققين ص ٢ من ١٦٢، ونظر أيضا: Simonet: op cit. p. 584.

(٣) أو ربما أصلها Casimiro.

(٤) القشنى: فتاة قرطبة ص ١٠٠-١٠١.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص ١٤٢، نظر أيضا.

Simonet: op cit. p. 571.

(6) Ibid. - p. 108.

أو *Judex*^(١)، وصار في القشتالية القديمة *Alcalde*^(٢) وكان يلقب أحياناً بالوزير القاضى، وإن لم يتوافر لنا تصويص بهذا الشأن قبل القرن الحادى عشر الميلادى، وهو متجده فى الوثائق المستعمية بطليلة^(٣) والمرجح أن الوزير هنا ليس منصباً وإنما صفة تدل على الاحترام، فمن الفقهاء المسلمين من لقب بالوزير الققيه، دون أن تشابك إليه مهام وزارية^(٤).

كان تعيين القاضى وعزله خاصاً بالأمير أو الخليفة، ففي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م استقبل الحكم المستنصر رسل حاوية Elvira الوصية على رتمير ملك ليون، وكان المترجم هو أصيغ بن عبد الله بن تيل القاضى، ويبدو أنه كان ليتأ فى الترجمة، فقل عن كسانهم مسا لإيجوز، فوبخ الخليفة الرسل، وأمر باقصالهم عنه، واحتجزهم فترة، ثم أمر بترحيلهم، أما أصيغ فقد عزل من منصبه، وترعده الخليفة بالعقاب، لكنه لم يلبث أن عفا عنه^(٥).

كان القاضى يقضى بين المعادين إما جاء فى كتاب القوانين^(٦)، الذى تمت ترجمته إلى العربية، وعرفه ابن حزم، وأشار إليه فى الفصل، وفى مخطوطه المخطوط فى المكتبة الأهلية بمدريد، نجد بين المخطوطات ثلاثية ترجمات عربية، وإن كانت بها بعض الأخطاء اللغوية والإملائية^(٧).

(1) Lévi-Provençal: op. cit. vol III p. 219.

(2) Simonet: op. cit. p. 108.

(3) فى وثائق كثر، راجع مثلاً، 1198 Noviembre، Doc n. 228، Vol. 1 p. 227،

p. 265 Doc. n. 323، Año 1201 Enero، p. 267 Doc 325 Año 1 268 Mayo.

(4) ابن الخطيب : الأمانة ج ١، ص ٣٢٠-٣٢١.

(5) ابن حزم: المقبس قطعة حكم المستنصر ص ١٤٦.

(6) Lévi-Provençal: L'Espagne au Xème Siècle p. 37.

وكتاب القوانين هو *Judicium* أو *Liber Judicium* القوطى القيم الذى دعى فيما

بعد باسم *Fuero Juzgo* وينسب إلى الملك ريكسوث *Reccesvint* ٦٥٣-١٧٢م.

(7) Van Koningveld: *Latia arabic glossary*. p. 47.

واليس صحيحاً ما يذهب إليه ابن حزم^(١) من إلزام التصاري بالحكم المسلمين في قههم من نكاح ومواريث وبيع وحقوق وغيرها، فقد تحدث في موضوع آخر، عما كان يجري في الأندلس من إلزام التصاري بقوانينهم وشرائعهم ويتعجب من تقسيم ميراثهم طبقاً لها^(٢).

ومن أشهر قضائ المعجم حفيص بن البراء وجده الأعلى وقته بن غيثشة^(٣) - في عصر عبد الرحمن الناصر، ومن قضائهم أيضاً أرخمير Argimiro وهو أحد شهداء قرطبة، توفي في سنة ٨٥٦م، ودفن في كنيسة شولش^(٤).

على أن معظم أخبار هؤلاء القضاة في المصادر العربية، تنصل بحصر الحكم للمستمر والحجاب العاميين، فكان للقضاة شأنهم في هذا شأن القواسم والأساقفة، يشاركون في استقبال ملوك إسبانيا النصرانية، وسقراهم ويقومون بالترجمة. وهكذا كان شأن وليد بن خنزون^(٥)، ثم أصبح بن عبد الله بن نبيل في عهد الحكم المستنصر^(٦)، وأصبح بن سلمة في عهد الحجاب المنظر^(٧).

(١) الإحكام في أسرار الأحكام تصحيح أحمد شاكر، الطبعة ١٣٤٥هـ، ج ٥، ص ١٠٩.

(٢) الإحكام ج ٩، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣١.

(٤) Isidro de las Cagigas: op. cit. vol. 3, p. 219.

(٥) القنري: فتح الطالب ج ١ ص ١٨٢، إلهام الرياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة لجنة التأليف، ١٩٣٩ ج ٢ ص ٢٨١-٢٩١، ويسميه ابن خنزون وليد بن معيث ويدعوه بالجابلي، ومعنى هذا أنه جمع القضاء في المنصب القنري، عبر ج ١ ص ١٤٥.

(٦) ابن خنزون : العقدين قطعة الحكم المستنصر ص ٦٤، ٦٦.

(٧) ابن خنزون : العبر ج ٤ ص ١٨١.

كان الموظف المسئول عن جمع الضرائب من المعاهدن يعرف بالمستخرج أو مستخرج الخراج، أو مستخرج خراج الزمة، وحل مكان قومس الخزائن Comes Thesaurorum في العهد القوطي^(١)، وعرف في التصوص اللاتينية باسم Exceptor^(٢) أي الجاني أو المتكفل، وإن كان ألبرو القوطي يجعل Exceptor مقابلاً للكلمة العربية المشرف التي عرفت في عجمة أهل الأندلس باسم Almozerite، Almozerite^(٣).

ولشهر من ولى هذا المنصب قومس بن القتيبان بن يمانية في عهد عبد الرحمن الأوسط^(٤)، ولا تعرف ماذا كان اسمه في المصادر النصرانية المعاصرة، ويذهب سيمونيت^(٥) إلى أنه كان يدعى Gómez، وتفرجه غير صحيح لأن جرميث هذه لا تتفق مع الصور العربية للأسماء اللاتينية القديمة، لأنها إذا صحت، يكون مقابلها العربي هو غومس أو غومز الذي نجده في التصوص العربية. وبذا يكون المقابل اللاتيني لقومس هو Comes وفي القشتالية والإسبانية Conde^(٦).

ومن المناصب الأخرى منصب الأمين، فكانوا بالأندلس ملوك للحرف Collegia، بقيت منذ عصر الرومان، وتدهورت في عصر القوط، فجعل العرب على رأس كل طائفة رئيساً يدعى بالأمين Alansín، نجده في الوثائق المستعربة^(٧).

(١) راجع لمناخية رقم ٤ من «أمن هذا الكتاب».

(٢) Lévi-Provençal: Histoires de l'Espagne Musulmane vol. III p. 219.

(٣) Simonet: op. cit. p. 112.

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس من ٩٧-٩٨.

(٥) op. cit. p. 112.

(٦) ابن حبان المقيس من ٢٣٥ هـ حاشية ٣١ للمحقق الفضل الامتلا محمود مكي

(٧) حسين مؤنس : فجر الإسلام ١٦٤، ١٠٩٩ Y. nota n. 1. Simonet: op. cit. p. 109.

كما كان مهرة الصناع يعرفون بالعرفاء، وانتقلت الكلمة إلى القشتالية لصارت Alarife، وأحياناً تُرد في الوثائق المستعربية باسم Alharif Alahriz^(١)، وفي أحداث سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م، عندما ظهر الناصر يحمي بن أبي بكر من كورة جيان، ولي عليه عريفاً من المعجم يدعى ابن بزنت Vicente^(٢).

ويذكر سيمونيت^(٣) مناصب أخرى، منها صاحب المدينة Zavalmedina وصاحب الشرطة Zahba Seorta والمحتسب Alenstacón على أنه لا توجد نصوص معاصرة تدل على أن قد وليها نصاري، ولا نجد عنها خبراً في أي من مصادرنا.

٢ - التنظيمات الدينية :

كان غالبية نصاري الأندلس يدينون بالمذهب المالكي^(٤)، ولا يمنع هذا أن الأروسية، وإن ضعف أمرها قبل مقدم العرب بمسافات طويلة، كان لا يزال لها نصار والكراع^(٥)، وسوف يظهر أثرها - كما نرجح - في تحلة القتيبي لأبياتنوس مطران طليطلة.

(١) Ibid. p. 109 nota ٥72.

(٢) 'أبنة بالضم ثم الفتح والتشديد، اسم مدينة بالأندلس من كورة جيان تعرب ببلدة العرب... لشطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، واسمها أبنة محمد بن عبد الرحمن بن قنوت: معجم البلدان مسيح محمد أمين الشاذلي، القاهرة ١٩٠٩م، ج١ ص٧٣.

(٣) ابن جيان: المقابس ص٥٤ ص١٣١.

(٤) op cit p. 108.

(٥) كان المالكي يعرف في طلبة أهل الأندلس بكثولق أو قثولق أو قثولق أو كثولق، وجمعها مشتقة من كثولق Catholus وصارت في القشتالية Catholico فطر: Simonet: Glosario p. 113.

(6) Cambridge Medieval history. Vol. II p.172.

(١) الكتلان والأندلس المستعربية^(١):

كان عدد المطرانيات والأسقفيات في مملكة القوط سبعة وسبعين، منها ثمانية خارج شبه الجزيرة^(٢)، وهو رقم يقارب ما ورد في المصادر العربية، التي تقرر أنها ثمانون^(٣). وبعد فتح الأندلس، انخفض عدد المطرانيات والأسقفيات، لأن السيادة العربية تخالف السيادة القوطية، ويذهب سيمونيت^(٤) إلى أن عددها صار واحداً وثلاثين كرمياً.

من هذه الكراسي ثلاث مطرانيات، هي طليطلة، ملردة، لشبيلية وثمان وعشرون أسقفية، هي وادي أش، أركيكة Arcavica، شذونة، استجة Ecija، برشلونة، بامطة Baza، بياسة Baeza بفسرة Bigastro، قلخرة Calahorra قورية Coria، مرسطلة، مديلة فالندة Alcalá de Henares قلمرية، قرطبة، قبرة Cahra، لبلة Niebla، البيرة (غرناطة) جيرونة Gerona، أش Elche، مالقة، أرقة Urgel أوسما Osma، شبة Exea، سيجوندا Sigüenza، سارتش Martos أرش Urz، طالقة Iñálica وبلشمية.

ورغم أن عدد المطرانيات في حاضرة الدولة، وتمثل أسقفها للمعالم لدى السلطة الإسلامية، إلا أن مطران

(١) كان يطلق على الكنيسة أحياناً تعبير بيمه (كنس أباء) وجمعها بيمه، لما في عامة أهل الأندلس، فذهبت الكلاسيكية، وهي مشتقة من اللاتينية Ecclesia وصارت في القشتالية Iglesia، Eclesia، Eglezia، انظر: Simonet: Glosario p. 182. كما كان يطلق على القبر - ويجمع لقبرة ودياراً وديارات - مستنير، وهي مشتقة من اللاتينية Monasterium، ولصحت في القشتالية Monasterio انظر: Glosario: p.371. (٢) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٤٩٢.

(٣) الحميري: القروض المعطلة ص ٥٦، ١٢٤، ابن الأثير: الكامل ج ٢ ص ٢٢٩.

(٤) Historia de los Mozárabes. p. 122.

ملكيطة ظل حتى القرن الحادي عشر الميلادي مطران نصارى الأندلس
جميهم^(١).

وبطبيعة الحال فإن عدد هذه المماريات والأساقفات كان يتناقص مع
تقدم حركة الاسترداد ويتساعدها ابتداءً من عصر الطوائف وتفرق أسر
الأندلس.

وتشير المصادر العربية إلى كنائس عظيمة في ثنت مريّة^(٢)
وميرتة^(٣) Mértola ودرقة Daroca^(٤)، وهذه الأخيرة كانت بها كنيسة
تدعى أبرونية، يزوي أنها احتوت ثلاثمائة وستين باباً، وكنيسة الغرب، وهي
كنيسة شلت بجنت Sancerus Vicoenti على البحر العظيم (المحيط الأطلسي)
قرب شلب Silves^(٥)، وكنيسة إشتيعة التي جاورت جامعها^(٦).

كما تشير المصادر إلى كنيسة رينة Rufina بالسيبيلية التي سكنها عبد
العزیز بن موسى بن نصير وزوجه النصرانية وبها قتل، أما البيرة - مهد

(١) Lévi-Provençal: op.cit. vol III p.224, De las Cagigas: op.cit. vol I
p.148.

(٢) باقوت : معجم البلدان ج٥ ص ٣٠١.

(٣) الحميري : الفروض المعطار ص ١٩٦.

(٤) مبرلة بكسر جمع بين سلتين وناه مائة من قولها مضعومة ولأم حصن من
أصل باجة وهو لسي حصون القرب ولنعها من الأنية القديمة على نهر آ... باقوت:
معجم البلدان ج٥ ص ٢٢٤.

(٥) الحميري: الفروض المعطار ص ٧٦، ٧٧ ودرقة منبئة بالأندلس من جبل
قعة أيوب عظيمة في سفح جبل... وقيل بين دروفة وبين قعة أيوب شانية عشر ميلاً.

(٦) الانروسي: صفة المغرب ص ١٨٠.

(٧) الحميري : الفروض المعطار ص ١٥٠.

التصريفية في إسبانيا - فكانت توجد خارج مدينة غرناطة كنيسة هههها ههها بعد المرابطون^(١).

ومن أشهر الأديرة دير Cauliana على وادي أنه قرب ماردة^(٢)، ودير Lorbána ودير Vacariza قرب ألمرية بالبرتغال^(٣).. وكانت الأديرة تطبق نظام القديس بنكت San Benito^(٤).

ومن الكنائس التي أوردتها التتويم القوطية كنيسة القديسين الثلاثة Basilica Sanctorum Trium وكانت منزل الأسقف - برهش اليرج Vico Turris^(٥) وعندما أسر المنصور بن أبي عامر في سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م غرسة García Fernández فومس قتالة، ثم مات في الأسر، دفن في هذه الكنيسة^(٦). ويشير التتويم^(٧) إلى كنيسة جفريان الحكيم استقب فرطاجنة Ecclesia Sancti Cypriani وكنيسة الأسرى Ecclesia Carceratorum وهي كنيسة القديس أجنح Sanctus Aciscius غربي قرطبة^(٨)، وعلى الفساطيء المواجه الولاي الكبير في منية عجب توجد كنيسة للقديس قرشتويل Sanctus Christophorus^(٩)، حيث أمد عدد من الشهداء^(١٠).

(١) ابن الخطيب: الأطلال، ص ١٠٧، انظر أيضا: Simonet: op.cit. p.540.

(2) Ibid. p.307.

(3) Ibid. p.65.

(4) Isidro de las Cagigas: op. cit. p.58.

(٥) ترويم قرطبة ص ٩٦ القسان العربي واللاتيني. ولتر أيضا:

Simonet: op.cit. p.327.

(6) Diccionario vol. I p. 208.

(٧) ص ٧٤، ٨٨، ١٠٧، ١١٢.

(٨) ص ١٠٦ القسان العربي واللاتيني.

(٩) ترويم قرطبة ص ٧١ القسان العربي واللاتيني.

(10) Simonet: op. cit. p.329.

وإلى الجنوب في منطقة القتيبة Campina ، كان يوجد كنائس وأديرة كثيرة ، مثل كنيسة القديس شويلش^(١) ، التي دفن فيها «سيرا» - إن دير أول المحرمين على الاستشهاد في العصر الإسلامي^(٢) .
كان جبل قرطبة يتصن بالعديد من الكنائس والأديرة مثل دير Pinna Mellaria^(٣) (أي ثلة العسل) وكان يضم رجالاً ونساءً يفصل بينهم جدار ، ويرأسه عباد واحد^(٤) ، وكان يحتفل فيه بعيد الصليب (ثلاث قروش) وعيد القبطي^(٥) .

وعلى بعد ثلاثين ميلاً شمال قرطبة كان يوجد دير شويلش ، ويدعى في المصادر العربية بدير الرملات Coenobium Armilabense نسبة إلى النهر المجاور Armilata ، وكان يحتفل فيه بعيد القديس أبلنج في ١٨ نوفمبر^(٦) ، ودفن به جسد إبولوخيو إلى أن تم نقله في سنة ٨٨٤م إلى ليبي Oviedo^(٧) .
وكان هذا الدير يقع على الطريق إلى طليطلة ، مما تركب عليه أن يعثر للمسلمين ، وهي في طريقها إلى القنطرة الأعلى ، كانت تحمّل رجالها عذراء وقد توفي الحاجب المظفر على مقربة منه ، في عوده من آخر غزواته سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م^(٨) ، ولجأ إليه أخوه عبد الرحمن شنجول في العام نفسه ، عندما طارده فوات محمد بن عبد الجبار^(٩) .

(١) تقييد قرطبة من ٥٢ ، ٦٦ ، ١٠٢ التماس العربي واللاتيني .

(٢) Simonet: op. cit. 331.

(٣) تقييد قرطبة من ١٩ ، ٥٢ ، التماس العربي واللاتيني .

(٤) أي رئيس الدير .

(٥) Simonet: op. cit. p.334.

(٦) تقييد قرطبة من ١٠٦ .

(٧) Simonet: op. cit. p.486.

(٨) ابن عذاري : البيان المغرب ج٢ من ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٣٧ .

(٩) المصدر السابق ج٢ من ٢١-٢٢ .

ومما تجدر ملاحظته أن الكتانس احتفظت بعد الفتح بأموالها وأراضيها وبصرف النظر عن أحكام وردت في كتب الفقه ، فلدينا نص هام في الأخبار المجموعة^(١) ، نقل منه على أن أهل ماردة صالحوا موسى بن نصير "على أن جميع أموال القتلى يوم الكمين، وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين، وأموال الكتانس وحليها لها" كما أن هناك إشارات متواترة عن أحياض موقوفة على الكتانس، فيذكر القاضي عياض^(٢) أن القسيسين كانوا ينفقونها في مصالحها وما فضل يأخذونه لأنفسهم.

(ب) المناصب الكنسية :

كانت الكنيسة تخلص بتعيين رجالها ، وبمستلزم تلك موافقة الأمير (أو الخليفة)^(٣)، وعندها أقام العرب لجنة Oppes لها الملك غيلشة مطرانياً لطليلة، لم يرتض أهل البلاد ذلك، وأقاموا مطراناً آخر هو أريباتو Urbano ولم يعترض العرب^(٤). وعند وفاة وسترميرو Wistremiro في سنة ٨٥٨م اختار الأساقفة يوليويو مطراناً، واعترض الأمير محمد، لكنهم لبوا لاختياره بدول له مادلماً حياً، واستمر الأمر كذلك إلى أن أعدم يوليويو في مارس من العام التالي^(٥).

وتورد المصادر العربية لسماء عدد ممن شغلوا المناصب الدينية، لكن هذا الحديث يقع في معظم الأحيان من خلال تمثيلهم للحكومة الإسلامية كديموثيون

(١) ص ١٨ .

(٢) الوثائقي : المعيار المغربي ٤، ورقة ١٩٩.

(٣) ليبي بروقتال: الحضارة العربية في ليبيا، ترجمة الطاهر مكي- القاهرة،

دار المعارف، ١٩٧٩م ص ٢-١.

(4) Saavedra: op. cit. pp. 105-106.

(5) Isidoro de las Cagigas: op. cit. vol. I. p. 156.

لها لدى الدول الأجنبية، أو في استقبال وفود بحكم معرفتهم باللاتينية.
في سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م أرسل الناصر عباس بن المنذر الجليلي أسقف
إثيوبية (المفروض أنه مطران) ويعقوب بن مهران أسقف بجانة Pechina^(١)
وعبد الملك بن حسان أسقف البيرة إلى ملك ليون، للاتفاق على فداء محمد بن
هاشم التجيبي الذي أسر في معركة الخندق، ونجحت السفارة^(٢).

وعندما أثبتت سفارة من ملك الروم في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٨م أرسل
الناصر هشام بن كليب الجليلي إلى قسطنطين، ليجدد الهدنة ويؤكد المودة،
ورجع بعد سنتين^(٣).

وفي سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م قدم إلى قرطبة أردون بن أنفونش، واستقبله
الحكم المستنصر، وقد حفته وجوه أهل الذمة، وفيهم عبيد لله بن قاسم مطران
مليطلة^(٤)، الذي تولى بعد ذلك مطرانية تشيلية، وشارك في الترجمة، عندما
أتى سفراء الأسبان سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م^(٥)، كما كان مع رسل حلورية، عندما
أساموا السفارة موفداً إليها^(٦).

(١) ترجمة بالفتح ثم التشديد والف وتون بالأسكن من أعمال كورة البيرة خربت
وقد نقل أهلها إلى القرية وبينها وبين القرية فرسخان وبينها وبين غرناطة مائة ميل
وهي ثلاثة وثلاثون فرسخاً بقوت معجم البلدان ج٢ ص ٦١-٦٢ ونظر أيضاً الحميري:
قروض المعطار ص ٣٧.

(٢) ابن جوز : القتب، ص ٥ ص ٤٦٧.

(٣) ابن خلدون : القير ج٢ ص ١٤٢.

(٤) الحمري : نفع الطيب ج١ ص ١٨٢، أزهار ترويض: ج٢ ص ٢٨٩.

(٥) ابن جوز : القتب، قطعة الحكم المستنصر ص ٦١.

(٦) المصدر السابق ص ١٤٧.

(ج) طقوس الكنييسة ورسومها:

كان الحاكم المسلم يختص بالمراقبة على عقد المجالع الدينية^(١)، وأيمن مسيحيًا ما يذهب إليه سيموني^(٢)، من أنه كان يمثل السلطان في هذه المجالع نصارى مرتنون أو مسلمون، وكانت مجالع طليطلة تعقد في قرطبة، لأن مركز السلطة السياسية انتقل إليها.

كانت الكنييسة تمارس الطقوس المستعربية أو القوطية (o el Oficio Mozárabe (o Gótico) وقد خضعت هذه الطقوس للمؤثرات النصرانية الشرقية الواردة مع المسلمين، بل المؤثرات الإسلامية ذاتها، ومن هنا أصبحت تختلف عن الطقوس الرومانية. ومع هذا فقد وافق عليها البابا يوحنا العاشر في سنة ٩٤٢م بعد أن تحراها^(٣)، وظلت تلازم السعافيين في الأندلس، حتى بدأت الحرب ضدها، مع سقوط طليطلة في يدى ألفونس السادس، ويسعى يدها إليها جريجوري السابع^(٤) ويشير الامام القرطبي^(٥) إلى بعض هذه الطقوس، ويعتد في إيرادها على حقن بن البر قاضي العجم.

كانت المصنفات تؤدى في الكتائيس في شكلها الاحتفالي التقليدي، وشدى التواقيس^(٦)، وكان يطلع دقها أحياناً - كما ذهب

(١) كان يطلق على المجمع في عاصمة أهل الأندلس شيفرة، وهي مشقة من

اللبنية Synodus وصارت في القشتالية Sínodo انظر: Sinauer: Glosario. p.597.

(2) Historia de los Mozárabes. p. 360.

(3) Lévi-Provençal: op. cit. vol. III p.223.

(4) O'Callaghan: op. cit. pp. 203/204.

(٥) الأعلام بما في دين النصارى من فلسف والأروام. تحقيق أحمد حجازى البقا،

قاهرة دار التراث، ١٩٨٠ ج٤ ص٤٢٠ وما بعدها.

(٦) مثل ما ورد في رسالة التواقيع والقوايع لابن شهيد: فتخيرة في ١م

ص٢٥٩ وديوانه ص١٦٦ وما ورد أيضا في مقامة أبي حقن بن شهيد. فتخيرة -

ألفي بروفانس^(١) - كما كان النصارى يحتفلون بأعياد شهدائهم وقيسهم ومنازلهم الدينية.

وكان النصارى الأندلس صلات مع غيرهم من النصارى خارج الأندلس، فترد إليهم رسائل بالبرقية^(٢)، كما ترد أيضاً وفود للحصول على عظام بعض قيسهم^(٣).

ومن المعاهدين من كان يرتحل إلى المشرق بهدف الحج إلى الأراضي المقدسة، وبعد الفتح الإسلامي بقليل سافر القديس فيليبالو Wilhebaldo (Guillebaldo) ووصل إلى أرضها Edesa، حيث مشهده القديس طوما، وهناك جثته أمير المدينة، ثم أطلق سراحه، وفي عوده سنة ٧٤٠م أتى إلى دير مونثي كاسيتوفى إيطاليا، ثم ارتحل منه إلى ألمانيا، وأصبح أسقفاً لمدينة إيخشتات Eichstat^(٤).

ونعرف من شهداء قرطبة شعباً يدعى خورخي (جورج) رحل إلى بيت المقدس، حيث ترهب هناك مبعاً وعشرين سنة في دير القديس سبأ، ثم عاد إلى قرطبة، وشارك في حركة الاستشهاد، ومات في سنة ٨٥٢ م، ودفن في ديرنيا ملاريا^(٥).

٢٠١٠ م ٦٨١ - ويصور ابن حزم لقاءه بحبيته في غلس الجبل، بينما اكتفى تدق نواقيسها؟

اتبتسى وهناك الجسو مطلع
فبيل قمرع النصارى للوهميس
طوق الحماية ١٧٤.

(1) L'Espagne Musulmane au Xeme Siecle p.35.

(2) O.Callaghan: op. cit. p.185.

(٣) العثرى تصوم عن الأندلس من ٦-٧، الحميري: الفرض المعطاة من ١٥٢.

(4) Simonet: op. cit. p.175.

(5) Isidro de las Cagigas: op. cit. vol. 1. p. 215.

الفصل الرابع

النصارى وحياتهم الاجتماعية

١ - التكوين الاجتماعي للنصارى :

كان العنصر الأساسي من نصارى شبه الجزيرة الأيبيرية من أصل إسباني روماني، احتوى قلة من القوط، وأخذ عنده في الزيادة، نتيجة للظروف الجديدة، لكنه من ناحية أخرى كان يتناقص، نتيجة للدخول في الإسلام، الذي كان يطرد بين فترة وأخرى.

ليس هناك إحصاءات لسكان الأندلس، نستطيع أن نقف منها على عدد السكان للنصارى، ويذكر سيد أمير علي^(١) أن والي الأندلس السبع بن ممالك الخولاني ١٠٠هـ/٧١٩م - ١٠٢هـ/٧٢١م أجرى إحصاء بأمر الخليفة (يقصد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) لسكان الأندلس، على اختلاف لجناتهم ومذاهبهم، غير أنه لم يوضح المصدر الذي أخذ عنه هذه المعالجة. وقد جاء في البيان المغرب^(٢) أن عنراً أمر السبع أن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعتدل بهم عن منهج الرقي، وأن يخلص ما غلب عليه من أرضها وعقارها، ويكتب إليه بصفة الأندلس وأهلها^(٣).

ويذكر ابن حبان^(٤) أنه كان بقرطبة في عهد المنصور بن أبي عامر

(١) مستشرقون العرب، ترجمة رياض رافت، القاهرة، لجنة التثقيب، ١٩٨٢ ص ١١

(٢) ج ٢ ص ٢٦، وانظر أيضاً ابن القزويني: تاريخ الفتوح الأندلس ص ٢٨.

(٣) في المأثور: فتح الملب ص ٢٥٠، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٢٢.

١١٢ ألف داراً قرعياً و ٦٤٠٠ لوزاً لها وبياض أهلها، ويخرج ليلى
بروفيسل^(١) من هذا بأن عدد سكان قرطبة في القرن العاشر الميلادي،
وصل إلى حوالي نصف مليون، وبذا يصير عدد سكان الأندلس نحو ستة
ملايين.

لما كان انتشار الإسلام محدوداً فإن الغلبة العظمى من السكان كانت
من التتاري طيلة عصر الولاة، وإلى حد ما في عصر الأماة، لكن هذه
الكثرة العددية، لم تلبث أن تغيرت، لتصبح في صالح المولدين، منذ بداية
عصر الخلافة، وقد حافظ التتاري على وجودهم ككثية طيلة العصور
التي، حتى سقوط غرناطة نفسها.

اختصت مناطق معينة بأعداد كبيرة من التتاري، مثل كورة البيرة
التي لعب أهلها دوراً هاماً في عهد الفتنة الكبرى، ويؤيد الشاعر الفارس
سعيد بن جودي السدي^(٢)، بوقعة المدينة في سنة ٢٧٦هـ، وهي التي طفر
أهلها سوار بن حمون المحاربي بالمولدين والتتاري، وقتل منهم - كما قيل -
لثي عشر ألفاً.

لما كورة رية، فإن كثرة التتاري المعانين بها حملت الأمير عبد الله
٢٧٥هـ/٨٨٨ م - ٣٠٠هـ/٩١٢ م على نقل جثمان أخيه الأمير العنبر ٢٧٣هـ.
٨٨٦ م - ٢٧٥هـ/٨٨٨ م الذي ملك في حصار الحصن ببشقر Bobastro
ولم أن يتركه موطناً لأقدام أهل الشربة والخلعان، ويحل أهل التوافيس
والصليان^(٣).

(١) op.cit. p.232.

(٢) ابن حبان : المقتبس ص ٣ ص ٥٧-٥٨، ابن الأثير : الحلة القيروان، ج ١
ص ١٥٠ أو ٥٩.

(٣) ابن حبان المقتبس ص ٢ ص ٢.

لما كورة جيان، فتجد أن الخليفة الناصر، عندما خلص له حصن أيضا في سنة ٤٣٠ هـ/٩١٦-٩١٧م جعل عليه عريفاً من المعجم يعرف بابن يزانت Vicente^(١)، ومما جعله على تلك، غلبة المتنصر التبرائسي على أهل الحصن^(٢).

وقدما يتعلق بحصن أليدو Aledo، الذي لعب دوراً هاماً في الصراع بين المسلمين وبين النصارى بعد وقعة لراقة Sagrass في سنة ٤٧٩ هـ/١٠٨٦، نجد المعتمد بن عباد ٤٦١ هـ/١٠٦٨م ٤٨٤ هـ/١٠٩١م يخاطب يوسف بن تاشفين بأنه قد امتلأ برغبة الجهة كلها من النصارى وأعدوا ما يحتاج من كل شيء، فعمل من نظر على سعة، وهم في ذلك يهتدون بمجرى القوت^(٣). كان يقم في الزيف عدد كبير من النصارى المعادين، وفي هذا يقرر ابن حوقل^(٤) الذي زار الأندلس في سنة ٣٣٧ هـ/٩٤٨م أن الأندلس غير متباعدة فيها الكوف من الناس لم تمدن، وهم على دين النصرانية روم، وربما عصوا في بعض الأوقات، ولجأ بعضهم إلى حصن، فقتل جهادهم، لأنهم في غاية العتو والتمرد، وإذا خلعوا ربة المطاعة، صعب ردهم إلا باستئصالهم وذلك شيء يصعب ويطول.

وتستطيع أن تأخذ صورة عامة عن أعداد النصارى من دورهم في عهد الفتنة الكبرى، فقد شاركوا المولدين فيها، كما أن تحول عمر بن حفصون إلى النصرانية، يوضح ما كان للنصارى من شأن في ذلك الوقت.

(١) ابن حبان المقيس من ٥ من ١٣١.

(٢) يؤكد صاحب الفروض المطار هذه الحقيقة في عصر متأخر - من ١٩٤.

(٣) الأمير عبد الله الزيري : كتاب التبرائ من ١٠٨.

(٤) صورة الأرض ، من ١١١.

وتحدثنا المصادر عن هجرة عدد من النصارى إلى الأندلس من خلال عنصر الصقلية أو الحشم ، وربما وفد عدد من النصارى مع طائفة بلج بن بشر، وكانوا نساطرة، ومن المحتمل أن تكون لهم علاقة بتحلة القنبي التي ادعاهما مطران طليطلة في نهاية القرن الثامن الميلادي^(١).

كما تحدثنا المصادر أيضاً عن هجرة أعداد من النصارى خارج الأندلس، وذلك في أعقاب الفتح، على أن معظم هؤلاء عانوا بعد أن طُلبوا إلى تباعج المسلمين. وتتابعت الهجرات في عصور تالية، لأسباب مختلفة، أهمها دور بعض النصارى في مناهضة الفتنة والاتصال بأعدائها والثورة عليها.

لم يحتفظ النصارى بوضعهم، نتيجة لتحويل بعض اليهود إلى النصرانية، مثل ألبرو^(٢) Pantus Albarus الشهير في أحداث الشهادة بخرطبة^(٣)، كما ذهب البعض، ودخل بعض النصارى في اليهودية، مثل بونو Bodo (أو Botho) وهو شماس ألماني عمل بالباطن الإمبراطوري، وثود في سنة ٨٢٩م، وتسمى باليعازر، وهاجر إلى سرقسطة، وتزوج بيهودية لجانبة، وتذكر المراجع أن تقع كثيراً من المستعربين باليهود أو الإسلام ويأج بعض خدمه النصارى كرفيق المسلمين، وكتب منذ النصرانية^(٤).

(١) Wallis, J: The Significance of the Voluntary Martyrs of the Ninth Century Cordoba, The Muslim world, Vol. LX n.2 1970 p.134.

ولنظر أيضاً: Outler, A: The Ninth Century Spanish Martyrs The Muslim world, vol. LV, n.4 1965: p.328.

(٢) أشهر عند الأندلس بألبرو Alvaro.

(٣) Lévi-Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. 1, p.234.

(٤) Bazzoz op. cit. Vol IV, pp. 50-52.

اختص التمساري بأحياء لهم داخل المدن، وتستطيع أن نحدد هذا الحي في مدينة قرطبة، بالجانب الشرقي منها، ويقع إلى الغرب من مدينة الزاهرة ، وشماله باب الفرج وجنوبه باب الحديد^(١). أما «مركسة فكنان الحي المستعرب» يقع إلى الشمال الغربي منها^(٢)، وعند سقوط المدينة في يدي أنفونس المحارب ١١٠٤ - ١١٣٤م في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، يعمدة الفرسان الفرنسيين، أقطع قائلهم هذا الحي، وأعم عليه بقلب سيد «مركسة»^(٣).

كان للتمساري مدائن خاصة بهم عند بوابات المدن فأحدها بقرطبة كان مجاوراً لمقبرة متعة الإسلامية، وكان التمساري يعبرونها بعجلاتهم في طريقهم إلى مقابرهم. وفي أواخر القرن الثالث الهجري تكررت الشكوى بهذا الشأن، الأمر الذي دفع المحتسب إلى أن يسأل عدداً من الفقهاء المشهورين، فكان ليوب بن سليمان (ت ٣٠٢هـ) وابن وليد (ت ٣٠٩هـ) وابن أبي شامة (ت ٣١٤هـ) يمنهم من ذلك شأنهم شأن المسلمين أنفسهم^(٤).

لانشاهد بين تمساري الأندلس المعاهدين تقسيماً ملحقاً جداً كالذي كان قائماً في عهد القوط، وتؤكد المصادر العربية على افتراض اسم القوط (تقسمت الديلاء) واعتصامهم بجبال قشتالة وأريونة^(٥)، وإذا كان بعض التمساري قد

(١) فون شاك: الفن الإسلامي في إسبانيا ومغربية من ٧٢٢.

(٢) Lévi-Provençal: op. cit. Vol. III, p.345.

(٣) فتياح : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين . ترجمة محمد عبد الله عزان . القاهرة ، لجنة التأليف ، ١٩٤٠م ، ج ١ من ١٥٢ . .

(٤) ابن سناء: وثائق في أحكام قضاء أهل قشتالة بالأندلس من ٨١-٨٢، ونظير أيضاً . Lévi-Provençal: op. cit. Vol. III, pp. 225-226.

(٥) ابن خلدون : المعر ج ٤ من ١١٨ .

انحدروا بالتعل من أسلاف تيلاء، فأنهم كفوا عن أن ينجوا كتيلاء^(١)،
على أن عدم وجود طبقة تبيلة بين النصارى الإنسى أن عبداً كبيراً منهم
كانوا أغنياء، وفي ولد غيطشة الثلاثة مثال، والفتح على هذا، فقد كانهم
العرب على معاوتهم في الفتح، ولجأوهم ضياعهم القسيحة فاختص كل

(١) يقول سيمرون في كتابه أن بشت استمرار هذه التقسيم الاجتماعي، من أول أن يؤكد
الامبراطور التاريخ الإنسي وعم إقطاعه ومرتبة لفرد الإنسانية ويقل من أولادهم وأحرار ومن تبع
بهمها تعديرات مثل Proceres et Magistri, Proceres Christianorum.
ويصف أحرار صديقه أولادهم بأن ينحدر من عائلة تبيلة وسنلورية Nobili

Stirpe Progenitus senatorum traduce natus.

في هذه التسميات التي يدعوا سيمونيت بالوثائق القوطية اللاتينية نجد ألقاباً أخرى
مثل Sanctissimus, Serenissimus, Domus, Domus, Domus, Domus, Domus, Domus
وكذا ألقاباً رومانية مثل Aurelius, Flavius, Aurelius, Flavius, Aurelius, Flavius
المستعملة نجد تعديرات مثل فومنة، فمنة وهي Domino، فمنة وهي Domus، ما يو وهي
Major، فومنة وهي Domus، فومنة وهي Domus، فومنة وهي Domus، فومنة وهي Domus
وهي Seffora وغيرها - انظر Historia de los Mozárabes pp. 113-115.

على أنه فيما يخص بالوثائق الأولى، ونعود إلى القرن التاسع الميلادي، فإنها
ورثت بنصها اللاتيني، ولا توجد تصوص عربية بألقابها، كما أنها مكتوبة من عصر
القيساري، وكان من شأن المؤرخين أن يحدوا فربس بظنونهم شهادات، ويظنون عليهم
عزلة وأسلاف، أغلب الظن أنهم لم يحدوا حال حياتهم، إلا بما وأن بعض هذه
التعديرات ذات طابع ديني مثل Sanctissimus أي مقدس و Serenissimus أي سمر.

لما الوثائق القوطية فهي تعود إلى فترة الباقية لانتهاء السيادة العربية وخروج
العبدة عنها، وينتدب إلى أن هذه الألقاب استعدها النصارى المستعمرون من لغاتهم اللتين
جمعهم بهم مليلة واحدة، وأنهم كانوا في حياتهم يتحدثون العربية، أو لهجة مشتقة منها،
وأنهم عهد طويلاً في الاستعراق، فقد اكتسبت هذه التسميات الواحدة مع السطلة المسيحية
الواحدة مدينة عربية، وكثرت بحروف عربية.

واحد منهم بألف ضبعة^(١)، وكان نصارى اشبيلية في القرن الثالث الهجري غاية في الثراء من عملهم في الزراعة والتجارة، وكان العرب يحسدونهم لثروتهم، وكذا كانت جمل نصارى طليطلة في الفترة نفسها^(٢). ويذكر صاحب الروض المعطار^(٣) - في عصر متأخر - قرية قتيالة Finana قرب وادي آش Guadix في الجنوب "وأهلها عجم ذوو يسار" وحقق السحق القرطبي ثروة كبيرة، قيل أن يترك وظيفته في قصر الأمير، ويلتحق بدير تابافوس، ثم تصيبه حمى الاستشهاد^(٤).

ومثلما كان للمسلمين الحق في اقتناء العبيد، كان الحق نفسه للنصارى شريطة أن يكونوا نصارى مثلهم، فلم يكن من حقهم أن يقتنوا عبيدا من المسلمين ومن أسلم من النصارى بيع على صاحبه النصراني. ولم يكن هذا تعسفا من المسلمين، فالقولة البيزنطية كانت تحرم على غير النصراني اتخاذ عبيد من النصارى^(٥)، وكان العبد النصراني لسيد مسالم، لا تؤخذ منه جزية عند عقه، ولكن إذا كان عبدا لنصراني مثله ثم أعقته أخذت من الجزية^(٦).

٢ - بعض مظاهر الحياة الاجتماعية للنصارى :

كان النصارى في جملتهم يتحدثون العربية، كما كان من عادتهم أن يتخذ أحدهم اسمين عربياً ولاتينياً، وسمح لهم بأن يتناولوا في طعابهم

(١) ابن قوطبة : تاريخ افتتاح الأندلس ص٢.

(2) Dozy: op. cit. pp. 337-338.

(٣) ص ١١٤.

(4) *Isidoro de las Cagigas* op. cit. Vol. 1. p.212.

(٥) أم متر : الحضارة الإسلامية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريد، القاهرة لجنة التأليف ١٩٤٠م ج١ ص ٢١٦.

(٦) سحرور : الفتنة الكبرى ج٢ ص ٦١٦.

وشرابهم ما يبيعه لهم دينهم من خنزير وخمر^(١)، ولفتي القائلني أحمد بن محمد بن زياد اللخمي (ت ٣١٢هـ) بأنه "لاحد على التمس، إلا أن يسكر فإن سكر فعلية الحد"^(٢). ومع ما يتواتر في المصادر من اجبار النصارى في المشرق أحياناً على ارتداء ملابس معينة، فلنا لاشاهد هذا في الأندلس وأقدم المصادر القبطية التي ترد فيها هذه القيود، يعود إلى عصر المرابطين^(٣)، ويعبر عن ظروف مختلفة استجبت سببها حركة الاسترداد النصرانية وما تلاها من تعصب على جانبي الحدود.

يشير حمص بن البرقائني المعجم إلى بعض العادات التي اختص بها النصارى، مثل تكتيس بيوتهم بالملح، على نهج ما فعل اليسع، ويرى الأمام القرطبي أنه كان أحري بهم أن يقتسوها بالقراب والطين وليس بالملح اقتداءً باليسع، وهو أفضل من اليسع^(٤).

ورغم أن أعياد النصارى في الأندلس، بأصل دينهم من ناحية، ومشاركة المسلمين لهم فيها من ناحية أخرى، وفي تقويم قرطبة لسنة ٩٦١م - الذي كتب اسمه العربي عريب بن سعد الكاتب، وينسب نصبه للأكثني لربيع ابن زيد الأسقف ثبت بهذه الأعياد.

يحدد حمص بن البرقائني^(٥) أعياد النصارى فيقول "لما بعد.... فإن الذي أردت علمه من الأعياد السبعة التي أمر القاتون بصيانتها فهي معروفة، فأول

(١) المصدر السابق : ج ٩ ص ٥١.

(٢) ابن حزم : المحلى ج ٣٧٢ .

(٣) ابن عيون في ثلاث رسائل فقهية في أدب الحسية والمحتسب. نشر لقي

برونسال. القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥م ص ٥١.

(٤) الأعلام بما في دين النصارى من لسان الأوامر ج ٤ ص ٤٣.

(٥) في الأعلام القرطبي : الأعلام ج ٤ ص ٤٢٤-٤٢٥.

يوم منها، إذ بشر جبريل الملك مريم بميلاد المسيح^(١)، واليوم الثاني إذا ولد المسيح، والثالث إذا ختن إلى شافية ليام، والرابع إذ ظهر للهيكل^(٢) وأهبطوا إليه ذهباً ولوبناً^(٣) ومراً، وهو يوم النجم والخامس يوم الفصح، إذ قام عن القبر، والسادس إذ تخطفته السحابة، ورفى إلى السماء يحضر للحواريين والسبع إذ نزل روح القدس على الحواريين، وتكلموا بجميع الأنس.
ولما غير هذا من الأيام التي استشهد فيها الشهداء، ويصونها الناس، ويتصدقون فيها على المساكين والضعفاء، فواجب على كل ذي عقل أن يصونها، إما في مدينة، وإما في قرية^(٤).

على أن أهم أعياد التنصاري في الأندلس ثلاثة، هي عيد الميلاد، وهو يوم ميلاد المسيح، ويحتده تقويم قرطبة في ٢٥ ديسمبر^(٥)، وعيد يثير وهو أول السنة الميلادية^(٦)، ويوافق ختان المسيح، وجرت العادة على تسميته بالكنيزوز، وأحياناً بليلة العجوز، لأنه يأتي في البرد، وعيد العنصرة أو

(١) أي مولد: المسيح عليه السلام.

(٢) أي الهيكل.

(٣) المسيح ثباتاً فجيل متى سمعنا ٢ آية ١٦ واللبان أو الكندر مشروب من تلك يمتنع. نظر لسان العرب ج١ ص ٣٠٧٧، ج٢ ص ٣٩٢٦، ٣٩٩٢.

(٤) يحدد القزويني والمقرئزي: أعياد القبط سبعة فكان هي عيد البشارة، عيد الزيتونة، عيد الفصح، خميس الأربعين، الخميس وهو العنصرة، الميلاد، الفطاس، وسبعة سفر في الختان، الأربعون، خميس العهد، سبت الفرو، أحد الحدود، القنلى، السليبي. نظر: نهاية الأرب. القاهرة، دار الكتب، ١٩٢٩ ج١ ص ١٨٢-١٨٦، المواظ والاعتبار يذكر الفطاس والكتار يوافق، ١٢٧٠ هـ ج١ ص ٢٦٤.

(٥) ص ١١٥.

(٦) ص ١١٤-١١٥.

يوم ميلاد القديس يوحنا المعمدان^(١) في ٢٤ يونيو^(٢)، وجرت العادة في الأندلس على أن يدعى بالمهرجان.

عرف النصارى الشرقيون هذه الأعياد، وإن جعلوها في تواريخ مختلفة، الأمر الذي حير ابن السكيت^(٣) (ت: ٩٢١ هـ) وجعله يقرر - بعد أن طالع كتاب التاج للجلحظ - أن ما اعتقده العامة على أنه المهرجان هو القيروز، وما يعتقدون أنه القيروز هو المهرجان^(٤).

ويسبب هذا التضارب يرى فولكلور دي لاجرانزا^(٥) أن الكتاب الأندلسيين نسبوا أن يقيموا يمارعون هذه الأعياد، وما يذهب إليه غير صحيح^(٦)،

(١) وهو القديس يحيى بن زكريا عليهما السلام.

(٢) ص ٦٥.

(٣) المسائل والأجوبة، مطبوع بدار الكتب المصرية برقم ١٠٩ معالم تيمور.

لوحة ٢٩٣.

(٤) القيروز - والاسم في الأصل القيروز - هو بداية العام الجديد في السنة القارسية ١٤ آذار - مارس - ويجعله الأقباط أول توت وهو أول السنة القبطية (= ١٠ أو ١١ مبتدئ) أما المهرجان وهو ليثا من ليل قارس، فيوافق ٩ أيلول، هذه الأقباط (= ٢٦ تشرين الأول - أكتوبر) ولطلق في المشرق على عيد الحصرة وتاريخه خمسون يوماً من قيادة المسيح وتبلى الروح القدس ثلاثيته فكلوا جميع الأسن وفي اليوم نفسه حين لاه الشمس على يوشع بن نون في قتاله الجبارة - شويري. نهاية الأرب ج١ ص ١٥٣، ١٨٠ - ١٨٤، المغريزي: المملوك ج١ ص ٢٦٥، حريب - ربيع: تقويم قرطبة ص ٦٥، ٦٥.

ونظر ليثا: Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes Vol. I, p. 736.

(5) Fiestas Cristianas, Al-Andalus, Vol. XXXIV, Fasc 1, 1970 p. 2.

(٦) يقول ابن حبان وكذا الحصرة في هذه السنة (٨-٧ هـ) يوم السبت الرابع

من شهر (= ٢٤ يونية) والقيروز فيها لأول يوم من يناير فجميعها يوم الاثنين السابق عشر من شعبان منها القديس ص ٥ ص ١٦٥، ونظر ليثا: الرشدي: المعيار المغرب ج٦ ورقة ١٨٥.

فالنيروز (أو اليوم الجديد حرقياً) هو أول السنة عند الفرس والأكباط والمثنيين
لياً كانت بداية السنة. أما المهرجان فقد قدمه نصارى الأنتش، وجعلوه لأمر
خاص بهم، يوم ميلاد القديس يوحنا، وليس يوم قبر رأسه^(١) ويصانف عندهم
بداية الصيف.

ومهما يكن من أمر، فإن الكتاب الأنتسيين كالطرموشى^(٢) يسفون ما
كان يجرى في هذه الأعياد من أشياء، لم يكن يرضى عنها أقباء المسلمين،
فكان الناس يستعملون للزينة يلبر، فيتركون أصنافهم، ويتشاعرون القواكه
وينسبون الموائد، ويصلعون فطائر في هيئة مدن. أما في المنصورة فكان
النساء والرجال يخرجون للتفرج والتزينة، وتجرى الخيل، وترش النساء
بيوتهن بالماء، ويخرجن ثيابهن بالليل إلى التدي، وهم في هذه الأعياد يتهافون
فيما بينهم، كما كانوا يتهافون مع المسلمين^(٣).

ويتضح من التقويم القوطى^(٤) أن النصارى بالآنتش كانوا على دراية
بأعياد غيرهم من النصارى، مثل القبط.

كذلك كان النصارى يحتفلون بأعياد نبتية خاصة بلهيبالية وحدها، فهناك
أعياد للقديسين الذين يعودون إلى العهد القوطى، مثل القديس إيسيدور
الاشبيللى في ١٤ أبريل، والقديس زويلس Sotus Zoilus، وهناك أيضاً
أعياد للقديسين الذين يعودون إلى العهد الإسلامى، حتى من ناهض منهم

(١) القزوينى : عجائب المخلوقات، نشر فستقك جنتن ١٨٤٩م، ص ٧٥.

(٢) الحوادث والقدح، تحقيق محمد الطالبي، كتاب القولة التاريخية القومية، تونس
١٩٥٩م، ص ١٤٠-١٤١.

(٣) القزوينى : القدر المنظم في مولد هادى المعظم، مخطوط بالمكتف القزوينى
برقم ٩١٩ ورقة ٤ وجه، فرنشويش: الفهار الشريف ٦م، ورقة ١٨٤، ١٨٤.

(٤) ص ٣٦.

المجتمع الإسلامي، مثل القديس برنكت في ٣٠ إبريل، وسيزا - إن - دي في ٧ مايو، ولؤلؤ وخران في ٢٧ سبتمبر، وإيلير في ١٥ سبتمبر والبرو في ٧ نوفمبر^(١).

وهناك أيضا أعياد أخرى وطنية، مثل عيد العصور Alsace ويقام عند جني محصول العنب وعصره، فكان الأهالي ينتقلون إلى حقول الكروم، ويقومون عدة أيام، لجني المحصول، في جو من المرح والغناء والرقص^(٢).

٣ - مجالات عمل النصارى :

كان النصارى والموتون يشكلون غالبية الزراعة والصناع في الأنتلس، وبخاصة في عصرى الولاة والإمارة، ولم يشاركهم المسلمون الوالدون من عرب ويرير هذه الأعمال، إلا في مرحلة ثانية، بعد أن انصرفت الدولة عنهم، واستخدمت غيرهم من أجناس مرتزقة وصقلية.

عمل النصارى في زراعة الأراضي التي آلت ملكيتها إلى المسلمين، ولم يأبها كثيرا بتغيير الملك^(٣)، وكانوا في الكور المجندة يؤدون إلى العرب الشاميين نحو ثلث غلة الأرض، ويختصون أنفسهم بالباقي.

وكان بعض النصارى يزرعون أراضيهم الخاصة، ويؤدون عنها

(١) راجع الصفحات ٣٤، ٤٨، ٥٣، ٨٨، ٩١، ١٠٣ من التقييم لمذكر النصارى العربى واللاتينى.

(٢) كحد مختار المعادى - الإسلام في أرض الأنتلس، أثر البيئة الأوربية. عقم الفكر ١٠، ٤، ١٩٧٩م من ٣٩١.

(3) Saavedra: op. cit. pp 141-142.

الخراج، ويتصرفون فيها بالبيع والشراء، وفي نزلة^(١) لابن سهل^(٢)، تعود إلى أواخر القرن الثالث الهجري خير عن مولاة أرض بين سيدة مسلمة وبين عجم من قرية إبطيش.

لما عن الصناعة التي ازدهرت بالأندلس، فقد شارك فيها النصارى بنصيب ولاء، وكانت صناعة التسيج في الحضرة تشغل حياً مزدحماً بهم وبأخواتهم من المولدين، وهو حي المرارين^(٣) Vicus Tiraceorum الذي يرد في تقويم قرطبة^(٤).

كذلك عمل النصارى في التجارة، واشتغلوا بدور كبير في التجارة الخارجية، وقاموا بدور الوسيط بين إسبانيا النصرانية، وبين الأتلس وغيرها من الأقطار الإسلامية^(٥)، كما عملوا في أجهزة الدولة سواء في الجيش أو الإدارة، ووصل بعضهم إلى مناصب كبيرة.

ومن المهن التي برع فيها النصارى، واختصوا بها في مبدأ الأمر مهنة الطب، ومما يذكره ابن جليل^(٦)، يتبين أنها كانت وفقاً عليهم حتى عهد الأمير محمد وإذا كان المسلمون قد شاركهم بعد، إلا أن الكثرة الظاهرة لهم في هذه المهنة كانت مدعاة لسخط ابن عبدون^(٧) في القرن الخامس الهجري.

(١) نزلة وجمعها نازل وهي فتوى أو الأحكام المستخرجة من أدوية بعض الفقهاء على مسائل وجهت إليهم، وتقد في تاريخ الجناح ومن أهمها ديوان الأحكام الكبرى لأبي الأصبغ عيسى بن سهل الجرجاني ت ٤٨٦هـ.

(٢) ابن سهل : وثائق في أحكام قضاء أهل قننة في الأندلس ص ٥٨ .
(3) Lévi-Provençal: op. cit. Vol III p.307.

(4) ص ٢٧ نفس المقتنى.

(5) Lévi-Provençal: op. cit. Vol . III pp.309-310.

(٦) طبقات الأطباء والحكماء ص ٧٨ .

(٧) في ثلاث رسائل انشئية في آداب الحسبة والمحتسب ص ٥٧.

كان هذا النشاط الطبي يجري أحياناً في الليارات، واعتماداً عرمن
التناصر مرضى في أثناء ذهب الوزير الطبيب يحيى بن اسحق - وهو من أصل
تصرائى - إلى أهدام، وسأل عن عالم هناك، فوجد رجلاً مناسباً، سأل عن
علاج للآذن، فوصف دم الحمام حاراً، فعالج سيده التناصر، وشفى من
مرضه^(١).

من هؤلاء الأطباء جواد الطبيب فى عهد الأمير محمد، ويتنسب إليه
لعوق^(٢)، ويسونث^(٣)، وخالد بن يزيد بن رومان، وكان يسكن بيعة شنت
ألجج، وكسب أموالاً طائلة من مهنته، وكانت بيته وبين نسطاس بن جريج
الطبيب المصري التصارى مراسلات بشأن المهنة، وابن ملوكه فى آخر أيام
الأمير عبد الله، وكان يضع على باب داره ثلاثين كرسيًا تجلس الناس^(٤).
على أن أشهر هؤلاء جميعاً هو اسحق الطبيب. يقول ابن جليل "وكان
صانعاً بيده مجرباً"^(٥)، تحكى له منافع عظيمة وأثار عجيبة وتطاك فاق به
جميع أهل دهره، وورث عنه صناعته ولده يحيى الذى أسلم فيما بعد، وصار
من قواد التناصر ووزرائه^(٦).

(١) ابن جليل : طبقات الأطباء والحكام من ١٠١.

(٢) نراء مركب .

(٣) سونم .

(٤) ابن جليل : المصدر نفسه من ٩٧-٩٧.

(٥) ابن جليل .

(٦) المصدر نفسه من ٩٧-٩٨.

الفصل الخامس النصارى وحياتهم الثقافية

١ - بين العربية واللاتينية :

كانت اللغة السائدة في شبه الجزيرة الأيبيرية قبل مقدم العرب، هي اللغة اللاتينية، التي نشأت عنها لهجة من اللهجات الرومانشية «el Romance» وقد نشأ عن هذه اللهجة بعد تأثرها بالعربية اللغتان الشكالية وهي الإسبانية القديمة. تذهب بعض الدراسات الحديثة إلى أن الرومانشية - وهي التي عرفت في المصايف العربية بمجموعة أهل الأندلس - كانت هي اللغة العامة المشتركة، بين عناصر المجتمع الأندلسي جميعها^(١).
والحق إن في هذه المقولة قدر كبيراً من التجاوز والتزيد فاللغة العربية كانت هي اللغة العامة والمشاركة بين عناصر المجتمع الأندلسي جميعها^(٢).

يقول ألفرو الفرطلي في كتابه Indiculus Luminosus "إن النصارى - لخواني - مولعون بشعر العرب وأصمهم.. ويعتقدون على أعمال الفقهاء والفلاسفة المسلمين، ليس لأحدهم ما ورد بها، ولكن ليكتسبوا لطويلاً عربياً

(١) راجع في هذا الخصوص جوتشالك بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، منشأة المصرية، ١٩٥٥م من ١٤٢، تراث الإسلام (قديم) ج١ ص ١٤٦، ليلى بروكسل: الحضارة العربية ص ١١٢-١١٣.
(٢) انظر كاتينا تاتسوات : الفصل الأول ص ٢٢-٢٨.

صحيحاً وثيقاً، ولك أن تجد قديم أحداً من غير رجال الدين، يستطيع أن يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة.

إن الشباب النصراني ليست لديه أي فكرة عن أدب أو لغة حاشا للعربية، فهم يطالعون الكتب العربية، ويتألمسونها بينهم، ويتفنون أمراً أجملاً في جمعها، ويتفنون بالثرث العربي، وإذا حدثهم عن الكتب المسيحية، تجدهم يقولون أنها لا تعبر إلينا عنهم..

إن النصراني نسوا لغتهم، ولغة عنهم تستطيع أن تكتب رسالة باللاتينية، وإن كانوا منهم يجيدون التعبير عن أنفسهم بالعربية، بل ويتفهمون شعراً يفوق في جزائه شعر العرب أنفسهم^(١).

يؤيد حديث قُرو ما نقلت عليه في الوثائق المستعربة بطليطلة، فهذه المدينة خرجت عن سلطة المسلمين في سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م، أي أنها عادت إلى دائرة النصرانية من جديد، ومع هذا ظل أهلها من المستعربين يتحدثون بالعربية، ويكتبون بها وثائق - أغلبها يتصل بالمعاملات - نحواً من قرنين، وحتى في حال كون أحد الأطراف، لا يفهم العربية أو لا يفهمها فإنه كان يدون بالوثيقة أنه قد شرح له بلفظ أعجمي^(٢).

وبلغ من تفرع اللغة العربية، أنها استخدمت داخل الكنيسة، فوجد في الكتب الدينية المكتوبة باللاتينية شروحاً بين السطور بالعربية. وهناك أمثلة عديدة على هذه الشروح^(٣)، ويستدل منها على أنها أضيفت إلى نصاري لغتهم الأولى العربية، والمأمم باللاتينية محدود، وقد عثر على شواهد قويرة

(1) Simonet: op.cit. pp. 369-371.

Dozy: Spanish Islam 268-269.

(2) Vol. II p.13 Doc n.397 Año 1212 Speliendine, p.23,
Doc n. 419 año 1214 Marzo.

(3) Van Koningsveld: The Latin Arabic Glossary. pp. 45-52.

النصارى مكتوب عليها بالعربية، أو بالعربية واللاتينية معا وتبدأ باليسملة^(١).
تلف من ذلك على أن العربية كانت لغة الكتابة في الأندلس للنصارى
المعاصرين، كما كانت أيضا لغة الحديث، أما اللاتينية، فكان يلم بها فئة
محدودة من المثقفين ورجال الدين، يمارسون بها شعائر دينهم، إلى جانب
معرفة بالعربية، الأمر الذي أهلهم، لأن يقوموا بدور المترجمين والسفراء،
بين حكام الأندلس وبين نصارى الشمال.

وقد استطاع عدد من المسلمين من غير أهل البلاد أن يلم بهذه اللغة
بحكم الجوار والصلات العائلية وغيرها، فلقائني سليمان بن أسود في القرن
الثالث كان يعرفها^(٢)، وكذا عبد الرحمن الأوسط^(٣)، وكان العرب يعرفون
أحياناً بكنى أجنبية، وغلبت الإمالة على أسمائهم .

وهكذا تأثرت العربية باللاتينية، ويستدل على ذلك من لواخر أسماء
الفاعلين، والنسبة وأسماء التصغير، ففي العامية الأندلسية، تجد العلامات
الرومانشية *ello, ero*، ويطلق على الفندقي فندقيير، وتصغير حارة حارية
Harella وليس حويرة^(٤).

كما دخلت في العامية الأندلسية مفردات من أصل لاتيني، وقد ورد في
ملحق روزي للقراميس العربية الحصاء لبعثتها، وكذا في معجم سيمونيت
للكتابات اللاتينية والأيبيرية المستخدمة بين المستعربين، على أن قسماً كبيراً
من هذه الألفاظ يتعلق بالدين المسيحي وطقوسه.

(1) Lévi-Provençal: *Inscriptions Arabes d'Espagne*, Leyde, Brill, 1933, p. 78. Inscript. n.81 année 1156, p. 79. Inscript. n. 82 année 1160. See also: pour Boigues: *Las Escrituras Mudezabes Toledanas*, Madrid 1897, p.253. ff.

(٢) الخشلي : قساة قرطبة ص ٨٠.

(٣) الزبيدي : طبقات الشعراء والتفريغ ص ٢٧٨.

(٤) لبي بروغسان: الحضارة العربية ص ١١٤-١١٥.

٦ - مصادر ثقافة التنصاري:

تدهورت الثقافة الإسلامية في العهد القوطي في تيار القومى العام الذى اجتاح البلاد ومع هذا فقد بقي في إطار العهد الإسلامى بعض منها، فهناك الكتاب المقدس الذى ترجم بعضه أو كله، كما ترجمت قوانين الكنيسة وهى مجموعة قرارات مجامع طليطلة الدينية، ثم إن الكتب الكلاسيكية القديمة بقي بعضها فى نصه اللاتينى، أو ترجم إلى العربية.

ومما يجدر ذكره أن ابن خرسية يتحدث عن قومة فى رسالته التى ضمنها تفضيل المعجم فيقول^(١) "علم عالم دور الآراء الفلسفية الأرضية والعلوم المنطقية الرياضية كحكمة الاسترلوميقى والموسيقى، والعلمة بالأرتماتيقى والجو مطريقى، والقومة بالآلوطيقى والفولاطيقى". ومن الواضح أنه يقصد الفنون الحرة Artes Liberales^(٢) وهى العلوم الأرضية المقابلة للعلوم الدينية Sancta Dogmata.

ولكى الكتاب المعروفين عند نصارى الأشتلن القديم أو مسطحين الشهير صاحب مدينة الله De Civitate والقديم يسيدور (أشيدور) صاحب "الأصول" Etymologiae ويعرف الأول عند الأكلسيين باسم أشتنتين أو أشتنتين، أما كتابه فيعرف باسم "مصحف العالم للكلان" ويحدثنا عنه الأمام القوطى^(٣) بقوله "إن التنصارى معولون على معرفته، ومثكرون له فى قومه وقسمته، على أنه أعرف بمسالك النظر وأجر أهم على مباحج المعبر...".

(١) لمدد منتظر القيدى: الصقلية فى إسبانيا ص ٢٩.

(٢) وهى العلوم الموزونة عن اليونانيين وتنقسم إلى مجموعتين مجموعة ثلاثية هى النحو والبلاغة والمنطق، ومجموعة رباعية وهى الحساب والهندسة والفلك والموسيقى، وقد عرفها العرب لجان حركة الترجمة عن اليونانية.

(٣) الإعلام ج ١ ص ١٤٣.

على أن التراث الكلاسيكي كان محدود القيمة عند نصارى الأندلس^(١)، أما التراث الشعبي فقد ترك أثره في شعر الموشحات والأزجال، بطريقة نظمه جديدة، وموضوعاته سبق أن تناولها بعض الشعراء اللاتينيين القدامى^(٢).

ويتجلى العنصر العربي في ثقافة المعاهدين، فقد اجتذبت الثقافة الإسلامية في أواخر القرن العاشر الميلادي فرنسا (أو ألمانيا) يدعى جريجر Gerbert انتقل إلى إسبانيا، ودرس هناك، وفي سنة ٩٩٩م صار بابا باسم سيلستر Sylvester الثاني، ودعى بالبابا الفيلسوف^(٣).

وهناك كتابان هامان، يدلان على وجود تراث مشترك في البلاد، أولهما ملحمة السيد La poema del Cid، ويذهب الطاهر مكي^(٤) في دراسته لهذه الملحمة إلى المصدر العربي، فالشاعر من المستعربين، وفي الملحمة سور عربية مثل فخرم وتشرف والثأر، ومؤثرات إسلامية مثل تدمير القنائم، وزواج إينثى للسيد مريون، والنية في حال القتل الخطأ، ويعقد مقارنة بين الملحمة وبين الهلالية، فليطّل في الحالين شاعر على السلطة، ومنغى وقائل لحسابه، والملحمة لاقتدار لأن من قضيا الحب غير الحب بين الزوجين.

(١) Castro, A: op. cit. pp 61-62.

(٢) جرتاقت بالثأر: تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأندلسية في العصور الوسيط. القاهرة، دار المعارف ١٩٦٥م ص ٨٠.

(٤) ملحمة السيد: دراسة مقارنة. القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩م ص ١٧ وما بعدها من الصفحة.

واقسيد نفسه - كما يروي صاحب الذخير^(١) - كانت تدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب، فإذا انتهى إلى أخبار المهلب (بن أبي صفرة) استخفه الطرب، وطلق يحجب منها ويتعجب^(٢).

وثانيهما هو "ملك الكتاب" أو "التربية الكنسية" *Disciplina Clericalis* ومؤلفه في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي يهودي إيباني من وثقة اسمه ربي موسى سقودي (أبي الأسبقي) تنصر، واتخذ لنفسه اسم *Petrus Alfonsi*، والكتاب ألّفه في الأصل بالعربية، ثم ترجمه صاحبه إلى اللاتينية، ويضم أربعاً وثلاثين قصيدة، تدور كلها في موضوعات شرقية، ويعترف المؤلف بمصانره الشرقية، مثل كتاب الأمثال لحنين بن إسحق، وكتاب الأمثال للمشير ابن فلك، ويتردد في الكتاب ذكر مسر وبنداد والحج إلى مكة المكرمة، كما تتردد فيه حكايات عن الخل والزلف والخل الوافي وكيد النساء، وبعض هذه الحكايات تُرد على ألسن للحيوان والطيور^(٣).

وفيما يختص بالرياضيات والطبيبات، فقد أتى أسهام نصارى الأندلس عن طريق العرب، فالأعداد الهندية التي وضع قواعدها الخوارزمي في القرن الثالث الهجري، وصلت إلى الأندلس في القرن نفسه، وعرفها أبو الوفاء، وعمل لها كاتب مثل ألبروجدول، حتى يتسنى فهمها، وعن طريق المستعربين انتقلت إلى إيبانيا النصرانية^(٤).

(١) في ٣ ص ١٠٠.

(٢) *Petrus Alfonsi: Disciplina Clericalis* trans. by P.R. Quarrie London, R.K.P. 1977, Passim.

(٣) جبران فريته: *الرياضيات والفلك والبصريات*. تراك: اسكاف (جديد) في ٧ ص ١٦٦-١٧٠.

٣ - التراث الثقافي للنصارى :

إن ما وصل إلينا من الإنتاج العقلي للنصارى بعد قليلاً بالنسبة لكثرتهم، وهو الأمر الذي يستكره جوناثان بلنتيا، ولا يعطى لهم فى كتابه - وهو «سفر ضخم - غير صالحة قليلة»^(١).

يذكر ابن حبان أن فهارس الكندي فى عهد الحاكم المستنصر بلغ عندهما أربعاً وأربعين فهرسة فى كل واحدة عشرون ورقة^(٢)، ولم تصل إلينا هذه الفهارس، ويحتمل أن قسماً كبيراً منها تضمنت اقتلجا للنصارى الأتليين، لأن أئزرو يشير إلى شعر بعضهم، وأنه يولزى شعر العرب لنفسهم أو بفرقه، ثم إن هناك من النصارى - مثل حفص بن الير - توضح النصوص أنه كان متحدث المواهب ذا عطاء والف.

ومن لسبب فقدان هذا الإنتاج المستعربى أو معظمه ما جرى فى أخريات القرن الرابع الهجرى، عندما عهد المتصور بن أبى عامر - فى سعيه لإرضاء القهاء أو للامساء إلى المروانية - إلى خزان الحكم المستنصر، ولما يفرح ما بها من الكتب القديمة - عدا كتب الطب والحساب - وأحرق بعضها وألقى بعضها الآخر فى أبار القصر^(٣). ويقصد بالعلوم القديمة العلوم العقلية اليونانية اللاتينية.

يتركز التراث الثقافي للمعاصرين فى تراث مكتوب باللاتينية، وتراث آخر مكتوب بالعربية مؤلفاً ومترجماً.

(١) تاريخ الفكر الأتلي من ٤٨٥-٤٨٨.

(٢) القفرى: تلح الطب ج١ ص ١٨٠.

(٣) صاعدة طبقات الأمم من ٦٦-٦٧، ابن عذارى: البراق المغرب ج٢ ص ٢٩٢-

لما التراث اللاتيني، فأغلبه يدور في موضوعات دقيقة، وبطبيعة الحال كانت الأثرية هي المكان الذي تخرج فيه غالب المشتركين في هذا التراث، ورائدهم جميعاً سيرا - إن نير وهو اسم تينى لرجل تجهل اسمه الأصلي، عاش في أوائل القرن التاسع الميلادي، ووضّع الأساس للتكرير لحركة الاستشهاد الانتحارية بعد سنوات^(١)، واشتهر من تلاميذه إبولوخيو (ت ٨٥٩م) وألبرو (ت حوالي ٨٦٦م).

ظهرت في القرن الثاني الهجري بعض مصنفات تاريخية سُلِّطت بأسلوب الكتبة عاد المسلمين، أولها الحولية البيزنطية العربية لسنة ٧٤١م هـ Crónica Bizantina Árabe de 741. وهي تاريخ عام لبعض ملوك القوط وبيزنطية، وتتضمن أخباراً عن العرب في المشرق وقترعهم في إسبانيا، ولا يخفى الكاتب إعجابه بالنبي الكريم. والحولية المستعربية لسنة ٧٥٤م هـ Crónica Mozárabe de 754 وهي أيضاً تاريخ عام يبدأ ببداية الخليقة، وينتهي بحوادث سنة ٧٥٤م، وتشبه في محتوياتها الحولية المبلغة^(٢) ثم الحولية القوطية La Crónica Gothorum وكتبت في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وصاحبها ممنهوب من طليطلة، إعتقد على بعض المصنفات العربية، مثل النص الأصلي المفقود لتاريخ الرزاي، وفرد بها لأول مرة قصة ابنة يابان مع الملك رذريق، وهي القصة التي وردت في المصادر العربية، وتتصل بفتح المسلمين للأندلس^(٣).

(١) يدعى شهيداً إبولوخيو. Senex et Magister noster aliqui illustrissimus Doctor.

نظري : op. cit. p.340. nota n°1

(٢) جملة اثنين شهيداً: التاريخ، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية. القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م، ص ٣٦٦ وما بعدها وأحمد مختار الحلبي: من تراث تلمذ العربي الإسباني. عالم الفكر ج ٨. ع ١، ١٩٧٧م ص ٨٧ وما بعدها.

كانت للمؤلفات التاريخية المستعربة أثرها في المؤلفات التاريخية
بإسبانية النصرانية، والتي اضطلع فيها المستعربون المهاجرون بدور هام^(١).
ويدخل في جملة الآثار الألفية للمعاهدين كتاب الشروح^(٢) وهو معجم
لاتيني عربي محفوظ بمكتبة جامعة إيدن، ويعد راندا لمعجم يطرء القلعي
Pedro de Alcalá فيما بعد. ويستطيع القراء التمييز بين لغتهم الأولى
العربية، أن يرجعوا إليه لهم النصوص اللاتينية، والمعجم مكتوب نصه على
عمودين، ومتوسط عدد المطور في كل عمود إثنان وعشرون سطراً^(٣).
لما عن التراث العربي للمعاهدين، فقد وصلت إلينا نصوص لاتينية
ذات شروح عربية، أو نصوص لاتينية مترجمة إلى العربية، وأحياناً يكون
التصان على عمودين، أي يصير النص مزدوج اللغة.
كان الكتاب المقدس من أوائل الكتب التي ترجمت إلى العربية، وليس
من شك أن ابن حزم اطلع على نسخة من العهد القديم، استعان بها في كتابه
"التوصل"^(٤) وكذلك في كتابه "طرق الحماة" ففي حديثه عن ماهية الحب،
يعاود سفر التكوين ويستشهد بقصة يعقوب النبي، وواضح تأثيره بسفر
حزقيال^(٥) في هذا البيت^(٦).

(١) أحمد مختار العبادي : المرجع نفسه ص ٨٢.

(٢) ويرجع أن اسمه باللاتينية Liber Glossarum.

(٣) Van Koningsveld: Latin Arabic Glossary, Passim.

(٤) ص ٢٤.

(٥) وكان إلى كلام الرب قائلا: ما لكم أقم شعربون هذا المثل على أرض
إسرائيل فقلين الأناء أكثروا الحصرم ولنقل الأناء ضربت* لصباح ١٨ لفة ١.
(٦) طرق الحماة ص ٨٤ ولتصل في عقد المقارنة يعود إلى المحقق لعامل
الأستاذ طاهر مكي.

وماذا عليه من عسائى ولو عسى لنا أكل الزمان والولد ينسرس

أما العهد الجديد، فتشير المصادر النصرانية إلى يوحنا (خوان) الأشبيلي الذى عاش فى القرن التاسع الميلادى، ويعزو إليه رود ريجو خمينث بعد عدة قرون أنه وضع تعليقات عربية على الكتاب المقدس، ودعا العرب بسعيد المطران.

Et in esto medio fuit apud Hispalim gloriosus et sanctissimus Ioannes Episcopus, qui ab Arabibus Cayt Almatran vocabatur^(١).

على أنه من المؤكد أنه وجدت ترجمة عربية للعهد الجديد فى مدينة قرطبة، تعود إلى سنة ٩٠٨م، وهى من عمل اسحق بن يثثك (Velasco^(٢)) وتجد للتأثير العربى واضحاً فيها، فبدأ كل انجيل باليسمة الإسلامية، ويبدو أنه كان مشتقاً من العربية^(٣).

ومع أن العهد الجديد لم يصل إلينا كاملاً، ألا أنه توافرت لدينا تصحيحات عنه فى كتاب الفصل لابن حزم، الذى يحدد الصفة المادية له، مما يدل على أنه كان موجوداً أمامه، فيصف الأناجيل الأربعة، وعدد أوراق كل

(1) Simonet: Historia de los Mozárabes, p.321 nota N.I.Y Glosario, p. 34 del Prólogo nota n.1.

(2) Simonet: Historia de los Mozárabes, pp.752-753.

(٣) بدلاً من عبارة "يقول السراويل" يقول السراويل لى" (مضى لصحاح ٤ آية ٦) وبدلاً من أن يقول يوحنا أنا محتاج أن أعتقد ذلك" يقول أنا استوجب أن أتمد على ذلك" (مضى لصحاح ٣ آية ١) وبدلاً من "فكست آية" مروديا فى الوسط" يقول "فكست بين يديه" (مضى لصحاح ١٤ آية ١) والمفردات كلها مستخرجة من Van Koningveld: op cit. p.85.

انجيل منها ومقابل الخطء واللغة الأصلية التي كتب بها، وكذا الرسائل التالية وكان يسمى الإصحاح ياباً^(١).

ويوجد في المكتبة الأهلية بمدريد مخطوط يعود إلى سنة ١٠٤٩م يعرف باسم "جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس" وهو ترجمة للنصوص قرارات مجامع طليطلة ورسائل أخرى بابوية ، وربما كان الاسم الأصلي للمخطوط Excerpta أى "الخلاصة" أو Instituta Canonum أى "قواعد الكنيسة"^(٢) والجدير بالذكر أنه رثيت فيه القرارات تركيباً موضوعياً وليس طبقاً للترتيب الزماني، كما في النص اللاتيني^(٣).

يشير الامام القرطبي^(٤) إلى للتدوين أغشقين، ويصفه بزعيم القسيسين ويتضح من مقتبساته عنه، أنه كانت لديه نسخة عربية من "مصحف العالم الكائن كما ان هناك دلائل قوية، على أن كتاب "الأصول" لابن خلدون ترجم حوالي منتصف القرن الرابع الهجري^(٥)، ونقل عنه ابن خلدون^(٦) الذي توفي بعد سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٥م.

ومن الكتب التي ترجمت كتاب "التاريخ"^(٧) لپاولوس أروسيوس Paulus Orosius الذي عرفه العرب بپروشينس ، وكان ملك الروم^(٨) قد

(١) ج٢ من ٧ وما بعدها.

(2) Simoes: op. cit. p.320.

(3) Van Koningsveld: op. cit. p.60.

(٤) الإعلام، ج٢ من ١٤٣.

(5) Van Koningsveld: op. cit. p.60.

(٦) طبقات الأطباء والحكماء من ٤٦.

(٧) واسمه كتاباً كتب التاريخ لبعة في الرد على الوثنيين "Historiarum

Libri septem adversus paganos

(٨) قسطنطين السابع المعروف بپروفر وپروتيوس (٩٤٥/٩٥٩م).

أرسله مع كتاب الحقائق^(١) لنيستورينس^(٢) إلى عبد الرحمن الناصر في سنة ٢٣٧هـ / ٩٤٨-٩٤٩م^(٣). ويعزو ابن خلدون^(٤) ترجمة كتاب هروثيش إلى لاثون، لكنها قاسم بن أسبغ الليثاني^(٥) (ت ٣٤٠) والآخر قاضى النصارى، ومن المرجح أن قاضى النصارى - وحده - هو الذى قام بالترجمة^(٦).

كان للمعاهدتين دور آخر في حركة التأليف، إلا أنه لم يكن بارزاً، ولم يصل إلينا شيء عن الشعراء اللتين تحدث عنهم أليو، أما غيرهم فإن القيمة الأدبية لشعرهم كانت محدودة، مثل نظم حنص بن البرلماسير دلود، وما ورد في مجموعة نوليس الكنيسة، التي أهداها صاحبها وهو بلجنسيس Vincencio (أو Vicente) إلى أحد الأساقفة ويدعى عبد الملك فيقول^(٧):

كتاب لعبد الملك الأسقف التسدب	جواد نبيل الرقاد فى الزمن الجندب
همام ذكى الحنص واحد عصمره	عظيم كسريم ذى جلوم وذى لسب
يجدد فضيل الله فينا بفضله	وعسم به كل الأنام هدى الرب
قلأ زال فى عسل من الله شامل	مدى لهل مزى من فرى الأرض بالشكب

(١) لى الأتوية المتفرقة: materia medica.

(٢) طبيب يونانى عاش فى أوائل العصر القبطى واشتهر كتابه عند المسلمين وقام على ترجمته فى المشرق اسطفان بن ببول وراجع هذه الترجمة حنين بن إسحق. راجع ابن أبى السيمعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رشنا، بيروت مكتبة الحياة، ص ٤٩٢-٤٩٤.

(٣) لمصدر تحقيق ص ٤٩٤.

(٤) الشعر ج ٢ ص ٨٨.

(٥) سبق أن أشرنا إليه فى حديثنا عن الموالى.

(٦) راجع مناقشتنا لهذه القضية فى كتابنا 'التلميذات' الفصل الثانى ص ٢٩-٦٨.

(٧) Simonot: op. cit. p. 721.

وينكر في سعيد^(١) شاعراً من شعراء القصارى، عاش في دولة المعتمد بن عباد، ويدعى ابن العزقي النصراني الاشبيلي، ويأبى ببعض من شعره.

وتوجد بمكتبة جامع سيدي عقبة بالقصوران مخطوطته، يشبه مضمونها مضمون كتاب هروثيش، وبها محاورات إسلامية نصرانية^(٢). وأورد منتديات ببدال في دراسة له عن ثقافة المستعربين صورة للأرض من عمل أحدهم، جعلها مستديرة، وقسمها إلى ثلاثة أقسام، اختص بناو سام بالقسم الأكبر الشمالي، واختص بتويات « وهم المعجم - بالقسم الأوسط إلى اليسار، واختص بنو حام - وهم البربر - بالقسم الأسفل إلى اليمين، وفي الشريط الأفقي وسط الدائرة، كتب "جميع الأرض أربع وعشرون ألف فرسخ" وهو قياس محيط الأرض عند كثير من الجغرافيين، والكتابات كلها على الخريطة بالعربية، فيما عدا ترجمة التمن لخصاص بمحيط الأرض باللاتينية^(٣).

كذلك صنف القصارى في مجال العلوم القديمة وبخاصة الطب. وينسب ابن جليل^(٤) إلى خالد بن يزيد بن رومان قنصرافي، أنه كان يتبادل الخبرة مع طبيب مصري نصراني مثله هو نسطاس بن جريج، الذي كتب له رسالة في القول، وربما كانت هذه الرسالة لابن رومان وأبو نسطاس، كما يتضح من ملحق فهرسة الأب ميلاط^(٥).

(١) المغرب ج ١ ص ٦٦٩ قر ١٩٨ .

(٢) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٤-٣٥ حاشية ٢ .

(٣) المرجع السابق خريطة رقم ١٠ ص ٦٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٩٦. ابن أبي أسيمة: حيون الأقباء ص ٥٩٤.

(٥) ابن جليل : طبقات الأطباء والخصماء ص ٨٢ حاشية ٢ للمحقق القاضل.

وفي عصر عبد الرحمن الناصر لمع نجم يحيى بن إسحق الذي ورت
مهنة الطب عن أبيه، وقد أسلم وولي الوزارة والقيادة، وله في الطب كتاب^(١)
من خمسة أسفار، ودعي بالأريشم^(٢)، ويشير إليه ابن حزم^(٣) في رسالته في
تفصيل الأئمة، وينسب إليه عدة كتب، وليس كتاباً واحداً، وجميعها لم تصل
إلينا، ولا نعلم هل ألفها قبل إسلامه أم بعده، لم نوزعها للمحدثين.

ومن الشخصيات الهامة التي اشتهرت بثقافتها بين المعاصرين:

إليسا نسطوس :

ظهرت بين النصارى في الأندلس في أواخر القرن الثامن الميلادي
تحلة دعت بنحلة القبني Adopcionismo، وتنسب إلى مطران طليطلة
إلياندوس Eléandus الذي يرى أن المسيح بقدر ما كان إنساناً كان أيضاً لله
بالتبني^(٤)، وأيده في قوله فيليكس أسقف أرقه بالتر الإسماعيلي، وتصدى للكتابين
معاً راهبان هما بياتوس Beatus من ليبانا Liebana باشقوريش وإتيوريوس
Eterius من أرمسا، وكتب هذا الأخير دحضاً للتبني^(٥)، ويعت الكوين
Aduin زعيم النهضة الكارولنجية برسالة إلى إلياندوس، يحضنه على التخلي
عن مذهبه، فرد عليه إلياندوس بخطاب شديد اللهجة، ودعاه باريوس الجند،

(١) أولكتة وجميع كتابات إنسملة من الأوراق في الطب فنار :

Dazy: Supplément vol II p. 794.

(٢) ابن حزم : طبقات الأئمة والملوك من ١٠١٠، وعنوان الكتاب مقال لخوان

كتاب القصرل Apurissat لأقرلة، وعليه كان معتمد الأطباء الأندلس في القديم.

(٣) المقرئ : نفاح الطب ج ٢ من ١٢٢ .

(٤) O' Callaghan: op. cit. p.136.

(5) Simonet: op. cit. p.720. nota n.1

وهلجيم بيلغوس ودعاء بالانجيل^(١).

وعقدت الكنيسة خارج الأندلس عدة مجامع لإدانة الحركة. أهمها مجمع فرانكفورت في سنة ٧٩٤م، ضم ثلاثمائة من الأساقفة، لكنها لم تستطع أن تفعل شيئا لإيوانوس الذي ظل يزاول مهام منصبه مطرانا لمطليطة إلى أن توفي^(٢).

كان من آثار حملة القنبي أنها أثارت تطلعا من الشك حول صحة الطقوس المستعربية، ففي الجدل الذي دار بين إيوانوس وبين عدد من الكتاب الكارولنجيين مثل ألكوين، دفع بأن هذه الطقوس، يجب أن ترمى هي الأخرى بالهرطقة^(٣).

توضح دعوة إيوانوس إلى أي مدى كان التصاري يستمرون بحريتهم في الأندلس، فلم يمسهم ضرر، ووقفت الدولة محايدةزاء خلافتهم الفكرية، ولم تفعل ما فعلته الدولة العباسية في المشرق في الفترة نفسها من مناصرة للمطاطرة على من سواهم.

ويذهب سيمونيت^(٤) والمؤرخون القرنج بوجه عام - إلى أن هرطقة القنبي، وغيرها من الآراء المخالفة للكنيسة، إنما كانت أثرا من آثار الإسلام^(٥)، وتوافقه في مذهبه، ففكرة القنبي مبنية على بشرية المسيح، وتوافق ألكوين في ربطه بينها وبين قرطبة التي اعتبرها أليوبوع الرئيسي

(1) Ibid, pp. 273-274.

(2) Ibid pp. 270-274.

(3) O'Callaghan: op. cit. p.187.

(4) جيمس مؤنيس: فجر الأندلس من ٤٨٥-٤٨٧.

(5) ويشير ولفس إلى السوريين المتطاطرة الذين لعبوا دورا في الحياة الثقافية بقرطبة، شأنهم هنا شأنهم في الحوضر الإسلامية الأخرى، وكان لهم أثر في نشوء فكرة القنبي.

مطاطرة : Waltz, E: op. cit. p. 147.

لأفكار اليهودية Maxime Origo huius perfidiae de Corduba Civitate processit^(١)

قد ظهرت في القسطنطينية حركة تحطيم الصور التي دعيت بالآلات اليونانية وكان هدفها إزالة شبهة الوثنية عند النصراني، ولأنك أنه كان للإسلام تأثير واضح فيها، وبعد الامبراطور ليو الأول^(٢) ٧١٧ - ٧٤١م من دعايتها وقد لقيه معاصروه باسم اليونانية الإسلامية^(٣) وقد ظلت هذه الحركة نحواً من قرن وثلاث قرن ٧١١ - ٨٤٣م^(٤).

هذا التأثير الإسلامي يوضحه أن الأساقفة الذين اجتمعوا في فرانكفورت سنة ٧٩٤م، أصدروا قراراً بكتابة الآلات اليونانية واليهودية معاً.

حفص بن الير:

هو من عائلة عيشة ملك القوط الذي أعان ولده العرب، وأسلم بعض حنثهم، وقد ثار جدل حول أصله بعد العثور على مخطوطة للطهم حفص بن الير هذا لمزامير دلود، فيذهب شاتيشنأندر^(٥) إلى احتساب أنه من أصل يهودي، خاصة أن موسى بن عزرا الفريزلي في القرن الثاني عشر الميلادي يقتبس منه، كما أن هناك من يربط بينه وبين اليرمو القرطبي الذي يرى البعض أنه من أصل يهودي^(٦)، وثمة رأي آخر يرد حفصاً إلى أصل عربي

(١) Simonet: op. cit. p.266, nota n°3.

(٢) ويقل أنه من نسل قبيلة بن النهم من لواء الصليبية.

(٣) راجع بخصوص حركة الآلات اليونانية. السيد فياز العربي: الفكرة البيزنطية، القاهرة: دار الفهم العربية ١٩٦٥م ص ٢٠١ وما بعدها. والفلو لهنس: يوسف: الإمبراطورية البيزنطية. ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة: لجنة الترغيف ١٩٦٥م ص ٦٠ وما بعدها.

(٤) Die Arabische Literatur der Juden. Frankfurt, 1902. S.111.

(٥) وردت في إحدى رسائله عبارة Ego qui et fide et gente Hebraeus sum

يتضح من القياسات القرطبية أنه كان لحقنص كتابان هما "المسائل" و"الحروف" ونعلم أن المسائل في اللغة الإسلامي هي القتالوي والتوزيل مثل توزير ابن سهل وغيره، أي أن حقنصا تأثر بطريقة الفقهاء المسلمين، وكلامه يتخذ شكل لجوية لها أسلوب تقريرى مباشر، وأحيانا يبدأها بالفظ "اعلم" وربما كان له كتاب آخر يدعى "لغته" ذكره القرطبي^(١).

لشهر حقنص بأنه نظم مزامير داود على بحر الرجز المشطور^(٢)، ففي أوائل القرن السابع عشر الميلادى عشر انجليزى يدعى ديفيد كولفيل David Colville على مخطوطة عربية يدور الاسكوريال، مكتوب عليها "هذه لرجوزة حقنص بن قير القرطبي رضى الله عنه فى ترجمة زيور داود القتي عطيه السلام"^(٣). واستطاع كولفيل أن ينسخ من هذه المخطوطة^(٤) نسخة، احتفظ بها لنفسه، وألت يعد ولاته فى سنة ١٦٢٩م إلى مكتبة أمبروسيو فى مدينة ميلانو^(٥).

(١) الألفية لقلعة من ٢٢٩ .

(٢) ووزله "مستقل مستقل مستقل" وهو بحر مناسب وشبه البحور الأعجمية (الطينية) رباعيات بحر يلق (بحر السداسى أو الثمانى fambus).

انظر : Dunlop : op. cit. pp 139 - 146 .

(٣) ورد فى فهرسة تشكيلة قديمة تعود إلى القرن السادس عشر "حقنص القرطبي فى نظم وترجم لمائة والخمسين مزامير داود عطيه السلام وفى أول الكتاب استغاث على سبيل وسط وفى بداية كل مزمير شرح بالذى يشرح". انظر : Simonet : op. cit. p.770 nota n° 2.

(٤) فى سنة ١٦٢١ نقيب حريق هائل فى الإسكوريال فى على معظم ما كان به من ذخائر، وكانت هذه المخطوطة من جملة ما خضع.

(5) Dunlop: op. cit. pp. 137-138.

ورقم هذه المخطوطة هو 86 n Teologia cristiana IX كما هو وارد فى قائمة

مكتبات هذه المكتبة من ٣١ وترجع منها نسخة بنار الكتب المصرية برقم Bibl 994.

أو سورى مسيحي^(١).

على أن هذه الآراء جميعها تتعارض مع التصور الذي وصلت اليه،
فالورقة الأولى من هذا المخطوط مكتوب عليها حفص بن الير القوطي^(٢)،
والمخطوط نفسه يعود إلى أواسط القرن العاشر الميلادي، ومن ثم فصاحبه
معاصر لأبن القوطية، الذي أكد أنه من نسل ورقة بن غوطشة.

مما وصلنا من تراث حفص يتضح أنه كان ذا طابع ديني، وإلى هذا
يشير الامام القرطبي في خطابه إلى الكاهن النصراني .

يقول القرطبي^(٣) " اعلم يا هذا أن هذا القس الذي هو حفص هو من
كيسهم والصبغهم، على أنه ليس في القوم رجل رشيد ولا ذو عقل حميد،
وإنما كان كذلك، لأنه قد ضريت عليه الجزية، وإلزامه الصغار والضلّة، إذ كان
قد نشأ في ذمة المسلمين، وتعلم من علومهم، ما فاق به النصراني، ومع ذلك
فإذا تكلم في علوم النصراني وأحكامهم، تلجج لسانه وقصر بيانه لأنه ينزل
على آرائهم الفاسدة وتحكماتهم الباردة، وهل يصلح العطار ما أقصد لدهر".

يبدو أنه ألف كتاباً جيداً في هذا المقام، الأمر الذي دفع أحد كهنة طليطلة بعد
الاستيلاء عليها من المسلمين بزم من طبول إلى أن يستعين بها في كتاب ألفه
بالعربية عن الإسلام، وبعث به إلى قرطبة، فأثار حفيظة أحد علمائها
الأجلاء ، وهو الامام القرطبي - صاحب التفسير - فرد عليه بكتاب اسمه
"الإعلام بما في دين النصراني من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين
الإسلام، وإثبات نبوة نبيّه عليه الصلاة والسلام".

(1) Denlop, D.M.: Hafs b. Alhar, the last of Goth. J. R.A.S. 1954, pp. 147-148.

(2) Ibid p. 136.

(3) الاعلام - من ٤٧، وانظر أيضاً القرافي: الأجوبة المفصلة من ١٨٢-١٨٣ .

وفي من ٢٢٤ يقول قبل قسمهم وكبرهم حصن.

ربيع بن زيد :

من الشخصيات الهامة في عصر عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر، عرف عبد الناصر باسم Recemundo^(١)، واستخدمه الناصر مقيرا لدى ملوك أوروبا، وشغلته أسفاره العديدة عن أن يزاول مهام منصبه كأستاذ للابوية^(٢)، وفي إحدى أسفاره هذه التقى بيوحنا أستاذ جورفسه Gorze بألمانيا، وفي تاريخ حياة هذا الأستاذ الذي لا يعرف مؤلفه نجد الكاتب يشير إلى ربيع، ويصفه بمعرفة بالعربية وملاكته فيها

"Et litteris optime tam nostrorum quam ipsius inter quos versabatur linguae arabicae institutus"^(٣)

التقى ربيع أيضا بالعالم الكبير ليوناردو ألكريموني Liutoprand الذي أهداه كتابه في التاريخ واسمه Antapodosis ووصفه بالوقار والقداسة^(٤).

يقول ابن سعيد^(٥) في تذييله لرسالة ابن حزم في تفضيل الأندلس "ولما كتب التتجيم فلاين زيد الأستاذ القرطبي فيه تصانيف، وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني، وله ألف كتاب تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان وفيه من ذكر منازل الفرس، وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه".

يعرف هذا الكتاب بتقويم قرطبية، ويتسبب أيضا لعريب بن سعيد، وهو من أصل نصراني، وله كتاب "مسئلة تاريخ الطبري" كما ألف في تاريخ

(١) ينظر سمونت في الفصل الثالث من كتابه حول ربيع وحده.

(2) Lévi-Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane vol III pp. 222-223.

(3) Simmet: op. cit. p. 606, nota n. 3.

(4) Ibid. pp. 610-611.

(5) المقرئ : فتح الطيب ج٢ ص١٢٨.

المغرب والأندلس، ويذهب نوزي^(١) إلى أنه كتب النص العربي للتقويم الذي ترجمه ربيع إلى اللاتينية، وأضاف إليه إضافات تهم نصارى الأندلس.

ويعد تقويم قرطبة من أشهر التقاويم العربية^(٢)، ويذكر أوقات السنة وفصولها، وعدد أشهر وأيامها ومجاري الشمس، وفيه أخبار عن الزراعة والغراسة والفلاحة والحصاد ومطالع النجوم والأمطار والسنة الشمسية والأبراج، كما ين فيه أخبارا عن أعياد المعجم جميعها والأواء ومواعيد الفخر وعادات الحيوان.

٤ - الفن المستعربي :

كان من الطبيعي أن يتأثر الفن الإسلامي في الأندلس بالعناصر المحلية التي كانت موجودة قبيل مقدم العرب^(٣)، وتشير المصادر إلى ما وجدته مسلمون من آثار رومانية^(٤)، والجندير بالذكر أن أهل البلاد من مولدين ومغاربة كانوا يسهمون بتورهم في إنشاء مساجد المسلمين وغيرها، وهو ما نجد مثالا عليه في زيادة الحاجب المتسور بالمسجد الجامع في قرطبة^(٥)، وينقل المقرئ^(٦) في كتابه أنه كان يوجد في هذا المسجد ثلاثة أعمدة من

(١) Le Calendrier de Cordoue de l'année 961. introduction.

(٢) جوان فرنيه: الرياضيات والفلك والبصريات، تراث الإسلام (جديد) ق ٣

ص ١٨٧.

(٣) حسين مؤنس : تطور العمارة الإسلامية في الأندلس. حوايك كلية الآداب،

جامعة إبراهيم باشا الكبير - ط ١٩٥١ م. ص ١٨٩.

(٤) الحموي: عروض المعطار ص ١٢٢، ١٨١، ١٨٠، المقرئ: نفح الطيب ج ١

ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٦.

(٦) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٢.

الرخام الأحمر مكتوب على أحدها اسم محمد ومرسوم على الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وصورة غراب نوح، ويبدو أن ذلك من عمل الصناع المستعربين^(١).

إلى جانب هذا الفن الإسلامي الأندلسي الذي تأثر بالفن المحلي كان يوجد فن آخر هو الفن المستعربي el arte Mozárabe ويطلق أحيانا على الفن الإسلامي نفسه في مرحلته الأولى حتى نهاية عصر الخلافة^(٢).

على الرغم من تنوع معظم هذا الفن المستعربي، إلا أنه تبقى منه مثالان، الأول: كنيسة بيشتر التي بنيت بين سنتي ٩٩٨، ٩١٧م، وتضم ثلاثة أروقة تفصلها دعائم، وعقود وذراع، ثم مقصورة منحنية في شكل يزيد على نصف اسطواني ومقصورتين جانبيتين مربعتين، وعقد حدة القوس هو المسمى ما يكتشف عنه فيها، ويتمشى مع تخطيط الحنية، ويمتلئ حتى يبلغ ثلاثة أرباع قطر، على نحو ما في العقود الخلاقية^(٣).

الثاني الآخر هو كنيسة سانتا ماريا دي ملكي بظليطة، وتعود إلى العصر نفسه، وتتخذ شكل صليبي متساوي الأضلاع، وجدرانها مسيكة، ومقصورتها الكبرى أكبر من نصف دائرية في الداخل، ومربعة في الخارج كما هو شأن المقصورتين الجانبيتين، ولصديها غير كاملة لارتفاع فزائياها الخارجية. مقورة لتكسيها قنراً كبيراً من اللبنة، ويحد وسط ذراعها أوصاف أعددة ضخمة، لا تيجان لها ولا قوائد، وتحمل أجزائها على أساس نصف

(١) جيمس مؤنس : تطور العمارة الإسلامية من ٢٠٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٩١.

(٣) جوميت موريانو: فن الإسلامي في إسبانيا. ترجمة لطفي عبد القنيع، قسيه سالم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م ص ٤٢٢-٤٢٣.

تطرى، مما يدل على قمتها، والتقيب اسطوانى شامق الارتفاع وكذلك الشأن فى طاقية الحنية، وفى الوسط تنهض قوة بين نصف اسطوانية، ومتعارضة شبيهة بما فى التقليد البيزنطية^(١).

٥ - تنوع ثقافة المستعربين:

لهم المعاهدون نتيجة لهجراتهم المتقطعة إلى الشمال فى أحياء الثقافة فى هذه التواحي التى لم تكن من مراكز الحضارة قديما لتطرفها، وشجع شارلمان وولده لويس هذه الهجرة، وبرز عدد من الإسبان فى بلاطه^(٢) وعكف المستعربون فى القصر الأسباني على الترجمات اللاتينية والرياضية^(٣)، وتظهر فى مناطق الحدود ضرب من الشعر الملحى، عرّف بالأغاني الشعرية *Romances Fronterizos*، مهد فيما بعد لظهور الملاحم المشهورة^(٤)، كما كان من جملة الآثار التى تراثت على هجرة أعداد من المستعربين شمالاً نشوء المدونات التاريخية، ولا ندانى فى أن معظمها يعود الفضل فيها إليهم ومن بينها حوالية البلدة *La crónica Albeldense*، عثر عليهما فى دير البلدة بولدى لير، وتشمل تاريخاً مختصراً للملوك القوط و لاسيبيا النصرانية والمشرق، وتصل إلى سنة ٨٧٦م، والحوالية المتنبئة *la crónica profetica*، كتبت حوالى سنة ٨٨٢م، ومؤلفها مستعرب، ويبدو من كلامه أنه اعتمد على

(١) المرجع السابق، ص ٤٢٢.

(٢) *Altamira: A History of Spain*, p. 111.

(٣) جوان قرنيه: الرياضيات والفلك والحسابات، تراث الإسلام (جديد) ق ٢

ص ٤١٣.

(٤) محمود مكي: فى أثر العرب والإسلام ص ١٢٥-١٢٦.

مصادر عربية، وتتضمن إلى جانب التاريخ جملاً من أساليب العرب وأعمالهم في إسبانيا^(١).

هناك مجال آخر لتأثير المستعربين المهاجرين، وهو الفن المستعربي الذي نشرو به حيث صار يمثل فترة انتقال من الفن الكارولنجي إلى الفن الرومانسكي الذي ظهر في أواخر القرن الحادي عشر^(٢).

ومن تأثير المستعربين وفنهم، وبخاصة في مجال العمارة، يخصص جوميت موريتو فصلاً كاملاً من كتابه^(٣)، ويحمل حدود القوس هو الخاصية الجغرافية في الشكل، ويأتي بأشكال كثيرة، مثل كنيسة سان ميغيل دي لسكالدا في ليون التي بناها في سنة ٩١٣م مستعرب أتي من قرطبة، وتوجد فيها أصولاً أندلسية، تعمل في زيجاتها التي تحمل أوزاناً مشاء وفروعاً مخططة ومنعفاً على شكل حدود القوس ومسيحة، وتمثل فيها أشكال أسود صاعدة وطائر يحمل في منقاره سمكة وروساً خرافية وطيور^(٤).

وقد امتد التأثير المستعربي إلى فن تصوير المخطوطات الذي برع فيه ماخيو وفلورنثيو في القرن العاشر الميلادي، الأول بليون والآخر بقشتالة وكلاهما من المستعربين^(٥).

(١) جمال الدين الشاذلي: في أثر العرب والإسلام من ٣٦٨-٣٦٩، لصمد مختار فعيدى في عالم الفكر م ٨ ع ١٩٧٧م ص ٨٢.
(٢) جوميت موريتو: المرجع السابق نفسه ص ٤٢٤.
(٣) المرجع السابق ص ٤٢٤-٤٨٧.
(٤) المرجع السابق ص ٤٤٢.
(٥) المرجع السابق ص ٤٧٦-٤٨٢.

-

4

.

4

-

الباب الثالث

الحياة العامة للجماعة النصرانية بالأندلس

الفصل السادس : صلات النصارى بالدولة والمجتمع الإسلامي بالأندلس .

الفصل السابع : التأثيرات الاجتماعية والثقافية والدينية بين النصارى والمسلمين .

•

•

•

•

—

الفصل السادس

صلات التصاري بالدولة والمجتمع الإسلامي بالأندلس

١ - موقف الدولة الإسلامية بالأندلس من التصاري :

أسفرت مرحلة الفتح الإسلامي للأندلس، عن ظهور طبقة التصاري للمعاهدين، وقد ارتبط هؤلاء مع الحكومة الإسلامية بعقد الذمة وفي ظل هذا العقد عاشت المؤسسات المسيحية في سلام حتى مقدم الموحدين^(١).

وإذا كان مفيت الرومي قد أحرق عند فتحه قرطبة كنيسة القديس أجلس Sanctus Actisclos ، التي أنشأ فيها لبرك الحامية القرطبية^(٢)، فإن هذه الكنيسة أعيد بناؤها في أواخر عهد عبد الرحمن الداخل^(٣)، ويدعوها التقويم القرطبي^(٤) بكنيسة الأسرى Ecclesia Carceratorum.

وتنسب المصائر النصرانية إلى الأمير محمد، أنه أمر بهدم كل كنيسة بنيت منذ الفتح، وهذه المعلومة لا ترد في المصائر العربية، وإذا صحت، فإنها ترتبط بتعصيب التصاري، الذي كان سائدا وقتذاك في قرطبة. ويعترف نوزي^(٥) بأن أسلاف الأمير محمد، ألغوا على كنائس التصاري، بل كانوا لا يعترضون، على ترميمهم كنائسهم القديسة، أو بنائهم للجنيد منها.

(١) Simonet: OP. cit. P.321.

(٢) أنبار مجموعة. من ١٢ - ١٤ : القرني: فتح الطيب ج ١ ص ١٢٣

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ٢٢٩

(٤) من ١٠٦ للمص اللطيف.

(٥) Spanish Islam. PP. 299 - 300.

تروي المصادر العربية أخباراً عن هدم بعض الكنائس في عهد الفتنة الكبرى، وبناء مساجد مكانها، لكنها تروي أيضاً أن عمر بن حفصون - زعيم الفتنة - نشأ مسلماً ثم تنصر، وذهب في سياحته إلى اضطهاد المسلمين، كما أحدث كنائس.

وتشير بعض المصادر النصرانية إلى ما قام به المنصور بن أبي عامر من تخريب للكنائس النصارى وهدم عيانتهم^(١). وليس هناك ما يثبت صحة هذا القول، فكان خارج الأندلس، ومع قوم ليسوا في ذمة المسلمين، وقد تصابب الكنائس خلال الحرب ببعض الضرر. وما يجدر ذكره أن المنصور عاد وضمروته إلى قبر القديس يعقوب في قاسية جليقية سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧ م، أمر بحفظه ودفع الأذى عنه^(٢).

وكان المسلمون أحياناً يشاركون النصارى كنائسهم، مقتنين بما فعله أسلافهم بكنيسة القديس يوحنا بدمشق، فشاركوا نصارى قرطبة كنائسهم الجامعة، وهي كنيسة القديس بولس Sanctus Vicentius، ولما كثرت أعدادهم، وصارت قرطبة، سأل عبد الرحمن الأول أمانيها أن يبيعوا ما تبقى بأيديهم من هذه الكنيسة وتوسع لهم في البيت، وأجاز لهم إعادة بناء كنيسة شئت

(١) تقول الحولية السيلوسية Historia Silensis في هذا الزمان خمنت العبادة المقدسة في إسبانيا، وفتن على مجد الشعب المسيحي، ونهبت القنابر المغيرة في الكنائس. وبعد مكالمة هذا القنابر فضلت النهاية الكهنة، فرفعت قنابر عن أحقاد النصارى، وبعد مذابح مريعة لهم، فإن المنصور فجته الشيطان الذي ملكه في مدينة سالم وألحد في جهنم.

نظر : O'Callaghan : OP, cit.p. 130.

(٢) المقرئ: فتح القليب ج ١ ص ١٩٥ -

لجرح، وغيرها من الكنائس التي أصابها ضرر إبان الفتح^(١) ... وهكذا تشكلت نواة الجامع الكبير الذي اكتمل بنائه في عهد المتصور بن أبي عامر .

كذلك أياح المسلمون النصارى أن يبنوا كنائس جديدة خارج أسوار المدن^(٢)، وفي بعض الأحيان كانوا يبيعون لهم بناء هذه الكنائس داخل المدن نفسها^(٣)، ذلك أنه لما اختط الأمير محمد مدينة موريوط^(٤) (مدريد) بنيت بها كنيسة عرفت بعزاء المدينة La Virgen de la Almudena تقع بجوار قصر المالك^(٥) ويؤكد راجب مثل فيلويخيو أن النصارى بنوا كنائس وقبائل كثيرة للرهبان والراهبات^(٦) .

لجاء المسلمون للكنيسة بأن تكون لها أحياس تنفق منها، كما سمح لها بأن تقيم شعائرها، بما فيها من ذق الأجراس وأنظار الصليبان وهنالك أنشطة

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص ٢٢٩، القفري: نفع الطوب ج١ ص ٢٥٥، وانظر أيضا السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأقاربهم في الأندلس دار المعارف لبنان ١٩٦٢ م ص ٨٦ .

(٢) فرنشواشي: المعيار المغرب م ١٤٠ أ، وانظر أيضا: Levi-Provençal: op.cit vol III p.224
(٣) بلي النصارى كنيسة بالقسطنطين في عهد ولاية مسلمة بن مخلد (٤٧ - ٦٢ هـ) الذي لم يلبه بالكل الجدل، حتى كان يقع بينه وبينهم شر، ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب نشر تورى ص ١٢٢ .

(٤) لا يعرف بالتحديد متى أُنشئت، ويذهب الأستاذ محمود مكى إلى أنها أُنشئت حوالي سنة ٢٥٢ هـ/٨٦٩ م، انظر: مدريد العربية، القاهرة دار الكتب العربية، دت ص ٨٨، (٥) المرجع السابق ص ٧٥،

(٦) توماس أراوك: الدعوة إلى الإسلام - ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٧٠ م ص ١٥٨ .

كثيرة، على حشوز بعض المسلمين هذه الشعائر، ولم يرد في المصادر أخبار عن قيود على النصراني في لباسهم، أو علامات يتميزون بها، على نحو ما كان يحدث في المشرق^(١).

لم تتدخل الدولة في عقائد النصارى ولا شعائرهم، وكان تعيين رجال دينهم، من شأنهم وحدهم، كذلك عقد المجامع الدينية وإن كانت الدولة تدعو إليها في الأوقات الحرجة وليس صحيحاً ما يذهب إليه دوزي^(٢) من أن الأمراء أقاموا على هذه المجامع مسلمين ويهوداً، بأعوا للكرامى الأسقفية لمن يدفع لكثير.

كذلك لم تعمل الدولة على إرغام النصارى على التحول في الإسلام يقول دوزي^(٣): "إن أحوال النصارى لم تكن بالقياس إلى أحوالهم المادية شديدة الصعوبة، ويجب ألا يخرّب عن البéal، ذلك التسامح غير المحدود للعرب، فلم يتعرض أحد للضغط في الأمور الدينية، كما أن لم تكن هناك رغبة في تحويل النصارى إلى الإسلام، لما يترتب على ذلك من نقص في إيراد بيت المال. ولم يحدد النصارى تسامح المسلمين وعظهم، ففضلوهم على الفرتجة". سار النصارى في أحوالهم الدينية، وفق ما تقضى به شرائعهم^(٤)، وخاصة مجموعة القوانين التى تخلفت من العهد القوطى وعرفت باسم

(١) راجع موقف الحكم بأمر الله القابلى من أهل القنمة في مصر للفتشندى:

صبح الأقطى. القاهرة، دار الكتب، الخديوية، ١١٢٠م ج ٣ (ص ٣٥٩ - ٣٦٠)، ابن كبرى يردى: التجزيم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٨.

(2) op. cit. p. 238.

(3) Ibid. p. 235.

(٤) بنفرد ابن حزم بين قهواء الأندلس بإزام النصارى بأحكام المسلمين، راجع في

هذا القسآن: الإحكام في أصول الأحكام ج ٥ ص ١٠٩، ج ١ ص ٤٢٥، ولم نجد بين قهواء الأندلس من يؤيده فيما يذهب إليه.

Piero Jozzo، وكان للمعاذين قاضيه الخاص بهم، ويتولى الأمير (شم الخليفة) تعيينه في منصبه، شأنه في هذا شأن قاضي الجماعة عند المسلمين .

على أن هناك حالتين، كان قاضي المسلمين يقضى فيهما، الأولى: إذا لبوا رغبتهم في أن يفصل القاضي بينهم^(١)، وينقل سيمونيت^(٢) عن بعض كتب الفقه الأتليسي^٣ ويستحب للقاضي الجلوس للحكم في رحاب المسجد الخارجية عنه، من غير تعيينه عليه في جلوسه في غيرها ليصل إليه اليهودي والنصراني والضعيف، وهو أقرب الموانع^٤ .

لما للحل الثانية وهي الإيجار، إذا كان أحد طرفي الخصومة مملئاً، أو كان أمراً يصل بحد أو قصاص أو تعزير، على أنه كان هناك استثناء فيما يختص بحد الزنا إذا كان بين نصرانيين، فكان يترك لأهل ديلهما^(٥).

كان القضاة في أحكامهم يتوخون النزاهة ، وكثيراً ما يتنصتون

(١) يضع العلم ملك لهذه الحل، جاء فيجلبها في إطار النظام، سقون: المدونة الكبرى ج٤ ص ١٦٢، ابن فرعون: تسمية الحكم ج١ ص ١٧، ويضع لها الخلفى (٣٦١هـ) حداً آخر وهو إذا لم يرد حكم في شريعتهم وإلا ردوا إلى أهل ديلهم، فرنشولي: المعيار المغرب م٥ ورقة ٢٠٨ أ.

وام يكن ما يجري في الأتليسي بنعا للقاضي خير بن نعيم قاضي مصر ١٢٠ - ١٢٧ هـ كان يقضى عند باب المسجد بعد صلاة العصر، فيقضي بين النصراني لكندى: كتاب القولا وكتاب القضاة بيروت ١٩٠٨م، ص ٣٥١، أما القاضي محمد بن مسروق لكندى ١٧٧ - ١٨٤ هـ فهو أول من انظمهم الجامع. المفسر نفسه ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

(2) op. cit p.99, nota n.2.

(3) سقون: المدونة الكبرى ج١٦ ص ٥٥، ٤٢، ١١ - ٥٦، القرطبي: الجامع ج٦ ص ١٨٤ - ١٨٦ .

للتصاري إذا شاهدوا الحق بجانبهم، وهذا واضح من القضايا التي يوردها ابن سهل في أحكامه^(١).

في إحدى هذه القضايا قدم للمحاكمة نصراني من أهل الشر والفساد والتعريض بنساء المسلمين وبناتهم، غير مزيجر ولا راجع، رغماً عن شهوده، فأمر القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن يحيى بن مخلد (ت ٣٦٦هـ) بإباحة ظهره، وضربه، والضرب المبرح الموجع. وفي قضية أخرى استفتى القاضي ابن زريب (ت ٣٨١هـ) بشأن نصراني اسمه سعيد، روى مع امرأة مسلمة، ثم ذهبت المرأة، ولم يوقف لها على أثر، فلم يجب بشيء، والتي بالبريت في أمره، لداعي الشبهة والتثبت من عدالة الشهود^(٢).

كان بعض القضاة على دراية بحجمية أهل الأندلس - وهي اللاتينية - منهم سليمان بن أسود^(٣)، على أن لبعض الآخر، لم يكن على دراية بها، لذلك صار يتولى الترجمة عن لا يحسن العربية رجل ثقة مسلم مأمون^(٤). وإذا كان المسلمون قد أجازوا للتصاري المعاهدين أن يتعلموا أنفسهم، وفق مما تقتضي به أحوالهم وشرائعهم، فإنهم سمحوا لهم أيضاً بقدر من الاستقلال في بعض المسائل بالأندلس وبخاصة الثغور، على أن يلتزموا بالطاعة ويؤدوا الجزية، ويتجلى لنا ذلك مما حدث في شرق الأندلس، فإنه لما عزل عبد العزيز بن موسى بن نصير كورة مرسية، كان يحكمها قائد

(١) جمعت بعض هذه القضايا مستخرجة من الأحكام الكبرى، وصدرت باسم ترتلي في الحكم قضاء أهل قلعة في الأندلس بتحقيق محمد عبد الوهاب خاتمة، على أن ثمة قضايا أخرى لأن سهل، يورد قولشويش بعضها في المعيار المغرب.

(٢) قولشويش: المعيار المغرب ج ١، ورقة ١٧٢ ب، ١١٧٤.

(٣) الخشني: قضية قرطبة ص ٨٠.

(٤) ابن فرحون: تفسير الحكم ج ١ ص ٢٣٧.

قوطى يدعى تيمير Teodomiro^(١) حاكمه المسلمون يحصن أوربولة Orihuela ، ولما ضايق به الحصار صد إلى الحيلة، فأمر النساء أن يتخذن هيئة الرجال، ويقفن على الأسوار، ليوم المسلمين بكثرة عدد قواته، ثم قتم اليهم كرسول، وتفاوض معهم على الصلح، فأجابوا طلبه. وفيما يلي نصه، كما ورد في بغية الملئس المحتش^(٢).

من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتيمير بن غندوش^(٣)، أنه نزل على الصلح، وأن له عهد الله ونعمته وديمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يقاتلوه، ولا أحد من أصحابه، ولا يؤخر، ولا ينزع عن ملكه وأنهم لا يقتلون ولا يسيرون، ولا يقرقون بينهم وبين أولادهم وأولادهم ولا يقرقون على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ولا ينزع عن ملكه ما تعبد وتصح، وأدى الذي اشترطنا عليه، وأنه صلح على سبع مائة من الأوربولة وبلنتلة (Valentilla) ولقت ومولة (Mula) وبقسرة وآيه (Beyro) والورقة، وأنه لا يؤذى لنا أبقا، ولا يخيف لنا أمانا، ولا يقاتل خبر عدو علمه وأن عليه وعلى أصحابه دينار كل سنة ، وأربعة أمداد^(٤)

(١) ويدعى في المسموس اللاتينية Theodome

(٢) قاهره دار الكتب العربى ، ١٩٦٧م من ٢٧٤ تر ٦٧٥ ، رسالة تحسن تمادة أيضا في فروض المصلح الحبرى من ٦٢-٦٣، مع لكتاف يسير، وكذا في مسموس عن الألفى للحربى ص ٤ - ٥، كما يورد القزوى

Bibliotheca Arabico Hispana Escorialensis 1760.
Tomo n II. 106.

(٣) يرجح أن أصل غندوش - كما يلعب سافرا Trogobadus - وهو من الأسماء

الجرمانية التي شاعت في إيبيريا بين القوط - op.cit. p.87 -

(٤) جمع مد (وهو غير القمى) منرب من الأقال، يسارى ربيع مساع، والصناع خمسة أرطال، كما يسارى أيضا قلت قدح مسمى - لسان العرب ج ٦ ص ٤١٥٨، ١٩٥٩، وانظر أيضا: محمد حياء الدين قريش: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية -

قصح، وأربعة أملاك شعير، وأربعة أفساندا^(١) بسلام^(٢)، وأربعة أفساط خل وقسطى صل وقسطى زيت، وعلى الحد نصف ذلك. شهد على ذلك عثمان ابن أبي عبيدة القرشي، وخبيب بن أبي عبيدة بن مسيرة الفهسي وأبو قائم الهذلي، وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة^(٣).

احترم المسلمون نص المعاهدة، حتى بعد أن أثبتت لهم خديعة شعير، ويلاحظ أن النص لا يشير إلى من تطبق عليهم المعاهدة من ذريته. وعلى هذا فقد انتهى الوضع الخاص للكرة بعد وفاة شعير في سنة ٧٢٤م، وأُنزل أبو الخطار حسام بن خنرال الكلبي بهذه الكرة فريقاً من الشلمون^(٤).

وتروى المصائر اللطيفية عن أهل قمرية (قلميرة) في أقصى الغرب أن عبد العزيز بن موسى بن نصير أقرهم على حلالهم، وأقام عليهم في سنة ٧١٦م حاكماً عرف في هذه المصائر باسم Alboacem iben Mahamet Albamar iben Tarif، وربما كان اسمه العربي أبو عاصم

١- القاهرة، دار الأمان. ١٩٧٧م ص ٣١٩. أما الذي والجمع أسماء، فهو مكمل منضم لأهل الشام ومصر ويقال له أيضاً الجريب، والجريب خمسة وأربعون رطلاً، ابن منظور: تلسن العرب ج ٦ ص ٤٦٢.

(١) جمع قسط من الأكيل وقسط نصف شاع أو مثلاً قح مصري، لسان العرب ج ٦ ص ٢٦٢٧، وتقرأ أيضاً: محمد ضياء الدين الرئيس: الفراج والنظم المأقية ص ٣٦٠. (٢) شراب مطبوخ غير منسك يتخذ من شعير العلب. ابن منظور: لسان العرب ج ٤ ص ٢٦٩٩.

(٣) ربما يوجد ليس في تاريخ هذه المعاهدة لأن عبد العزيز بن موسى بن نصير لم يل أمور الأندلس إلا بعد عود إليه إلى المشرق في سنة ٩٥هـ/٧١٤م، (4) Sissonet: op.200.

(أو أبو القاسم) (١) بن محمد الأحمر بن طريف (٢)، وكان إلى جانبه فرعون من القوط يشترك معه في الحكم، ويدعى أيدولفو. *Aldolfo*، خلقة فيما بعد ولده ألتاجانو *Atanagildo*، ثم حفيده تيودو *Teodo* (أو *Theodas*) (٣). وهناك وثيقة تنسب إلى عبد الرحمن الداخل، مؤرخة في صفر سنة ١٤٢ هـ/ يونيو ٧٥٩ م، (ورد الغزيري) (٤) نصها، ونقلها عنه سيمونيت (٥)، كما نكرها الذهبي (٦)، وفيها يلي نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب أمان الملك المعظم عبد الرحمن للبطركة والرهبان والأعيان والتجارى الأتلسيين أهل قشتالة، ومن تبعهم من سائر البلدان، كتاب أمان وسلام، وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ، ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف لوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من

(١) ويذهب سيمونيت إلى ترجيح اسمه بابي الحسن. *Ibid.* p. 181, note 2.

(٢) وترجح له من القدير أنهم كانوا كثرة المسلمين الواقعين بالقرى الأدنى ثم إن طويلاً كل من الأسماء الثلاثة بينهم .

(٣) *Ibid.* pp. 181-183.

ومن المرجح أن القرية هذه لها علاقة بجمعي الأخرين *Alakos* الذين يشار إليهم المراجعين في ٥٧٠ هـ في كتابه "رياسة الأقباط" فيقول "واستعمل أمر المستفد (بن عبد) وكان لأبلك الأجناسيين وبعض كور بنرب الأتلس، وغزا بورتقال جمعي الآخرين وهما جستان مقابلان بينهما مخرج، فظفر يقرم فتون كانوا فيهما، وكفروا معادين بعهد موسى بن نصير لأبائهم، وفهم كثير ممن يتكلم بالعربية وكفروا بزعمون لهم من نربة جيلة بن الألبهم القسبي الذي تكسر من العرب"

Dozy: *Scriptores Arabum Iocj de Albadides*; Leyden, 1846-1863 Vol. II p. 67.

(٤) *Op. cit.* tome II, p. 104.

(٥) *Op. cit.* Apendice numero VI.

(٦) سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرتاوي، نشر حداث، بيروت، مؤسسة

الرسالة ١٩٨١م ج٢ ص ٢٢٢-٢٢٣.

الفضة، وعشرة آلاف رطل من خيال الخيل، ومثلها من البغال مع ألف درع وثلث بيضة، ومثلها من الأرماع في كل عام إلى خمس سنين،. كتب بمدينة قرطبة ثلثة من صفر عام ثنتين وأربعين ومائة".

انصرف تكوير بعض المؤرخين مثل سانشيث ألبرتوت^(١) إلى أن المفسود بفشتالة هنا حاضرة كورة البيرة في الجنوب، وكانت تدعى عند المسلمين قشتالة Castilla، ويمتثلون من شروط المعاهدة على مقدار ما كان يعاينه النصارى من عات تحت حكم المسلمين.

على أنه من المرجح عدم صحة هذه الوثيقة للأسباب الآتية :

١ - دعى عبد الرحمن الداخل بالملك المعظم، وليس كنيّا نص واحد يشير إليه بهذا اللقب.

٢ - المعاهدة طرفاها حاكم المسلمين وقوم من النصارى، وقد جرت العادة على أن يكون طرفا المعاهدة حاكم المسلمين وحاكم النصارى.

٣ - لم يرد في الوثيقة إشارة إلى شهود المعاهدة، كما جرى مع تدمير

٤ - ذكر الذهبي - بعد أن أورد نص المعاهدة - ثم كتب لأهل قشتالة ذلك الأمان الذي تقدم، وهو ينص الوزير بشر بن سعيد الخالقي " وليس في المصائر ذكر لوزير بهذا الاسم لمجد الرحمن الداخل.

٥ - يشير النص إلى واجبت مالية للنصارى، ولا يشير إلى حقوق لهم بخلاف ما جرت عليه العادة في مثل هذه المعهود، ومنها عهد تدمير .

٦ - ليس لدى مدينة قسطلة ولاكورة لإبرة من الموارد ما يجعلها تؤدى هذا المبلغ لمنضم .

٧ - لم يرد في المصائر ما يشير إلى وجود علاقة خاصة بين الحكومة

(1) Livemore : OP. Cit. p. 336.

الإسلامية، وبين أهل إيبوري، كما أن ما متجه للمسلمون من استقلال نسبي للتصاري، فلما كان في مناطق الثغر، وليس في صميم أرض الأندلس .

وكان على التصاري واجبات مالية، فيؤدون عن أرضهم الخراج وهو ضريبة الأرض ولا يمسك بسلامتهم، وكان مقدار ما يؤخذ من الأرض الخراجية، أكبر مما يؤخذ من الأرض العشرية^(١)، ويحدد دوزي^(٢) الخراج بنحو عشرين في المائة من غلة الأرض، أما في الأراضي التي صارت قطاعاً للأجناد العرب، فكان المعاهدون يؤدون لهم ثلث غلة الأرض، ويختصمون أنفسهم بالثمن، وهو وضع يفسد كثيراً ما كان سائداً في عهد القوط، وكان مفيداً للمسلمين والمعادين معا .

يقول القزويني^(٣)؛ وسمعت بعض شيوخ الأندلس من الأجناد وغيرهم يقولون: ما زال أهل الأندلس ظاهرين على عدوهم، ولمر العدو في ضعفه وانقراضه، لما كانت الأرض منقطة في أيدي الأجناد، فكانوا يستغلونها، ويراقون بالفلاحين، ويروونهم كما يربي التاجر تجارته، وكانت الأرض عامرة بالأموال والقرى، والأجناد متراقرين والخراج والسلاح فوق ما يحتاج إليه.....^(٤)

وكان التصاري يؤدون عن تجارتهم نصف العشر، ما دامت قد بلغت نصيباً، وهو عشرة دنانير، في حين كان يؤخذ من المسلم ربع العشر^(٥).

(١) أبو يوسف : الخراج نشر قصص محمد بن النوفلي، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٢٩٦هـ، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) Spanish Islam, p. 235.

(٣) سراج الملوكة، القاهرة، المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ، ص ١٠٠.

(٤) ملك : الموطأ ج ٢، ص ٢٥٥، سجنون: السيرة الكبرى ج ٢، ص ٤٠-٤١.

والسبب في ذلك أن عشور النسي تؤخذ على أمواله الدائنة في
التجارة دون سائر رأسماله، بخلاف المسلم الذي كان يحاسب أيضاً على ما
لديه من أموال باطننة^(١).

كذلك كان للنصارى يؤمنون الجزية، مقابل الحماية والاعفاء من الخدمة
في الجيش، وقد جازب دوزي^(٢) الصواب حين أتى بما ورد عند أبي حنيفة^(٣)
رضي الله عنه في هذا الخصوص، لأن القوم في الأندلس كانوا على مذهب
الإمام مالك^(٤) الذي يقرر على أهل الذهب أربعة دينار، وعلى أهل الورق
(الفضة) أربعين درهماً.

لم يكن مبلغ أربعة دينار كل عام بالمبلغ الكبير، فمن نعلم أن راتب
المتصور بن عامر في سنة ٣٥٦هـ، أي في بداية حياته الوظيفية، كان خمسة
عشر ديناراً مشاهرة، ارتفع في سنة ٣٦٧هـ إلى تسعين ديناراً، وهو راتب
الحجاية^(٥)، ومعنى ذلك أن ثلاث دينار كل شهر، لم يكن بالأمر العسير على
أحد من أوساط أهل الذمة، وفي الوقت نفسه كان يعنى من أداء الجزية للنساء
والصبيان والشيوخ وذو العاهات والمجرب والرهبان^(٦)، وكان للنصارى إذا

(١) عبد الكريم زيدان: الحكم قنطين والمستأمنون الفاشرة، ١٩٩٢م ص ١٨٦
والأموال البتلنة هي ما يمكن اخلاؤه مثل الذهب والفضة، المارودي: الأحكام السلطانية
ص ١٢٥.

(٢) OP. cit. p. 235.

(٣) أبو يوسف :خراج ص١٢٢، المارودي: الأحكام السلطانية ص١٦٢-١٦٤.
ومقدار الجزية ٤٨ درهماً للنوس، ٢٤ للوسط ١٢ للفقير.

(٤) السويط ج١ ص ٢٧٩.

(٥) ابن عثري : قريون المغرب ج٢ ص ٢٥١، ٢٦٧.

(٦) مالك : الموطأ ج١ ص ٢٨٠، ابن رشد (شفا) بداية المجتهد ج١ ص ٤٧١.

أعقده سيده المسلم، لا تأخذ منه الجزية، أما إذا أعقده سيده التمرقني وجب عليه أدواها^(١).

وقد أوردت بعض المراجع الأجنبية أخباراً عن اضطهاد لحق بالنصارى، وتصنف في جمع الأموال منهم، إبان عصر الولاة، على أن الحولية المستورية لسنة ٧٥٤م تقضى على عدد من هؤلاء الولاة مثل يحيى ابن سلامة لكثبي ١٠٧هـ/ ٧٢٦م - ١١٠هـ/ ٧٢٨م الذي رد للنصارى ظلماتهم، وأشد على عماله Terribilis Potestator^(٢)، كما تتفق مع الأخبار المجمعة^(٣) في شأنها على ولاء آخرين، مثل عقبة بن الحجاج السلولى ١١٦هـ / ٧٣٤م - ١٢٢هـ / ٧٤١م وتوجه بعنقه^(٤).

ثم يقع في الأندلس نظام متمان الخراج - وهو قريب الشبه بنظام الإنزال - وكذلك الحال بالنسبة لنظام الإلجاء^(٥)، وإذا كان ثمة ضرر نسب لضعفية مثل المعونة، فإن هذه أجزاؤها القضاة، إذا عجز بيت المال عن إزراق الجند^(٦). ولم تكن هناك سخرة، كما أن هدايا التوروز لم تكن شائعة في الأندلس.

(١) سحنون : الفتنة الكبرى ج٢ ص ٢٧.

(2) Simonet: op. cit. p. 157, nota. n.4.

(3) ص ٧٥ - ٧٨.

(4) Aschbach: Geschichte der Omajyaden in Spanien. Wien 1860. 88, 101-102, nota n.4.

(٥) نتيجة أن بلجىء الضعيف ضيقه إلى قوى ليجاس عليها، وجمعها الملجاء والملجىء، أو كد بلجىء القوى الضعيف، وقد أجازها صاحبها إليه الخوارزمى: مطابق العلوم نشر خان قرين. لندن، بيرك ١٨٩٥ ص ٨٢.

(٦) الفوتشقى : المعيار الصليب م ٦ ورقة ٧٨، ونشر أيضاً.

Dozy: Supplément Tome II p. 192.

ومما يجدر ذكره أن الحكومة الإسلامية بالأندلس، كانت تنزل أحيانا عن بعض مستحقاتها، مثل إسقاط المشور، كما فعل الأمير المنذر إبان عهده القصير^(١)، أو إسقاط سدس الجبلية، كما فعل المنصور وولده المظفر^(٢)، ولما اقترح لخدمهم على عبد الرحمن الأوسط أن يقرضوا رسما على الدواب والأحمال التي تدير قطرة قرطبة، ليحصل من وراء ذلك على مال عظيم، رفض بشدة، بل عاقبه على اقتراحه^(٣)، وفي سنة ٣٥٦هـ عطف الحكم المستنصر عماله على الزيادات التي فرضوها على الرعية وتعتقهم في معاملتهم^(٤).

كان أفراد المجتمع الأندلسي - بوجه عام - يؤثرون دورهم في دفع الضرائب، وإذا كان الثاويون وحدهم - وهم قلة في الحرب - معفيين من العشر، فالسبب في ذلك أنهم كانوا عباد الجيش وسناده، حتى عهد المنصور أن أبي علف .

كان للتصاري دور في إدارة الدولة التي درجت على الإستعانة بهم في وظائفها، وجدير بالذكر أن العار ردى^(٥) أجاز عقيد الأسي وزارة التنفيذ، وهي التي يتولى صاحبها تنفيذ أوامر الأسي، كما أجاز أيضا أن يكون عامل للي، أما إذا كانت معاملته مع أهل الأسرة^(٦).

(١) ابن الخطيب : أصل الأعلام ص ٩٤.

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠.

(٣) ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٥١.

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ٢٣٩.

(٥) الأحكام السلطانية ص ٢٨.

(٦) القمطر السابق ص ١٤٨.

وقد صلل مرجون بن منصور قروى كتابا لأبي الفرج لمعاوية بن أبي سفيان =

بدأ التعاون بين الدولة وبين الخصاص المعاهدين في فترة مبكرة، فعندما ظهرت نواة المقاومة النصرانية، قس الشمال بزعملة بلال^(١)، أرسل المسلمون جيشا بقيادة عتمة، وسحب الموش لثة Oppas أخو الملك غيلشة، وقد توجه لثة هذا إلى بلال، يدعو له للاستسلام للمسلمين والإذعان لحكمهم فرفض بلال ثم دارت معركة^(٢)، انتصر فيها الخصاص، ووقع لثة أسيرا في أيدي موطنيه، فعاقيه على خيلته بالموت^(٣).

ويحدثنا ابن التوطية^(٤) عن ابن أخ لثة هو أرطاباش الذي كانت تربطه بالولاة المسلمين علاقات وثيقة، وهو الذي أشار على أبي الخطار بتفريق الشاميين في الكور، وأخذى نفرا من وجوههم جملا من ضياعه. كما صاحب عبد الرحمن الداخل في بعض غزواته، واستولى الأمير ذات يوم على ضياعه، ثم صفح عنه وولاه القناسة، وكان يستشير في أمور كثيرة، وفي عهد الحكم الأول، نجد ربيع بن تائف "مفولي المعاهدين" الذي

= وخلق من بني أمية حتى عهد عبد الملك بن مروان. الجيوشي الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وآخرين. القاهرة، الطبعة ١٩٦٨م ص ٢٤-٤٠، كما كان الخصاص في عيسى ابن مسطورس وزيرا فخليفة العزيز بالله الفاطمي ابن تغرى بردى: الهجوم الأخيرة جة ص ١١٥-١١٦.

(١) Pelagius وعرف في النصوص اللاتينية المعاصرة بيلاجيوس Pelagius وهو أول ملوك أشتوريش ٧١٨-٧٢٧م.

(٢) وهي معركة مغارة أوتجا Cova de Oja ودعيت عند العرب بالقصقرة وقد وقعت في عهد ولاية عتمة بن الحجاج السلوي ١١٦هـ/٧٣٤م-١٢٢هـ/٧٤١م. ويحدثنا الأسبان بداية حركة الاسترداد La Reconquista ومعركة القرون الثافي La Batalla de ocho Siglos.

(3) Aschbach: OP. cit. s. 46.

(4) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٧-٥٨.

اشتبك في قريش المعازين والمغارم^(١) على المسلمين، ممّا دفعهم إلى الثورة^(٢)، وفعل الأمر نفسه مع أبناء أهل الذمة^(٣)، مما جعل الأمير في آخر سنى حكمه على القبض عليه ومصلبه، ثمّ قدم المتظلمون من ربيع إلى قرطبة، يطلبون إنصافهم، وكان عبد الرحمن الثاني قد خلف أباه وجرى صدام بينهم وبين الجند قل فيه بعض هؤلاء المتظلمين^(٤).

على أن أشهر من استختم من المعاهدين في عصر الإمارة، هو قومس ابن ألتون بن يليفة مستخرج الخراج^(٥) الذي علون عبيد الله بن أمية بن يزيد في الكتلة للأمير محمد، فلما أصابت عبيد الله هذا علة ملته من مزاولته عمله، ثاب عنه قومس، إلى أن مات فأسلم قومس وخلفه في الكتلة^(٦).

ولما توفي القاضي محمد بن سلمة للكلبي في سنة ٢٩١ هـ، عزم الأمير عبد الله على تولية أبي الغمر بن فهد القضاء، فاستأجر حمير قومس المعاهدين فرمى غياهبه في منسجته بقبرة، وأخذ ينس له عند الأمير،

(١) راجع بنسبهم المعونة ص ١٥٣، أما المفرد فهو غرامة تفرض على العصاة بعد أن يتم إخطاعهم، لخيار مجموعة ص ١٥٤. والمغارم بعدان معاً من الضرائب غير الشرعية.

(٢) ابن الخطيب: أحوال الإقليم ص ١٥.

(٣) لاتعرف المقصود بهذا التعبير، فربما كانوا من المرابطين، وربما كانوا من المعاهدين، ويذهب الأستاذ علان إلى أنهم من المعاهدين. دولة الإسلام في الأندلس ج ١ ص ٢٥٥.

(٤) التويرى: نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٣٧٦، ٣٧٧. ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٤١.

(٥) راجع بخصوص هذا المنصب الفصل الثالث من هذا الكتاب ص ٩١.

(٦) ابن القوطية: تزيخ لفتح الأندلس ص ٩٥ - ٩٧.

وما زال به حتى صرف نظره عنه ، واستغضى أحمد بن محمد بن زياد^(١)، ولما قامت الخلافة الأموية في سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م، وعظمت سلطة الدولة، وازداد عدد المسلمين، صار النصارى المعاهدون أقلية، تم احتواؤها في الأندلس العام للمجتمع، وأصبحت معظم أختارهم تتعلق بدورهم في سياسة الدولة الخارجية مع ملوك شبه الجزيرة وسانت أقطار أوروبا.

ففي سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م أرسل الناصر سفيره اليهودي حسداى بن إسحق إلى جليقية لعقد الصلح مع رذمير الثاني ٩٤٠-٩٥١م، وأطلق سراح محمد بن هاشم النجيبى قائد الذى أمر فى وقعة الخندق قبل عشرين. ولم يلبث أن ورد إلى الناصر كتاب من النجيبى يسأله توجيه لكثير أساقفة النصارى إلى رذمير، للاتفاق على فدائه، فأرسل الخليفة عباس بن المنذر جليليق أسقف الشيبليه ويعقوب بن مهران أسقف بجاية وعبد الملك بن حسان أسقف البيرة، ليمتثلوا الحكومة الإسلامية فى مفاوضات الصلح الذى تم عقده بشروط الناصر^(٢)، وفى العام التالى أطلق سراح النجيبى وأُخذ إلى قرطبة صحبة حسداى والأساقفة^(٣).

كذلك صاحب هشام بن كليب (أو هنيل) الجليليق سقراء قسطنطين امبراطور الروم، الذين جاءوا فى سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨-٩٤٩م بكتائب ديسوريدس وفركتش، ليجدد الهدنة ويؤكد المودة وعاد بعد سنتين ومعه رسل من قسطنطين^(٤).

(١) الخشني: قصة قرطبة من ١٠٠ - ١٠١.

(٢) ابن حبان: المتكبر من ٥ من ٤٩٣.

(٣) التمسخر السابق من ٥ من ٤٧٤.

(٤) ابن خلدون: المعر ج ١ من ١٤٣ وانتظر أيضا: Lévi - Provençal op. cit.

وفي سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م قدم إلى الناصر رسل أُو (Oghis) (١) اميراطور
الدولة الرومانية المقدسة (٩٣٦-٩٧٣م) ليحث مونسوع القراصنة المسلمين
المقيمين في مستعمرة على الشاطئ الجنوبي لفرنسا (٢). وكان الرسل برئاسة
يوحنا أسقف جورثه، ويبدو أن الكتاب الذي أتى به، وردت فيه عبارات
أزعجت الخليفة، فتمنع يوحنا من السفر، كما رفضت مقابله. وفي الوقت نفسه
أرسل ربيع بن زيد أسقف القيروة المعروف عند النصارى بربخاندو مقابل أُو
في قرانقوررت، ثم عاد إلى قرطبة في سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م، بتعليمات إلى
يوحنا، تتضمن عقد اتفاقية صداقة مع الخليفة، الذي عدل عن موقفه منه،
وأنن له بمقابله (٣).

ولما نجح ربيع في مهمته أوفده الناصر في مهام أخرى إلى
القسطنطينية وبلاد الشام، حيث أتى بشلح قتيعة جعلها الناصر في قصره
بمدينة الزهراء (٤).

وفي سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م استقبل الحكيم المستنصر أُرْدُون بن ألقوش
المنازع لابن عمه شالجه بن رخمير ملك ليون، بصحبة جماعة من وجوه

(١) ويعرف عند العرب بيهو أو موته ملك إسفانية، ويقصدون بهم الأتراك.

(٢) وهي مستعمرة فرانكيتيوم Fraxinetum على خليج سان تروبيز - Saint
Tropez ووردت في كتب الجغرافيا العربية باسم جبل القابل، أنظر ابن حوقل: صورة
الأرض ص ٢٠٤ والأصلحري: مسالك الممالك نثردي خويبه- تين، بول ١٩٦٧ ص ٩٦.
وقد استوطن هذه المستعمرة قوم من المسلمين أتى معظمهم من الأندلس، وأرغموا
جيرانهم النصارى بإخراجهم منقورة عليهم.

(٣) ريتو: تاريخ غزوات العرب ص ١٧٧ - ١٨٢ وانظر أيضا:
Lévi - provençal: op. cit. vol. III p. 222.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٢٦.

النصارى، فهم ولید بن حیزون القاضى الذى كان يقوم بالترجمة، وعيبد الله ابن قاسم المطران، وأصبح بن عبد الله بن نبيل الجاثليق، وتم الاتفاق على أن يعاون الخليفة أرتودن فى استرداد عرشه^(١).

وفى سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م وفد إلى الحكم المستنصر عدة سفارات من ملوك إسبانيا النصرانية وأمرائها، ومنهم حلوية لينة ودمير حاضنة ودمير ابن شلجيه صاحب جليقية، وكان يقوم بالترجمة أصبح بن نبيل القاضى، وعيسى بن المنصور الأسقف، ومعاوية بن ثب القومس، وعيبد الله بن قاسم مطران اشبيلية^(٢).

وفى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م قدم على الحكم رسل حلوية، وبدأ فى كلامهم بعض الجلاء، فأكبره الخليفة، ونهر المترجم وهو أصبح بن نبيل، وألصاه عنه وعزله من وظيفته، ولم يلبث أن صفح عنهم، وعاد رسل حلوية إلى بلادهم ومعهم عيبد الله بن قاسم المطران^(٣).

وفى عهد المنصور بن أبى عمار وولده المظفر لم تعد ثمة حاجة إلى سفارات، وبهم أوفى النصارى، بل لم تعد حاجة إلى سفارات أصلاً، لأن ممالك الشمال صارت لشبه يولانيات تابعة للخلافة قرطبية، على أنه عندما حدث نزاع على الوصاية على أفونيش الخامس ملك ليون، انتدب المظفر قاضى النصارى يفرطية، وهو أصبح بن سامة، لحسم هذا النزاع^(٤). وفى أواخر عصر الخلافة، أسند إلى بعض النصارى وظائف فى

(١) ابن خلدون: المعر ج ٤ ص ١٤٥، المقري: نفح الطرب ج ١ ص ١٨٢.

(٢) ابن جيل: المقتبس لعمدة الحكم المستنصر ص ٦٤.

(٣) قصص السابق ص ١٤٧.

(٤) ابن خلدون: المعر ج ٤ ص ١٨٨، ابن عذارى: قوانين المغرب ج ٢ ص ٦٤.

التوبلات التي عرفت بدول الطوائف ، ففي الجنوب كان أبو الربيع النصارى كاتباً لياقوس بن جوس ملك غرناطة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م - ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، وكان له دور واضح في الخلاف الذي نشب بينه وبين ولده ملكين^(١).

كما شارك النصارى في جيوش الدولة^(٢)، وهو ما جرت عليه الحال في المشرق أيضاً^(٣). ويذهب دوزي^(٤) إلى أن بلج بن بشر القشيري استعان في وقعة أوة برطورة سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م بعدد كبير من العبيد النصارى الذين يقلحون لأرضي العرب والبربر^(٥).

وفي عصر الأمازي بدأ استخدام النصارى بشكل واضح في جيش الدولة ، ويحتلّوا يولوخيو في كتابه "الكرابات مقاسة" عن مستعربين خدموا في جيش عبد الرحمن الأوسط^(٦) - ومنهم أخوه (أى أخو يولوخيو)

(١) الأبر عبد الله الزيري: كتاب قتيان من ٦٦-٦٨.

(٢) يذهب ابن حزم إلى أنهم من الإستغاثة بهم. المجلد ١١ من ١١٢ - ١١٣، ولا يعطينا ملك ولداً مجدداً ولا يرى ابن القاسم النصارى (١٩١هـ) بكاً من عملهم لولية وخمسة. مطعون: المصنوعة الكبرى ج ٣ من ٤٠. ويذهب أبو يوسف - وهو خطي - والموردي - وهو شافعي - إلى أنه يجوز الإستغاثة بهم، ولا يحرب لهم بسهم في الفدية وإنما يسلون حسب عدلهم. فتراج من ٢١٤، الأحكام السلطانية من ١٥٨ - ١٥٩.

(٣) في مراسلات فرقة بن شريك وإلى مصر ٩٠ - ٩٦ هـ مع صاحب كنوة أثلوه، نجده يطلب منه عمالاً وصناعاً وملاحين للعمل في دور الصناعة والأسطول، وتحتل المراسلات على تفاق هذا الطلب من أجور العمال وأولادهم. سيئة كاشف: مصر في فجر الإسلام قاهرة، دار الفكر العربي ١٩٤٧ من ٩٢.

(٤) Spanish Islam, p. 144, Isidro de las Cagigas: op.cit. tomo I, P. 92.

(٥) وما يذهب إليه دوزي غير صحيح، فالعبيد الذين استعان بهم بلج في الفرقة كانوا من العرب البشيين والبربر. رفضوا في أسارى، وهو ما يتضح من رواية الأخير المجموعة من ١٧، وانظر أيضاً ابن حبان في المأثر في فتح الطيب ج ٢ من ٥٩ .

(٦) Simoni: op.cit. p 368.

الأكبر واسمه يوسف^(١).

وفي عصر الخلافة أصبحت مشاركة المستعربين في جيش للدولة أمراً عادياً، فاستنكر المنصور بن أبي عامر منهم، وأجرى عليهم الأرزاق وعلمهم معلومة مليئة، وعندها كان يحدث نزاع بين نصرائي وبين مسلم من جنوده، فإنه عادة ما كان يتصرف للنصرائي^(٢).

لنت الاستعانة بالنصاري في جيش الدولة إلى اتصالهم أحياناً بأعدائهم ففي إحدى غزوات المنصور بن أبي عامر، وقع في يدي أحد فرسانه شيخ هرم، ادعى أنه حطاب، ولما كان الوقت متأخراً، والجو يكتنفه برد وريح ومطر، شك القارس في أمره، وتحدث به إلى المنصور، فأمر الصقلية بتفتيشه، فتم مع علي كذاب من نصاري كانوا يخدعون عند المنصور إلى أصحاب لهم من النصاري الحربيين بدعوتهم فيه للمسير إلى مكان معين، يضربون فيه المسلمين، فلما تبين المنصور تلك أمر بضرب أجناب الخونة وضرب رقبة الشيخ معهم^(٣).

٢ - علاقات النصاري بخصائص المجتمع الإسلامي بالأندلس:

لم يختلف موقف عناصر المجتمع الإسلامي بالأندلس من النصاري عن موقف الحكومة الإسلامية، فكان المسلمون ينفرون إليهم على أنهم موافقون، لا يختلفون عنهم إلا في دينهم. ولم يكن العرب - كالفوط - يعيشون بمعزل عن

(١) Ibid. p. 368. note 3. 382

(٢) راجع في هذا الشأن ماورد في الحولية الميمنية والمريمية العامة لألفونس

العالم.

Simonet: op. cit. p. 630. note 2. [

(٣) ابن حبان في المقرئ: فتح الطلب ج ١ ص ١٩٢ ، ابن عذاري: البيان

المغرب ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

أهل البلاد، فقد انتشروا في نواحيها، كما عاش البربر على نحو مشابه. ويطلق النصارى^(١) على عود موسى بن نصير إلى المشرق في سنة ٩٥هـ/٧١٤م طواعية؛ الأعاجيم، ثلاث بالاسلم وبثل الجزية، وسكنت العرب المغاور، وكان العرب البربر، كلما مر قوم منهم بموضع، استحسنوه، حطوا به ونزلوه قائلين: قاتلنا الإسلام بأرض الأندلس وخلق الشرك^(٢).

جاء المسلمون والافرن النصارى، وأنشأوا معهم علاقات ودية، ومع أن بعض العرب وهم لشامية القسيسة، كان يعاب عليهم الجفاء والبدولة، إلا أن هذا كان في بداية الأمر، فضلاً عن أنهم قلة إلى العرب الذين كان أكثرهم يادية بمينة.

ولم يعمد المسلمون إلى التعصب في معاملتهم للنصارى، الا قسراً، ظروفاً طارئة، ومما يجدر ذكره أن المولدين - وهم من أصل إسباني - كانوا يميلون إلى التعصب، وتشتك على ذلك مما حدث في هيج الريمن، الذي كانوا عتصره الرئيسي، وكان رد الحكومة عليهم حازماً وعنيفاً.

ارتبط المسلمون بعلاقات متعددة مع النصارى، وإذا كان الإمام مالك^(٣) قد أجاز شركة المسلم للنصراني بشروط معينة، فإن ابن حزم^(٤) أجازها على الإطلاق، كما كان من المعتاد أن يباع لهم ويبيع منهم، ولم يه الشروع إلا عن شراء المسلم من النصراني خمر^(٥).

(١) المقرئ: فتح البليوط ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) سحنون: المذونة الكبرى ج ١٢ ص ٧٠ .

(٣) المطبوع: ج ٢ ص ١٢٥، الأملام ج ٦ ص ٩٤ - ٩٥ .

(٤) سحنون: المذونة الكبرى ج ٧ ص ١٠٣ .

(أ) علاقات الصداقة والحب بين النصارى والمسلمين :

قالت علاقات بين المسلمين والمسيحيين، تسودها الود والصداقة ففي عصر الخلافة دخل على أوطيان ولد الملك طيطشة عشرة من أشراف الشاميين - بينهم الصميل - بن حاتم رئيس القيسية - وجلسوا معه، ثم دخل ميمون العماد - وهو أحد الموالى الشاميين - فقام أوطيان تعظيماً له، ودعاه للجلوس على كرسية، فأبى الرجل - وكان صليحاً - وجلس على الأرض، فالتفتي به أوطيان، واتمس ميمون منه شبيعة من ضياعه الألف، ليصرفها بنفسه ويؤدي إليه الحق عنها، فأبى أوطيان، إلا أن يجيبه بأريد مما كان يأمل، فحسده الشاميون وقال الصميل: يا أوطيان!! ما بمعجزك من سلطان أربك إلا الاتفك الطيبة، أدخل عليك وثا سيد العرب بالأندلس، ويدخل أصحابي هؤلاء، وهم سادات الموالى بالأندلس، فلا نزلنا من الكرامة إلا القعود على العيذان، ويدخل هذا الموال، فتصير من لكرامته إلى حيث صيرت!!.

لم يظهر أوطيان استياءه مما قاله الصميل، وعززه بأيمته وقال: يا أبا جوشن^(١) أهل ديارك يخبروننا أن لنبيهم لم يخزك، ولو أخزأك لم تنكر على بر من بررت، وإنكم - لكرمكم الله - إنما تكرمون لتنايكم وسلطانكم، وهذا الذي لكرمته، إنما لكرمته الله عز وجل وقد روينا عن المسيح صلى الله عليه وسلم، أنه قال: من لكرم الله من عباده، وجبت كرامته على جميع خلقه. فقال له الشاميون: دع هذا وانتظر فيما قصدنا له، حاجتنا وحاجة الرجل الذي قصدك وأكرمته والدة.

(١) كان الصميل بذلك لأن جده هو شر بن ذي الجوشن قائد الحسين - رضي الله عنه - في كربلاء سنة ٦١ هـ .

فقال لوطيان: لستم ملوك، وليس يرضيكم إلا الكثير .
 ووجههم مائة ضيعة، صار لكل واحد منهم عشر ضياع، منها طرطن
 Torrox لأبي عثمان عبيد الله بن عثمان وألفنتين Alfontin لعبد الله بن خالد
 وعدة^(١) الأريثون بالمتكور^(٢) Almodovar^(٣) للصميل بن حاتم^(٤) .
 لما استقر عدد من الشاميين في كورة كدير، ارتبطوا بعلاقات ودية مع
 أتاجيلدو ولد حاكمها السابق، وتوسطوا بينه وبين أبي الخطار الكلبي، عندما
 فرس عليه غرامة كبيرة، وما زالوا به حتى عدل عنها^(٥) .
 وكان سعيد بن محمد بن بشير (ت ٢٦٠ أو ٢٦١ هـ) صديقاً لأربع قومن
 للمجاهدين، الذي ترك عنه ذات يوم وديعة، ثم حدث أن قتله الحكم الرشدي
 تعسف بالبرعية، وأعلن أن كل من كان عنه مال لربيع أو وديعة، فلم يظهره
 بعد ثلاثة أيام، سلك دمه ونهب ماله، لكن ابن بشير أبى أن يخفركمته، ويطرحه
 في أسائه وبعد أن انتهى أجل الأيام الثلاثة، استدعاه الأمير - وقد عزم على
 البطل به - وأمر ابن بشير على موقفه، فأعجب به الحكم وولاه القضاء^(٥) .
 وأما توفى عبيد الله بن يحيى بن يحيى في سنة ٢٩٧ هـ، وكانت سيرته
 طيبة بين أهل عصره، بكى عليه عدد من النصارى^(٦) .

- (١) أي ضيعة أو مرضى ، انظر ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٦٣ .
 (٢) المتكور حصن مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة لهم فيه عدة وقلاع
 مشهورة، ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٥٠٦ .
 (٣) ابن القوطية: تاريخ فتوح الأندلس، ص ٥٨ - ٦٠ وانظر أيضا الحميري: تقع
 الشيب ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
 (٤) Simonet: op cit. p. 200 .
 (٥) الخشني: قضية قرطبة ص ٣٩ .
 (٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء مخطوط دار الكتب المصرية ج ٩ ص ٢٢٦ .

ويروي ابن حبان أن منثر بن يحيى التميمي ملك مرقسطة (ت ٤٣٠هـ) كانت علاقاته بالنصارى حسنة، حتى أنه جرى بمحضرتة عقد مصاهرة بعضهم^(١).

كما نشأت علاقات حب بين مسلمين ونصارى، توثقت بها كتب الأديب، وتتمثل على ذلك من قصة الشاعر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحدا من أهل القرن الخامس (ت ٤٨٠ هـ) مع فتاة نصرانية تدعى جميلة، ودعاها بتوبة، ومن شعره فيها^(٢):

عسك بحق عيساك	مريجة قلبى الشاكى
فان الحصن قد ولأ	اك إيماني وإهلاكى
وأولمتنى بمسلمان	ورهبان وتساك
ولم أت أكتافك عن	موى فوهين لولاه
وهنا أنا منك فى يلى	ولا فخرج ليلاك
ولا أستطيع سارقاً	فقد أوثقت لثراكى
فكم أكرى عليك نماً	ولأثرين للباكى

(ب) المصاهرات بين المسلمين والنصارى :

كذلك ارتبط المسلمون مع النصارى بمصاهرات، اختلف الفقهاء بشأنها^(٣)، على أن جمهورهم فى الأندلس ، ذهبوا إلى إبطال حرث أهل

(١) فى فن الخطيب الإبلدة ج ٣ ص ٢٨٥ .

(٢) فن يمام: تنخيرة ق ١ ص ٧٠٧ .

(٣) راجع أراءهم فى فن حزم : الأحكام ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧، المحلى ج ٩ ص ٤٤٠ - ٤٤١ وينبغي ذلك إلى إحلال حرث أهل الكتاب بالكناج، وإحلال لقاتهم بمكة القيين، لكنه حرمون بالكناج، الموطأ ج ٢ ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

الكتاب بالنكاح، وإحلال لماتهم بالنكاح ومالك اليمين^(١)، ويذهب سيمونيت^(٢) إلى أن كثيراً من التصرفات كن يتزوجن بمسلمين، ولا يألوهن بممارسة الكنيسة^(٣).

إذا تنقنا ظاهرة الزواج والتسرى بين العرب وأهل البلاد، نجد أبرزها في البداية زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير - والى الأندلس - بإيلونا Eglona^(٤) - ويدعوها العرب ليكنه أو أم عاصم - وكانت زوجاً لفرعيق Rudericus آخر ملوك القوط، وأقام معها بكنيسة ريينة Sancta Rufina في لشبيلية، ويقال أن زوجه هذه حملته على أن يتخذ لنفسه تاجاً من الذهب والحرير، ويجعل المسلمين يسجدون له، مما أخطبهم عليه، فقتلوه في ٩٧هـ/٧١٦م، يزعم أن قصته، ويعثرأ برأسه إلى سليمان بن عبد الملك بدمشق، أما إيلونا فلا تعلم مصيرها، بسبب صمت المصادر العربية واللاتينية^(٥).

(١) ابن رشد (الطليط) بدلة المجتهد ج ٢ ص ٤١، ٤٢.

(٢) OP. cit. p. 238.

(٣) يتضح من ثلاثة لائن زوب (٢٨٨) أن قضية إذا أريدت النكاح ومنعها أهل دينها لزم السلطان أن يجبرهم على النكاحها، لأن منعهم لها من الظلم، ويجب أن يمنع من ظلم بعضهم البعض، ولو ذهبت إلى نكاح مسلم، لم يجبرهم على العقد عازوا^{*} .
الفتاوى: قوثلق، مخطوط يدور الكتب المصرية رقم ٢٠٠ قه ملك ورقة ١٨ أ .

(٤) أو إيلونا Eglona .

(٥) وردت هذه القصة مع العلاقات بسيرة في مصادر متعددة، منها الفهارس مجموعة من ٢٠، ابن القوطية: تاريخ الفتاح الأندلس من ٣٦ - ٣٧، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب من ٢١٢، ٢١٣، ابن قتيبة: الامامة والسياسة تصحيح القعساني الحلبي: القاهرة، المكتبة المصرية ١٣٣٥ هـ ج ٢ ص ٩٦ - ٩٨، فريق القرواني: -

ويتضح من القصة أن عدداً ممن شاركوا في قتل عبد العزيز مثل زياد
ابن قنيفة التميمي، تزوجوا بنورهم من "بنات ملوكهم" وهو تعبير يقصد به
الملكة النوبلة.

كذلك صاهر عبد الجبار بن ثعلبة مولى مروان بن الحكم لثعلبة صاحب
لوزيولة، ورزق من زوجه يولده خطاب الذي صار واسع الثراء^(١).

على أن أشهر حالات الزواج بين المسلمين وبين النصارى المعاصرين
هي حالة سارة القوطية، فعندما ترقى والدها أئند بن غوطشة الملك، استولى
عنها أوطيش على حبايعها، فتزوجت مع أخوين صغيرين لها إلى دمشق،
ولدت بهشام بن عبد الملك، ولدت إليه بخيرها، وتظلمت من صهياء قفطى
هشام حاجتها، وأقصفتها وأخضر يتلك عائلته على الأندلس أبا الخطار هشام بن
شراز الكلبى.

وقد عودت سارة إلى الأندلس زوجها هشام يعقوب بن مزاحم، وهو من
مواليه، فقدم معها وقبضت حبايعها، وأولدها إبراهيم واسحق^(٢).

- تاريخ إفريقية والمغرب ص ٩٩ - ٩٧، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٨ - ٩، ابن
عزى: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٤٠، ٢٤٠، القزى: فتح المكي ج ١ ص ١٣٢ وانظر أيضاً:
Simonet: o.p. cit. pp. 344 - 352.

(١) القزى: لسوس عن الأندلس ص ١٥، ١٢٢، وانظر أيضاً:

Dazy: op. cit. p. 501.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣ - ٢، وانظر أيضاً: القزى: فتح

المغرب ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥، وتهتم القزى لفرجية بسارة وأولدها، ويذهب بعضها إلى
قريب بينها وبين عدد من الأمراء الفرجية والمولوية والنصرانية، انظر:
Cambridge history of Islam vol. II p. 416.

ويذكر الزبيدي^(١) من لحاة الأتلس ولغويها ثلاثة من حفدة سارة، كما كان من نسلها المورخ أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، المعروف بابن القوطية، ويتجلى في كتابه ميله إلى أسرة غوطشة وتحتنه لها.

وفي عصر الإمارة تزوج الوزير تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن عثمة القتيبي (ت ٢٨٣هـ) بأم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية، وكانت بارعة الجمال، والحب منها ينتأ هي أم الوزير الكلاب عيسى بن فطيس^(٢)، وعيسى هذا حفيد هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس، وإلى القضاء للمظفر بن المنصور في سنة ٣٩٤هـ^(٣).

ويوضح من الروايات العربية والنصرانية^(٤) أن الأمير عبد الله تزوج

(١) طبقات النحويين والفرهين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الخشجي ١٩٥٤م ج١ ٣٢٤ - ٣٢٦.

(٢) ابن حبان: المتوفى ج ٢ ص ١٨٢، ابن الأثير: الحلة السيرة ج ١ ص ١٤٤ تر ٥٣.

(٣) القليوبي عيسى: ترتيب المدارك ج ٤ ص ٦٧١، ابن بشكوان: الفصلة ج ١ ص ٢٠٩ تر ٦٨٢.

(٤) يقول أبي بكر بن رومان عن المصادر الإسبانية القديمة هذا النص المهم
[Ida. Omnia. Fost ea mortuo viro suo accepit, virum regem Abdalla et ex eo genuit Mahomath yben Abdalla, op. cit. vol. I, p.333, note n°2.

يقول النص أن أوليكا تزوجت بعد وفاة زوجها الأول الملك عبد الله، فحبيب منها محمد بن عبد الله. ويورد في السفر الخامس من الفقه - وجرى نشره مؤخرا - نحن هام نقله عنه مؤرخونا فترة طويلة، وإلى به ابن حبان في معرض حديثه عن غزاة للقبس في سنة ٣٩٢هـ/ ٩٢٤م - فقد "وردت عليه رسل المسكرة طوطية (يقصد Teoda) الرومانية على والدها غربية ملك نيرة" فإنه لشهر، كثر بداعته وبثت بسببه أهلكها بالظناء ملكه، وتماله عند سلمها وصرف لوجه الفول عنها من ٣٣٥.

لونيكا Onneca^(١) ابنة فرثون غربيية Fortún Garcés ملك نيرة ٨٧٠ - ٩٠٥م^(٢)، بعد وفاة زوجها الأول، أنجب منها محمداً والد عبد الرحمن الناصر.

ولا يبعد أن يكون الاسم العربي لجدة الناصر وهو ثر، ترجمة لاسمها باللاتينية أو الأسبانية القديمة^(٣)، شأنها في هذا شأن أورورا Aurora لم هشام المؤيد، التي أسلمت ودعيت بصيغ.

كما تزوج المنصور بن أبي عاصر، ابنة شائع بن خوسية Sancho Garcés ملك نيرة ٩٧٠ - ٩٩٤م، وقد أسلمت ودعيت بعدة وكانت من خير نسائه^(٤)، وأنجب منها عبد الرحمن الذي تلقب فيما بعد بالناصر، واشتهر بشنجر Sanchoelno وهو تسميغير شائع.

ومما يجدر ذكره أن المنصور بن أبي عاصر، كانت جدته لأبيه ابنة الوزير يحيى بن اسحق وزير عبد الرحمن الناصر وطبيبه وهو من مسالمة أهل القضاة^(٥).

كانت حقوق الزوجة النصرانية تجاه زوجها المسلم، لا تختلف عن حقوق الزوجة المسلمة، إلى جانب أنه كان يسمح لها بممارسة طقوس

(١) دعيت فيما بعد باثينا Eneeca ودوليا لينيكا Doña Iñiga.

(٢) ويعرف عند المسلمين بفرثون الأثر، وقد أسره المسلمون في عزهم سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م، فظل أسيراً بقرطبة عشرين سنة، ثم أطلق وعاد إلى بلاده. انظر: ابن حيان: المعقبين ص ٢ من ٣١٠.

(٣) يعنى القمل الفليسي casere (القمل الإسباني Enlucir) شكلاً وهو من صفات ثر.

(٤) ابن الخطيب: أصل الإعلام ص ٧٦.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٣ ص ٤٢.

دينها^(١)، ولما توفيت زوجة نصرانية لأحد المسلمين في أواخر القرن الثالث الهجري، وتركها بنتين صغيرتين، قرر أهل القسري بقرطبة أن الجدة للأم أحق بحضانتهما، رغماً عن بقائها على دينها، بل هي أحق بالحضانة من الجدة للأب ولو كانت مسلمة^(٢).

(١) منتقون: المدة الكبرى ج ٤ ص ١٥٧، ج ٥ ص ١٠٦، ابن رشد (تفريد) بداية المجتهد ج ٢ ص ٢٣١ .

(٢) ابن سهل: وثائق في أحكام قضاء أهل قلعة في الأندلس ص ٨٦ .

الفصل السابع

التأثيرات الاجتماعية والثقافية والدينية

بين النصاري والمسلمين

١ - التأثيرات الاجتماعية :

كانت للصلوات الوثيقة بين النصاري والمسلمين وبين غيرهم من عناصر المجتمع الإسلامي بالأندلس، أثرها البالغ في هذا المجتمع^(١)، ويذهب البعض إلى اعتبار الأندلسيين إسبانيا، لا يختلفون عن غيرهم من أبناء شبه الجزيرة إلا في كونهم يدينون بالإسلام^(٢).

ومن مجالات هذا التأثير أن المسلمين الواقعين، فقدوا ثقافتهم العرقية، فتجد أمراء الأسرة الأموية الحاكمة وخلفاءها أبناء أمهات ألوان^(٣) وقد ذهب

(١) راجع في هذا الشأن، لعدة مصادر العبادي: الإسلام في رحمن الأندلس، أثر البيئة الأوربية، علم الفكر، ١٠ ع ٢، ١٩٧٩ من ٣٤٣ - ٣٩٤.

(٢) طاهر مكي: ملحة الهند، ص ١٠ - ١٢ من المقدمة. وقد قلن ابن يسلم إلى هذا التأثير، ورجعه إلى كونهم بهذا الأقرب ومساكنيتهم لطوائف الروم، وعلى أن بلادهم أكبر فتوح الإسلام، فحسب حلى، شاعر العربية، ليس وراءهم وأمامهم إلا البحر المحيط والروم وقربها الأخيرة في ١ من ١٤ -

(٣) ترييرا نظرية تضمن أن الأندلسيين - من فهم من ينسب إلى العرب - هم في حقيقتهم إسبان مسلمون، ولأنهم هنا كون اليد الأعلى عربيا وينطبق نظريته هذه على أمراء بني لمة وخلفائهم، أنبلو: لحد هيكل: الألب الأندلسي، القاهرة، دار الميقات، ١٩٧٩، ص ٣٥ - ٣٦ -

المنذر بن عبد الرحمن الناصر بدين القرشية^(١) لانتفاده بين أقربائه بكونه قرشي الأب والأم معا^(٢) .

يقول ابن حزم^(٣) : ولما جماعة بني مروان - رحمهم الله - ولأسيما ولد الناصر منهم، فكلهم مجبورون على تقصيل الشقرة، لا يخطف في ذلك منهم مختلف، وقد رأيتهم ورأيت من رأهم، من لدن دولة الناصر إلى الآن فما منهم إلا شقرة، نزاعا إلى أمهاتهم، حتى صار ذلك فيهم خلقا حاضيا سليمان الظاهر - رحمه الله - فتبى رأيت أسود الأمة^(٤) والاحبة^(٥).

القبيل المسلمون من أهل البلاد بعضهم أسمائهم مثل قرشون Fortanio^(٦) ولقب Lope^(٧) وكان العربي يعرف - أحيانا - بكنية أجنبية، فعبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبدالمزير بن أمية بن الحكم القرطبي،

(١) وهي قائمة في الأمير المنذر .

(٢) ابن حبان: شقيقه من ٥ من ١٠ ، ابن الأثير : الحقة السبواء جـ ١ ص ٢٦٠ قر ٨١ .

(٣) طرق قحطانة، ص ٤٨ .

(٤) القائمة شعر قرش إذا كان فوق الوفرة، ابن منظور: لسان العرب، جـ ٥ ص ٧٩، ٤٠ .

(٥) من اللاتينية Fortunatus و Fortuna أي سعيد قحط .

(٦) أو Jabo وباللاتينية Lupus أي الذئب، يقول المقرئ: "وبها (أي الأندلس) سبع يعرف بالذئب أكثر قبلا من الذئب في نهاية القحط، قد يقرئ الإنسان إذا كان جائعا" نفع الطوب جـ ١ ص ١٨٥ ومن الأسماء الأندلسية المشتقة من الذئب، لابلية، لُبُون، نَاج، لُبُون، لُبَل، لَس، لَطَر . Simonet: Glosario pp. 315-316 .

دعى بالبطريرك، أى الحجر الأبيض ليخيه^(١)، والشاعر الكبير أبو عمرو يوسف بن هرون الكندي، لقب بلى جيتش فعرب بالرمادى^(٢)، وغلبت الإمالة على الأسماء العربية نفسها، فمن يثاق عبد الرحمن الأوسط فطيمة (فائلة) قسيمة (قاسمة) عثيقة (عائكة) رحيمة (راحمة) هشيمة (هاشمة)^(٣). الأكثر من ذلك أن المسلمين أضافوا إلى بعض أسمائهم المقطع الإسبانى الذى يتألف من الـولو والنون (on) للدلالة على التكبير مثل عيـدون^(٤) وأصلها عيد، بل أنهم عندما كانوا يصغرون الاسم بعتكبيره يقولون عيـدون (أرعينيس)^(٥) (على وزن فُعَيْل) وكان ممكناً أن يصغروا الاسم الأصلى فقصير عيـد.

كما استند المسلمون من التراث الإسبانى للتقديم مبالغة الإسبان فى الإعتراف بأنفسهم ووطنهم، وهى سمة صاحبت الشخصية الإسبانية على مر العصور، وكان لها أثرها الوافر فى أحداث التاريخ الإشباني^(٦)، ولايعد أن

(١) ابن حزم: جمهرة لمصاب العرب، ص ٩٨، ابن الأثير: الحلة السيرة ج ١ ص ٢١٥ تر ٨٥ والمجر الأبيض Petra Sica وبالإسبانية Piedra Sica نظير: . Simonet: op. cit. p.XXII

(٢) el ceniciento تسمية إلى رماد . Calisa .

جوتفالت بانثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٦٨ .

(٣) ابن حبان المقتبس ص ٢ ص ٢٤ .

(٤) وختون (خاند) عيـدون (حامد) عيـدون (عاقب) حقصون (حقص) زيدون

(إيد) قحون (فتح) حيون (حمر) حكون (حمر) حرون (حمر) .

(٥) وعلى تهجه حمد بن أحمد وس .

(٦) راجع ما ورد فى هذا الشأن عند ميليفيث بيدال فى كتابه:

The Spaniards in their history,trans by walter Stokic. London, Hollis & Carter 1950 . Passim.

هذا الاعتزاز كان عتصرا هاما - إلى جانب عناصر أخرى - في اتخاذ عيد الرحمن الثالث لقب الخلافة، في حين أن توليته لم تكن تتجاوز الأكتلس إلى غيرها من الأكتلس الإسلامية^(١).

ونلاحظ في رسالة ابن حزم^(٢) في تفصيل الأكتلس، أنه عندما قابل بين علماء الأكتلس وبين علماء المشرق، أشار إلى هؤلاء الأخيرين - مبالغة في التقدي - علماء المغرب أيضا، وجعل الجميع بإزاء علماء وطنه. ونشعر بهذه الفكرة العالية لابن حزم في هذا البيت^(٣)

ويا جوه الصين مستحقاً فقه غيث بواقته الأكتلس
كذلك تأثر المسلمون بما كان سائدا فيهم في شبه الجزيرة، فأخذوا بنظام المشيخة الرومانية المعروفة باسم الكوريا Curia^(٤) وهم جماعة من أعيان الناس يؤتون أمر البلد، وتساعد عدة مشيخت مثل مشيخة الفقهاء المشاورين الذين يعاونون القاضي، وأخذ المسلمون أيضا بالتقويم البيزنطي، الذي استخدمه ابن حبان،

(١) وعلى نحو نفسه سار معاصره، أرتون ملك ليون الذي دعا نفسه بآن الإمبراطور (نفسه آباء لثلاثي الثالث كبير) كما ادعى أنه يحكم إسبانيا بأسرها -
In omni Spemia regnatoris. Filius Adefossi magni Imperatoris. O'callaghan : op. cit. P. 378 .

(٢) المعرق: فتح المقيت، ج ٢ ص ١٢٢ وما بعدها .

(٣) ملوك المملكة ص ٩١

(٤) كانت المدينة Municipium (أو Civitas) في العصر الروماني تضم قنواة Urbs وأهلها ريفاً مترلياً Territorium فيه قرى كثيرة وضياع. وكانت إدارة المدينة مترتبة بالكوريا وعدد رجالها مائة مدعون Curiales يختارون من بينهم حكاهم Duumvires انظر O'Callaghan : op. cit. p. 30 .

وكانوا يؤرخون أحيانا بأعياد النصارى، ومن أمثلة ذلك ما ذكر عن الشاعر الرملى، فروى أنه ترقى يوم العنصرة سنة ٤٠٣هـ^(١) وقيل أن زرياب المغنى، لما قدم من المشرق جعل أهل الأندلس يلبسون الأبيض يوم المهرجان (٢٤ يونيو)^(٢)، كما ورد أيضا أن المتصور بن أبى عامر تزوج أسماء ابنة القائد غالب في ليلة الثوروز سنة ٣٦٧هـ^(٣).

ومن أروع مجالات تأثير المسلمين بأهل البلاد مشاركتهم أعيادهم ومواسمهم الدينية، وكان ذلك أمرا عابثا في الأندلس، وفي غيرها من الأقطار الإسلامية^(٤)، وقد نوهت كتب الأديب إلى ذلك، وكانت الأعمال تتخلل في هذه

(١) ابن خلكان: وفیات الأعيان - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة، لهدنة المصرية ١٩٦٨ م ج ٦ ص ٢٦٦ - ٢٢٧.

(٢) المقري: نفح لطيب، ج ٩ ص ١١٢.

(٣) ابن سناء: الفخيرة ق ١ م ٦ ص ٦٥.

(٤) جرت العادة في مصر إبان العصر الفاطمى، على أن يبارق الخليفة الجلوس والتمارد (لعلام ينخذ من الفخر والتميز) بين أهل دولته، على حلول عيد الميلاد، كما كان يفرق الكسوة يوم الثوروز - وكان الناس يلعبون بالنار ويوقنون للشموخ، ويستمعون للمنازل النبوة التي تسمى القرائيس في الميالك، كما كانوا يرائون بالهاء، ويترجمون بالبيت، ويتصاقصون بالأطباع، وتنتقل الأسواق في الثوروز - وكان القتلار المجرى في هذه المناسبات يلما الدولة إلى أن تلعب الاحتفال بها في بعض الأحيان - المقريزى: الخطط ج ١ ص ٢٦٥ - ٢٦٩، ٤٩٢ - ٤٩٤، فيكتلندى: سيج الاعشى، ج ٢ ص ٤١٩، وفتوى أيضا للمسعودى: مروج الذهب، ج ١ ص ٦٦٤.

ويشير الشلبشى إلى ما كان يجرى في بغداد، لدى عيد الفصح، فكان المسلمون والنصارى يتصننون نور سماء شرقى المدينة، ويتصننون الوقت في أهر وطرب، الفيارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٦ ص ٩ ونظر أيضا القزوينى: عجائب المخلوقات، ص ٧٨.

الأعياد والمواسم، التي يترقبها الجميع من مسلمين ونصارى، ويحرصون على الاحتفال بها .

من هذه الأعياد عيد التمسرة (أو المهرجان) وفيه يقول الوزير حسبان ابن مالك بن أبي عيده^(١) (ت ٤١٦هـ) .

أرى المهرجان قد استشرى	غداة يكي المزن واستعبر
وسرلت الأرض أمواها	وجلت المسكن الأخصر
وهز الرياح صلابيرها	فتنوعت المنك والعنبر
تهدي به الناس الطاقه	وسلم المقل به المكسر

كذلك كانت الدولة تشارك رغايها الاحتفال بالمهرجان وغيره من أعياد النصارى، ومن مظاهر هذا الاحتفال إجراء الخيل وإشاد الشعراء بعض شعرهم. وعندما نُشر الخليفة لتأمر الشعراء بحضور خيل الحلية في المهرجان، شق على أبي بكر بن هتول (ت ٣١٧هـ) أنه قضى يوماً كاملاً دون أن ينظم بيتاً واحداً استعداداً لهذه المناسبة ولما أوى إلى فراشه في المساء رأى في منامه شخصاً يقول له (٢) :

مستسأء يلزمتا حضورها للخيـل حتى تنقضى أمورها
كان لاحتفال المسلمين بهذه المناسبات، لايتقـى تأليداً من أتيلهم وكان هؤلاء يهرعون إلى المساجد، عند حلول أحد أعياد النصارى ويقضون يومهم في الصوم والصلاة (٣) .

كما تصدى عنه من رجال الدين لهذه (البدع)، فأفتى عبد الملك بن حبيب

(١) ابن خالان: مطلع الألف من ٢٧ ونشر أيضاً المعري: نوح الطرب ج ٢ ص ٣١٤.

(٢) القفطي: عيش: فرهب الدارك. ج ١ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ .

(٣) المعري: ليل المتقن في مولد نبي المسلمين. ورقة ٥ ظهر .

بأن الإعتناء في أعينك النصاري مكروه^(١)، ولم يجر يحيى بن يحيى إجراء الخيل ورش الماء واشتغال النساء في المهرجان^(٢)، واعتبر محمد بن عمر ابن ليثة، ما يجري في هذا اليوم من الأمور التي ينهى عنها الدين، فغلا عن خروجها على حدود الآداب العلمية^(٣).

على أن أكبر من تمسدى لهذه الظاهرة هو محمد بن وضاح (ت ٢٨٦هـ) الذي صنف كتاباً دعاه "البدع والنهي عنها" اعتمد فيما أورده على القرآن الكريم والسنة، وما أثر عن السلف الصالح ومن جملة فتاويه أن هذا التوريز بدعة، وأن الإسلام الذي يقبلها لا يمسلى وراءه، ولما سألته معاصره أحمد بن زياد القاضى عما أهدى إليه في هذه القليلة، أجابه بأن يرد حديثه، ولأن إجمالية ما فعله صاحب السوق بقرطبة لمنع الناس من أن يزينوا على ما في جوفيتهم في التوريز^(٤).

كذلك كان فريق من شعراء المسلمين ولبياتهم يترددون على حانات النصاري ولبيرتهم، وقد عرف عنهم هذا في المشرق، والباقي الشاذلي^(٥) في كتابه "التعارف" في الحديث عن هذه الظاهرة التي تجلت أيضاً في

(١) قرئ في نسخة: المصدر رقم ٦ ورقة ١٦٦ ب.

(٢) المصدر نفسه، ٦ ورقة ٨٤ ب.

(٣) المصدر نفسه، ٦ ورقة ٦٧ ب.

(٤) الحزفي: المصدر نفسه ورقة ٤ ظهر، ٥ وجه.

(٥) مال حديثه عن دير القصور، وكان ينشأ خمرية بن أحمد بن طولون.

ص ١٨٥ - ١٨٦، ودير عرسل بدير من رأى، وكان ينشأ الخليفة المعز. ص ١٠٥

ونظر أيضاً: ابن فضل الله العمري: مسائل الألبان، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب

المصرية ١٩٦٤ ج ١ ص ٢٥٤، قزويني: أسرار قبالة، نشر مستطك جوتجن ١٨٤٨م

ص ٢٤٨.

الأندلس. ونلاحظ في سلوك الوزير أبي عامر بن شهيد مثالا، تستدل منه على وجودها، فقد بات ذات ليلة في إحدى كنائس قرطبة، وشهد قاضيا^(١)، عبر عنه في رسالته "الترايع والتزويج" في قوله^(٢) :

ولرب حيان قد أدت بسيرة خير الصبا مزجت بصغر خمورة
والقن مما شمساء طول مقلنا يدعر يسعود حولنا يزجور^(٣)
وغيرتم الناقوس عند صلاتهم افقتحت من عيني لمرجع هديره
يتساول الظرفاء فيه وشريهم لسلافة^(٤) والأكسل من خزيسره

٢ - التأثيرات الثقافية :

من مظاهر تآثر المسلمين بأهل البلاد الملم بمعنيهم باللغة اللاتينية؛ الأمر الذي حمل بعض المؤرخين المحدثين على اعتبار هذه اللغة هي اللغة العامة المشتركة بين عناصر المجتمع الأندلسي^(٥) .

(١) ابن خاقان: مطلع الأندلس من ١٨ .

(٢) ابن بسام: التختير في ١٨٠ من ٣٦٠، وظهر أيضا: الديوان: تحقيق بغدوب زكي، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١١٥ - ١١٦ .

(٣) أبو مزبور: دارود عليه السلام .

(٤) سلافة الشعر وسلاقتها أول ما يعبر منها" ابن منظور: لسان العرب ج ٢ من ٢٠٦٩ .

(٥) يعتقد هؤلاء على عبارة وردت في جمهرة ابن حزم (ص ٤٤٢) يخرجون منها بأن القاعدة العامة هي أن يتحدث العرب في الأندلس بالقلطينية "وداريلي" قبيلة من قضاة الفين) بالأندلس الموضع المعروف باسمهم بقلطية، وهم هناك إلى اليوم على أسمائهم، لا يحسنون الكلام بالقلطينية، لكن بالعربية فقط تساوهم ورجالهم ... لننظر تحليلًا لهذا النص في كتابنا "تتبعات" القاهرة، ميدواي، ١٩٨٩ من ١٢ - ٢٨ .

دخلت الألفاظ اللاتينية أدب العرب وشعرهم بالأندلس. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، منها أن عبد الرحمن الناصر، جلس يوماً ومعه الوزير عبد الملك بن جهور والشاعر أبو القاسم لب، وأراد أن يسرى عن نفسه فطلب من كل منهما أن يهجو صاحبه، لكتهما امتناعاً، فابتدأ الناصر بهجو الشاعر فقال :

لب أبو القاسم ذو الحيلة طويلاً في طيولها ميل
فتشجع الوزير واستطرد :

وعرضها ميلان أن كُـمُـرَت (١) والعقل مانون ومدحسول (٢)
لـو إنه لاحتاج إلى غطها لم يكسفه في غطها التـيـل

فضحك الناصر وقال لب: أنه يجب لك القول فقال:

قال لب:

قال أمين الله في خلقه لي لحة أرى بها الطسول
واين جهور قال قول الذي مأكوله القرضيل والقسول
لولا حيلتي من أمر الهدي لتخت بالمنخن شو
ثم سكت، ولم يكمل البيت الأخير، فقال الناصر: قول
فقال الشاعر: أنت هجرت يا مولاي
فضحك الناصر، وأمر به بمسلة (٣).

وتفسير شو قول su cula بعجمة أهل الأندلس "رفه" ويصير معنى

(١) أي رمت .

(٢) أي مجنون .

(٣) ابن عاتق: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٢٧، القراء: فتح القليب ج ٢ ص

البيت الأخير: أولا حياي من الأمير، للخمسة بالمتنفس ردفه (١) .
 وقد لُتار الشاعر أحمد بن دراج القسطل في منحه المنصور بن أبي
 عامر إلى حصن لونة فيقول (٢) .
 ولا مثل يوم نحو لِسونة سرته وقد قُتعت شمس النهار عياهه
 إلى أن يقول :
 قيات فوطا حين شاد بناءه راء وقد خرت إلك جوائيه
 وديلت إذ سماء بذرا معظما راء وفي كسف العجاج مغاريه
 ولونة* Luna تعني باللاتينية بداراً أو قمر (٣) .
 كما ضاع في الشعر الأندلسيين التغزل بالمرأة الشقراء البيضاء (٤)
 وكثيراً ما كانوا يرمزون إليها بالصبح والنور والشمس ،
 يقول ابن زيدون (٥) (٤٦٣هـ)
 الشمس لك تسوأت عن تافري بالحجاب
 ما التور شيف منساة على رقيق السحاب
 إلا كسوجهك لما أنسساء تحت القباب
 ويقول لُينا : (٦)

- (١) أحمد هيكل: الألب الأندلسي، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
 ولتار لُينا : Simonet: Glosario, p. XXI nota no2 .
 (٢) ديوان ابن دراج، تحقيق محمود مكس، دمشق ، مكتبة الإسلام، ١٩٦١م
 ص ٢٥ - ٢٤ .
 (٣) أحمد هيكل: الألب الأندلسي، ص ٢٢٤ .
 (٤) جودت التركلي: في الألب الأندلسي. القاهرة دار المعرفه، ص ١٢٢ .
 (٥) المقرئ: نفع الطيب، ج ٢ ص ١٨٥ .
 (٦) ديوان ابن زيدون، تحقيق كامل كيلاني، القاهرة، الحلبي، ١٩٣٢م ص ٢٦١ .

رأيت الشمس تطلع من نقياب وعصن البستان يرقى في وشاح
وتسريت تأثيرات مسيحية في الأدب الأثني، نستطيع أن نلتمسها في
كاتب كبير مثل ابن حزم، ويرى دوزي^(١) في "تلويح الحمامة" أسلوباً غير
عربية، يتضح بعضها من وصفة الرقيق لفرطية، بعد أن أقدم للبرير على
نهياً سنة ٤٠٣ هـ.

وفي شعر الوزير الكاتب أبي حنن عمر بن الشهيد ونثره كثير من
الرموز المسيحية، فضلاً عن اقتباساته من موضوعات مسيحية، فيقول في
مقامته على لسان رجل مضياف يخاطب ضيوفه^(٢) :
اسو ان دمي خمر لرويته به ولو صلحت كيدي شويت له كيدي
كما يشير إلى سر الاعتراف وهو أحد أسرار الكنيسة السبعة وشريعة
الحب في قوله^(٣) :

ولا بد من قصى على القس قصتي عساه مغوت الخائف^(٤) المتفوت
قلم ياتهم عيسى يدين قساً فيسوعلى معلن ويلهويمكرت^(٥)
وما يجدر ذكره أن ما شاهدناه المعلنون من آثار الفن القديم، وصور
مثل تماثيل العذراء مريم وولدها عليه السلام، ترك أثره في أشعارهم، فيصف
أحد الشعراء تماثلاً منها، كان قائماً في حمام باشيرولية^(٦) :

(١) Op. cit. p. 580.

(٢) ابن حزم: التلويح ١ م ٢ ص ٦٨٠.

(٣) المصدر نفسه ١ م ٢ ص ٧٠٩.

(٤) رجل مفتك براه العريض حتى ألقى على الموت، ابن منظور: لسان العرب

ج ٢ ص ١٤٢٢.

(٥) ابن أبي عمير: كرامات.

(٦) المقرئ: فتح الطيب ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

ودمية مرمز تزهو بجيـد تساهي في الثورة واليـاس لها ولد ولم تعرف حليـلا ولا ألفت بأرجاع المخاض ونعلم أنها حير ولكن تنكبنا بالحفاظ مسـررات على أن المؤثرات الأيبيرية تنضح بشكل أقوى في الموشحات ويذهب ريبيرا إلى الأصل الإسباني لها، وأن مخترعها^(١) اعتمد على بعض الأغنيات الرومانسية القديمة، لأن أغلب البيوت كانت تضم نساء من جليقية، كان يعرفن هذه الأغنيات ويترنن بها^(٢). كما أن الأراجيز التاريخية التي ظهرت في عصر الإمارة مثل أرجوزة تمام بن علفسة، ترتبط بألب قصصى ملحمى سابق عليها، وهو ألب لم يعرفه العرب قبل دخولهم الأندلس^(٣).
ومما يجدر ذكره أن المسلمين اطلعوا على الكتب التي قام المستعربون بترجمتها من اللاتينية إلى العربية، ومن بينهم ابن حزم الذي أُنك منها قائدة

(١) يرجح أنه مقدم بن معلقي، وهو شاعر شروير من أهل قنرة، نسبة في المرثنين - أي إسباني الأصل - عاش في أولشر القرن الثالث، ويذهب البعض إلى أنه أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد. راجع: ابن بسام الفخيرة ق ١ م ١ ص ١٦٩، الزبيدي؛ طبقات الصوريين والغنويين ص ٣٢٤، السيوطي: بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، الطبعة ١٩٦٤ ج ٢ ص ١٢٨ تر ١٦٤٢ .
(٢) أحمد هيكل: الألب الأندلسي ص ١٤٨. ويقتض هذا التأثير أيضا في طريقة نظم الموشحة واستنداد الفرجة وهي القفل الأخير منها وغالبا ما تكون أصحبة، إجتزأها فوشاح من أغنية قديمة، وجعل موشحته على وزنها. انظر: عبد العزيز الأعوراني: الرجال في الأندلس، القاهرة، معهد الدراسات العربية، ١٩٥٧ م ص ٦ - ٧ .
(٣) غريبة غومس: الشعر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٥٦ ص ٢٤، كراتشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس، ترجمة محمد منير مرسي، القاهرة، عالم الكتب ١٩٧١ ص ٧٢ .

جمة في كتابه "فصل في المال والأهواء والنحل" وخالصة في عرضه إعتقاد
التصاري الأندلسيين .

ومن أهم الكتب التي نقلها تصاري الأندلس إلى العربية كتاب "التاريخ"
إيلولوس أروميوس^(١) الذي عرف عند المسلمين بهرويش، وصار مرجعا
أساسيا للمؤرخين الأندلسيين، ابتداء بأحمد بن محمد الترازي (ت ٣٤٤هـ)
وانتهاء بابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)^(٢) .

ويرجع أيضا أن ابن حبان كان ينقل مادته الخاصة بتاريخ إسبانيا
للتصارية عن الحواشي التي أنشأها معاصروه من المعتصريين، أو أنه كان
ينقل عن هؤلاء رواية^(٣) .

٣ - التأثيرات اللغوية :

كان للإسلام والمسلمين تأثير واضح على تصاري الأندلس المعاصرين،
فقد أسلم كثير منهم. ويرجع بعض المؤرخين القرونج لانتشار الإسلام في
الأندلس إلى أسباب مادية، فيذهب سيمونيت^(٤) إلى أن اللبلاء أسلموا من أجل
الحفاظ على أملكهم، أو هربا من الجزية التي ترمز إلى المهانة، أما عامة
الشعب من فقراء ورفيق، فأسلموا من أجل تحسين أحوالهم التي كانت مزرية،

(١) تولدت لدينا مائتا نسخة من الأصل القليلي لتاريخ أروميوس، وعرجة نسخة
واحدة فقط من الترجمة الأندلسية له مطبوعة بمكتبة جامعة كولومبيا بنيويورك برقم
٧١٢.٥، ٨٨٥، وقام الأستاذ عبد الرحمن بدوي بتحقيق هذه المخطوطة ونشرها مع
مقدمة ودراسة شارحة ومقتلة مع القول عنها في كتاب التاريخ الأندلسي وبخاتمة ابن
خلدون، بيروت، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م .

(٢) أحمد مختار البغدادي: الإسلام في أرض الأندلس، ص ٣٥٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٦، محمود مكي: المقتدر، ص ١٠٢-١٠٤ من المقدمة.

(٤) op.cit. p. 238 .

كما أن عددا من النصارى أسلم، لاعتقاده أن انتصار المسلمين، معناه صحة عقيدتهم ووهن عقيدة من موافقهم .

ليس هناك ما يدل على صحة هذه الأسباب التي أوردتها سيمونيت فقد القى عن عمرين حصصون لكثرة الغلبة من صحبة المولدين، عندما جاهر بصراحيته وعوده إلى دين أبيه، كما حفل تاريخ الأندلس بطفافة كبيرة من المسلمين الذين ينتمون إلى أصول إسبانية، وكان عطاؤهم الوافر في الثقافة الإسلامية يوازي عطاء غيرهم من المسلمين ، وبضائفيه في أحيان كثيرة، بل إن ابن حبان^(١) يرد ابن حزم إلى أصول إسبانية، وينفي تحدره من أرومة فارسية.

كذلك نلاحظ أنه لم تكن شمة منسوبة مادية ملحة، لأن يفارق أحد من النصارى دين أبيه، لأن المسلمين أقرهم على أحوالهم التي كانوا عليها، بل إن هذه الأحوال تحسنت إلى حد كبير، فقد سمح لهم المسلمون بأن ينظموا أنفسهم وفق ما تقتضى به شرائعهم، بل سمحوا لهم العزلة بقر من الاستقلال في مناطق الثغور، وأجازوا لهم تلك الأرض، وشغل عدد منهم مناصب كبيرة في الدولة، ولم يتحسنا معهم في جباية الأموال، ولم يفرضوا عليهم قيودا معينة في لباسهم، ولم تسمع عن كنيسة تهدمت أو حولت إلى مسجد إلا في أحوال نادرة.

وليس من شك في أن العامل الديني هو العامل الأساسي في إسلام النصارى، يضاف إلى ذلك عوامل أخرى، من بينها المناخ العام الطيب الذي صاحب مقتد المسلمين ، فقد عرف غالب حكامهم حتى نهاية عصر الخلافة

(١) يقول ابن حبان فقد عهدت لئس خاتم الأبرية مواد الأرومتمن عدم تلكه (Nisaba)

جده الأتني حنيت عهد بالإسلام لم يقدم لسلته نباعة ابن بسلام: التخيذة في ١ م ١ ص ١٧٠ .

بالعدل والتسامح والسعي في خير أروعة، ثم إن جمهور المؤلفين من المسلمين، عقوداً مع النصارى علاقات تتسم بالمودّة، وتخلوا معهم في صداقات ومصافرات وخلطوهم وشاركهم أعيادهم ومناسباتهم الاجتماعية، وكانوا يقصدون كنائسهم ودياراتهم، بل إن كثيراً من المسلمين كان يحضن اللاتينية .

صاحب ذلك عنصر آخر هو التعريب الذي كان ظاهرة عامة تصاحب الإسلام وتسبقه في بعض الأحيان، فقد انتشرت اللغة البربرية وتداخلت في حياة الناس، حتى أصبحت جزءاً من سيجها. وكان النصارى يمارسون بها شعائر دينهم، بل إن بعضهم الذي صار خارج السيادة الإسلامية في عصر ملبسوكه المؤلف ظل يتحدث بها .

وقد سعى المسلمون من جانبهم إلى نشر الإسلام، وكان للتابعين دور واضح في هذا الشأن، بعد استقرارهم في إفريقيا. ويذكر ابن حبيب^(١) أنه قدم إلى الأندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو من عشرين رجلاً، ويذهب ابن يثكوال^(٢) إلى القول بأنهم ثمانية وعشرون .

كما يبرز فقهاء الأندلس مهمة التعريف بالإسلام لمن لا يحسن العربية، فأجاز ابن حزم^(٣) تفسير القرآن بالأعجمية، وإن منع من تلاوته بها، وأجاز غيره ترجمة القرآن إلى الأعجمية^(٤)، ولا يفرق

(١) مسند مكى: مصر والمصادر الأولى لتاريخ الأندلس: مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ٥٠ ع ١ - ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) القرطبي: فتح القلوب، ج ١ ص ١٢٥ .

(٣) الإكمال، ج ٢ ص ٨٨ .

(٤) ابن فرحون: تيسرة الكلام، ج ١ ص ٢٢٥ .

أشاعلي^(١) بين من يفهم الشرع باللسان الأعجمي وبين من يفهمه باللسان العربي .

وكان وضع الدين دخلوا الإسلام في الأندلس، أفضل من غيرهم في أقطار أخرى، ولم يعرف أن العرب فرضوا الجزية على من أسلم في الأندلس، في حين أنهم حاولوا فرضها أحيانا في إفريقيا والمشرق. وكان السبب المباشر لثورة البربر الكبرى في أواخر عهد هشام بن عبد الملك هو سعى عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة إلى تخمين البربر^(٢) .

وكان النصراني الذي إسلامه ينتقل وضعه إلى وضع المسلم، فحين عزل أسلم بن عبد العزيز عن القضاء في سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢٢، كان من جملة من رشح إلى هذا المنصب رجل كان أسوا تصريفيين^(٣)، ويسند

(١) المعوقات، تحرير فوز كشلي. تونس، مطبعة الدولة التونسية ١٣٠٢هـ، ج ٤، ص ٨١.

(٢) لم يستطع لدى البربر في عهد ولاية عبد الله بن الحجاج القريني والمغرب ١١٦هـ - ١٢٣هـ. عدة أسباب تدفعهم إلى الثورة، فقد تسبب العرب والقبيلة منهم، وعصب بن سواعم، وأغبر البربر - رغما عن إيلامهم - قرا للعاملين مما يدر للخراج منهم في نشر أفكارهم المناهضة للدولة، وبخاصة في الإثماء القاصية من البلاد، وتغيرت الثورة بزعامة مسيرة النساء في سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م بعد أن مضى عمر بن عبد الله المرادي في تخمين البربر، وكانت هذه الثورة ثلاث سنوات وانتهت في سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م. كما إنها امتدت أيضا إلى الأندلس وكان لها أثرها البالغ في اضطراب أمور البلاد في أواخر عصر قولات.

نظر: فريق التحرير: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١٠٩، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٧٥، ابن عذاري: البيان لمغرب ج ١ ص ٥١ - ٥٦ .

(٣) أشاعلي: فتاة قرطبة ص ١٠٩ .

«وزى»^(١) من ذلك على تسامح الناصر.

ومع أن التصراية كانت الديانة السائدة في الأندلس قبل مقدم المسلمين، إلا أنه كانت توجد معاليل للوثنية، أشهرها في قرارات المجامع بطلانها، من عبادة للثنيح والأججار والأشجار، بل وجد أيضا من يعبد الشيطان، ورغمما عما ورد في هذه القرارات من عقوبات شتت أرواح بين المصاهرة والجلد والإسراق، فإنه لم يتغير من الأمر شيء^(٢)، بل أن البشكالس - فيما يرجح - ظلوا وثنيين حتى أوائل القرن التاسع الميلادي^(٣).

كان لموقف الكنيسة من الشعب الإسباني، واتحادها مع الدولة وانفرادها بالإمكانيات، أثره في تطور الشعب منها، ومما ترك في هذا التطور الخلافات العقائدية بين الكهنة، كما أن الأريوسية لم تكن قد انقضت بعد من البلاد، وكان لما ذهب إليه من بشرية المسيح عليه السلام، أثره في تقريب مسافة الخلاف بين التصاري وبين المسلمين.

ولاشك أنه كان من العوامل التي أعادت على انتشار الإسلام عتق الرقيق، فكان العيد التصريائي لسيد تصريائي يعتق على الفور عند إسلامه بل إن العيد التصريائي لسيد مسلم، كان لأدفع الجزية عند عتقه ويقول «وزى»^(٤) إن العيد لم يكتروا يعرفون الكثير عن المسيحية، وكانت غولمض الإسلام عنهم، مثل غولمض المسيحية، ولكن الذي كانوا يدركونه جيدا هو كراهتهم للقساوسة.

(١) op.cit. p. 391.

(٢) King: op. cit. pp. 145 - 147; Drey: op. cit. p. 237.

(٣) O'Callaghan: op. cit. p. 107.

(٤) op. cit. p. 237.

كما إن قتل عدد من النبلاء لجان الفتح، وهرب عدد آخر أزال عقبة كبيرة أمام انتشار الإسلام، بل إن بعضهم أسلم وحسن إسلامه، ولعب دورا هاما في الدفاع عن المسلمين في مناطق الثغور.

لم تحدثا المصادر بمعلومات واقعية عن بدء انتشار الإسلام، على أنه من الثابت أن عدد من دخل في الإسلام من النصارى كان قليلا في البداية، ولا نلاحظ لهم دورا واضحا في حروب المعصيات التي دبت بين العرب والفرس، ثم بين القيسية (والشامية) وبين اليمنية (والبحرية).

ويروي الخشن^(١) عن عقبة بن الجراح السلولي وإلى الأندلس أنه كان صاحب جهاد ورياسة، وذا نخدة وبلس ورغبة في نكاية المشركين، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام خيلا، ويرغبه فيه وييسره بفضله، ويبين له عيوب دينه الذي هو عليه فيذكر أنه أسلم على يديه بذلك القتل ألفا رجلا.

ومن أوائل من اعتنق الإسلام في هذه الفترة قسطنطوس Castus قوس الثغور، وهو من النبلاء، فبحر البحر إلى المشرق غداة الفتح، وأسلم على يدى الوليد ابن عبد الملك بدمشق، وأنتجى من مواليه، ويذهب ابن حزم^(٢) إلى أن عصبية بني قسطنطين بعد المضربة، مصدرها هذا الولاء الأموي.

أما العميد، فيحدثنا دوزي^(٣) عن خالد بن زيد كاتب يوسف القهري آخر ولاية الأندلس، أن لياه كان من الأرقاء النصارى، ثم أسلم وتسمى زيدا وأعتقه مولاه، وولد لخالد الذي يرع في العربية، واتخذ يوسف كاتبا له، وكان ذا تأثير قوي عليه، أثار حسد العرب أنفسهم، ولقداء رمولا إلى عبد الرحمن

(١) فتاة قرطبة ص ٩، ونظر أيضا ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٢.

(٣) op. cit pp. 182 - 183.

الدخول في بداية الصراع معه، وصار فيما بعد كاتبا له^(١). ويذهب سافتر^(٢) في حديثه عن بيان صاحب مسببة الذي أعان العرب في فتحهم للبلاد، أن ولده ويدعى بلكايش أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه، ويؤيد هذا القول المصادر العربية التي تحكي عن ليوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكايش بن أليان القرمطي، من أهل قرطبة، وكان فقيرا يحمل إلى الحج، ولا يرى التقليد، وتوفي سنة ٤٢٦هـ (٣) .

ويذكر الخنلي (٤) ضمن قضية قرطبة قاضيا يدعى مهدي بن معلم من مسائلة أهل الذمة، استقضاء عتقة بن الحجاج السلوي والي الأندلس فكان أول قضية الجند بها. ويقول الخنلي أن مهديا هذا اشتهر بالعلم والدين والورع، وجعله عتقة يكتب عهد له بنفسه، وكان لهذا العهد من الأهمية، بحيث انتحله بعض بني الأغلب فيما بعد .

ولما قامت الإمارة الأموية في سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م، واستقرت الأحوال في البلاد، ازدادت أعداد المسلمين، وكثر إنشاء المساجد وإذا كان المسلمون عقب الفتح قد شاطروا نصارى قرطبة كنيسة الجلسة فإن عبد الرحمن الداخل ياح منهم تصيبيهم فيها، ولقضا الجامع الكبير الذي اكتملت عمارته في عهد المنصور بن أبي عامر (٥) .

(١) أخبار مجموعة من ٧٩ - ٨٠ .

(٢) op. cit. p. 48 .

(٣) ابن القزويني: تاريخ علماء الأندلس، ج ١ من ٨٦ - ٨٧ تر ٢٧٠ .

(٤) قضية قرطبة من ١٢ وما بعدها .

(٥) راجع بنصوح هذا المسجد ومراحل بنائه التي استغرقت أكثر من قرنين لمجد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وإرثهم في الأندلس، من ٢٧٧ - ٢٩٢ .

كذلك بني أمراء بني أمية في مدائن الأندلس عددا من المساجد من أشهرها مسجد لشبيلية الذي أقامه عمر بن عبد العزيز فاضى المدينة بأمر من عبد الرحمن الأوسط، ويحدد نقش وحمل القنا تاريخ إنشائه بمسنة ٢١٤هـ/٨٢٩م^(١)، ولما نشأ الأمير محمد مدينة مجريط حرالي سنة ٢٥٢هـ أقام بها مسجدا جامعاً^(٢)، كما جدد جامع استجه وجامع شتونة^(٣) .

كذلك قام عدد من الأقباء ببناء المساجد، فبنى حنش بن عبد الله الصنعاني^(٤) (١٠٠هـ) وهو من التابعين مسجد ليبرة، وقد وسعه الأمير محمد سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م^(٥)، كما نشأ حنش مسجدا آخر في مرقسطة، عرف بالمسجد الأبيض دفن فيه^(٦)، وفي سنة ٢٤٢-٨٥٦م أمر موسى بن موسى القسوي بالزيادة فيه، مع الاحتفاظ بمحرابه على كان عليه^(٧) .

وفي عهد الفتنة الكبرى، عندما نزح عدد من ثوار الأندلس إلى الإستقلال، انصرفوا إلى بناء مساجد، فيعد أن جدد إسماعيل بن موسى القسوي مدينة لاردة^(٨)، بني فيها مسجدا جامعاً سنة ٢٨٨هـ^(٩)، وعلمنا بني عبد الرحمن

(١) Lévi-Provençal : Inscriptions, p. 198.

(٢) الحميري: القروى: المعطار، ص ١٨٠، وانظر أيضا: جوميت موريثو: الفن

الإسلامي، ص ٢٦١ .

(٣) ابن جيان: المتكسب، ص ٢، ص ٢٢٤ .

(٤) الحميري: القروى: المعطار، ص ٢٠٩، ابن الضليبي: الإضافة، ص ٦٧ .

(٥) الحميري: القروى: المعطار، ص ٩٧ .

(٦) ابن عثاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٦-٩٥، وانظر أيضا: جوميت موريثو:

الفن الإسلامي، ص ١٦٦ .

(٧) "لاردة بقرية مكسورة وقال المهمة، مدينة مشهورة بالأندلس شرق قرطبة

تصل أصلها بأعمال طركونة ملخرفة من قرطبة إلى ناحية الجوف بتسبب إلى كورنها

عدة مدن وحصون". ياقوت معجم البلدان، ج ٧، ص ٢١٢ .

(٨) الحميري: القروى: المعطار، ص ١٦٨ .

ابن مروان الجليقي في سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥ م متنبلة بطليوس جعل فيها مسجدا جليعا^(١) .

وقد أسلم في عصر الأماة عدد كبير من النصارى، نخص بالذكر منهم أيا القنوج نصر الخصى، الذي لمع نجمه في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان له من أهل ثمة قرمونة، وكان للنصر - الذي يعرف أحيانا بنصر الصقلي^(٢) - منزلة كبيرة عند أمير^(٣)، ويصفه ابن حيان^(٤) بأنه "خليفة الأمير عبد الرحمن بن الحكم المقدم على جميع خاصته العنبر لأمر داره"، المشاركة لأخبار وزيره في تسريف ملكه^(٥) وكان له دور هام في أحداث تشييد النصارى بقرطبة^(٦)، كما قاد جيسوس الدولة إلى حربه ضد المجوس (الزورمان)^(٧) .

(١) المصدر نفسه، ص ١٦، ابن حيان: المقتبس، ص ٢ ص ٣٤٥ .

(٢) ابن حزم: نسط العرب، تحقيق شوقي حنيف، مجلة كلية الآداب، م ١٣ ج ٢ ١٩٥١ م، ص ٧٢ ، ابن قزوين: تاريخ طغاة الأندلس، ج ٢ ص ١٥٧ قر ١٩٩٣ .

(٣) المقتبس، ص ٢ ص ٨ .

(٤) في كلمة "تكريات مقدسة" يصف إيوانيو نورا بأنه سطر على إسبانيا كلها Nazas, Claviculario, proconsule, qui eo tempore iustus rei publicae in Hispania administrationem peribat. Simoesi op. cit. p. 357. nota n°1.

(٥) أبو الفيلقج Wāṣṭiḡas ، وهم من شوب تشمل لوطية، وقد كتبوا غرب أوروبا القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وتشاركوا إلى إسبانيا، عرفت في عهد عبد الرحمن الأوسط والأمير محمد عهد الحكم المستنصر، ودعاهم المسلمون بالمجوس ولحقا بالأرمنيين .

ويمتدح الشاعر عثمان بن العشى بلاد نصر في حربه ضدهم فيقول:

يقرون إلى الأرمنيين قبلوا فقلت إذا جاءوا بحثا لهم نسرا

ابن سيدي: المغرب، ج ١ ص ١٩ قر ٢ ، ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢ ص ٨٨٨٧.

على أن تصرا شاركه في مؤامرات البلاط في أواخر عهد عبد الرحمن الأرمسط، واتخذ جانب طروب في سحبها لجمال ولداها عبد الله بدلا من أخيه محمد ولي عهد أبيه، ويحث في مطلب الحرائي الطيب، وأعطاه ألف دينار على أن يجهز له سما يقتحمه للأمير على أنه دواء، وكان قد اعتل في آخر أيامه علة طويلة، وعلم الأمير بما يديره له تصد، وأجبره على أن يتجرج السم، فكان ذلك سبب موته في سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م(١).

وفي عهد الأمير محمد كان قومن بن أثنان بن بليانة مستخرجا لخراج القصة، ثم عاون عبيد الله بن أمية بن يزيد في الكتابة للأمير، فلما أتمعت عبيد الله هذا علة عن تركوب أعواما، قام قومن بعمله إلى أن مات، فقال الأمير: لو أن قوما كان مسلما ما استبدلناه فأسلم قومن وولي الكتابة، وعلا شأنه، مما أثار حفيظة الوزير هاشم بن عبد العزيز، وجعل يدس عليه(٢).

وعند وفاة قومن أشاع هاشم بن عبد العزيز أنه مات على النصرانية وسعى لدى الأمير كي يضم تركته إلى بيت المال، ولكن القاضي سليمان بن أسود تصدى له، وأكد حقيقة إسلام قومن، وعلى ذلك قسمت التركة بين ورثته(٣).

ولقومن هذا ولد يدعى عمرو ولي الكتابة كوالده، وتوفي سنة ٢٩٨هـ/٩١١م(٤).

(١) ابن القوطية: تاريخ لفتح الأندلس، ص ٩٦ - ٩٧، ابن حبان: القسيس ص ٢

ص ٨ - ١٥.

(٢) ابن القوطية: تاريخ لفتح الأندلس، ص ٩٥ - ٩٦.

(٣) القسطنطين: قصة قوطية ص ٧٦ - ٧٧.

(٤) ابن عثاري: البيان المغرب، ج ٢ ص ١١٨.

وابن أخ يدعى أحمد بن عبد الله بن التقيان ، روى عن ابن وضاح وغيره^(١) .

وفي أواخر عصر الإمارة كان لسحق الطبيب النصارى ذا نفوذ عند الأمير عبد الله والأمير عبد الرحمن الثالث، وأسلم ولده يحيى الذى ورت صناعه للباب عن أبيه وألف فيه، وبقيت منزلته عند الناصر أنه كان يعالج كرامه وجرمه، وصار وزيراً وولى الولايات والعمالات وعهد إليه بالقيادة فى بطليوس^(٢)، وكان له دور واضح فى المفاوضات بين الناصر وبين عمر بن حفصون فى سنة ٣٠٣هـ وتزوجت له بنت محمد بن عبد الله بن أبى عامر، فأنجبت منه عبد الله ليا الحاجب المنصور^(٣) .

وتذكر المراجع النصارى من جملة من أسلم فى هذه المرحلة صغويل لقباً بغيره^(٤) .

وقد برع عدد ممن أسلم من النصارى فى علوم المسلمين، ومنهم عبد الله ابن عسر بن الخطاب بن أنجلين ، ويقول عنه ابن الفرغى^(٥): "كان من جماعة الأئمة، فملاً لثبوت علمه وبلاغته ولسانه ، حتى شرفت به العرب" على أنه قتل فى سنة ٢٧٦هـ أبى غسان الصراخ بين المولدين والعرب للسيطرة على هذه المدينة .

(١) ابن الفرغى: تاريخ علماء الأندلس، ج ١ من ٣٠٠ تر ٩٢ ، ابن الأثير: التكملة (طبعة فرد بل وين شطب) الجزائر ، المطبعة الشرقية ١٩١٩م ق ١ من ١١ تر ١٣ .
(٢) ابن جاول: طبقات الأئمة والحكام، من ١٠٠ - ١٠١ ، قنطلى: تاريخ الحكماء لابن خلدون ١٩٠٢م من ٣٥٩ .

(٣) ابن خلدون: قبائل المغرب، ج ٢ من ٢٥٧ .
(٤) Dany: op. cit pp. 325 - 326 .
(٥) تاريخ علماء الأندلس، ج ١ من ٢١٦ تر ٩٤٩ .

هكذا تزايدت أعداد المسلمين ، وبخاصة على عهد عبد الرحمن الأوسط وولده الأمير محمد. ويعزو ليفي بروفنسال^(١) هذه الظاهرة إلى تعسف الأمراء الأمويين مع النصارى ، ومن المرجح أنه يقصد فترة الشهداء بقرطبة، وما يذهب إليه غير صحيح، فالمسلمون لم يتصنفا مع النصارى، ويضطهدوهم اضطهاد يدفعهم إلى الإسلام .

لم تكن فترة الشهداء سببا في إقبال النصارى على الإسلام، وإنما كانت نتيجة له، لأن المحرطين عليها، ساء لهم انتشار الإسلام بين النصارى فعدوا إلى القتال للفتنة، ليحولوا دون هذا الانتشار .

على أن الفترة الكبرى التي عمت أقطار الأندلس في أخريات القرن الثالث، كان لها أثرها فواضح في انتشار الإسلام، لأن هذه الفترة التي اشتملت لأسباب اجتماعية، لم تلبث أن تحولت على يدي عمر بن حفصون إلى فترة ذات طابع ديني، وانصرف عدد من أتباعه إلى التمسك ضد المسلمين، فأدى ذلك إلى ظهور تمصب مضاد، كان له أثره في تحول عدد كبير من النصارى إلى الإسلام.

وعلى هذا أصبحت بلاد الأندلس في القرن الرابع الهجري (العاشر للميلادي) دولة إسلامية بها أقلية نصرانية .

(١) Histor de l'Espagne Musulmane, vol. ٩٥ .

الباب الرابع

نصارى الأندلس ودورهم في الحركات المناهضة للدولة

تمهيد :

الفصل الثامن : حركة شهداء قرطبة النصارى .

الفصل التاسع : النصارى والفتنة الكبرى .

الفصل العاشر : نصارى الأندلس والصراع بين المسلمين

وبين ممالك إسبانيا النصرانية .

1

2

تمهيد

كان للنظام الاجتماعي الذي أوجدته المسلمون في الأندلس أثره في تحسين حال الجماعة النصرانية، على نحو أفضل مما كانت عليه حال الجماعة الإسلامية في ممالك الشمال، بل إن النصراني في الأندلس، تمتعوا بحقوق لم يظفروا بها في بعض الاقطار الإسلامية ويمتدح الكثيرون من كتاب الفرنج ومؤرخيهم بهذه الحقيقة .

ولا يدل من ذلك، ما أورثته المصادر النصرانية عن ثورة قام بها عدد من النصراني المعادين في فترة تعود إلى سنة ٧١٦م، أي عقب الفتح مباشرة، تقول الرواية النصرانية أن أكويل (أو أكيلا) Aquila ولد الملك غوطيشة، وهو وكيلة (أو رئيسه) عند العرب، كان يعيش في طركونة^(١) Tarragona ثم دأبه الإمل في استعادة ملك القوط إثار بهذه المدينة، وحاصره المسلمون عدة سنوات، إلى أن استسلم على يد عتيبة بن سحيم الكلبي، وقتل إلى مليلة حيث استرب ولده، وألحق حفيده البعيد حفص بن البر القاشيا للنصارى^(٢) .

لا بد ما قام به أكويل ثورة، إنما هو ملموح فردى لمفاسد من البيت القوطي ، استغل تأي طركونة عن الحضرة، وحاول أن يستعيد ملك أياقه ، ولاشبه المصادر النصرانية إلى سبب مباشر لهذه الثورة. وإذا كان أكويل قد

(١) الأندلس بينا وبين لاردة خمس ميا وطركونة مدينة أزية ... وهي مدينة على مياجل البحر الشامي' قصيري' الروض المصنوع، ص ١٢٥ - ١٢٦، وقطر أيضا يافوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٤٤

(2) Simonst: op. cit. pp. 170 - 171 .

استعان ببعض النصارى، فإن هؤلاء استجابوا له، لأنهم لم يكونوا قد تبينوا بعد الفرق بين حكم القوط وحكم العرب .

على أن المصادر العربية تشير إلى ثورة أخرى، وتسميها إلى عروة بن الوليد في عهد يوسف الفهري (١٢٩هـ/٧٤٧م - ١٣٨هـ/٧٥٦م) آخر ولاية الأتلس .

يقول ابن خيان^(١) "ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد في أهل النخعة وغيرهم، فملك لشبيلية، وكثر جمعه، إلى أن خرج له يوسف فقتله". ثم تسمي المصادر في الحديث عن هذه الثورة، ويتضح من رواية ابن الأثير^(٢) في أحداث سنة ١٢٩هـ، أن عروة ليس من أهل النخعة، وإنما هو عربي استعان في ثورته بهم وغيرهم (أي بالمسلمين) .

(١) الفهري: فتح القليب، ج٢ ص ٦٢، ونظر أيضا ابن عذاري: البيان للمغرب، ج ٢

ص ٣٨ .

(٢) الأثير: كتاب ج ٥ ص ١٥٢ ونظر أيضا Darg: op. cit. p 235.

الفصل الثامن

حركة شهداء قرطبة النصاري

في أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط، وأوائل عهد ولده محمد، جرت في مدينة قرطبة حادثة، تعرف عند الكتاب الفرنج بحركة الشهداء* وقد أقره لها سيمونيت^(١) قسماً كبيراً من كتابه، أما المصادر العربية التي وصلت إلينا فقد خلت تماماً منها .

يقول ليفي بروفسال^(٢) إنه من البعث البحث في المصادر العربية عن أية إشارة إلى هذه الحادثة، وهذا صحيح، فإن حيّان الذي يحرص على سرد أحداث الحياة اليومية، لا يذكر شيئاً عن (الشهداء)، شأنه في ذلك شأن الرزقي، وهو متقدم عنه (ت: ٨٣٤هـ) وأقرب إلى عصر (الشهداء) .

ومما يجدر ذكره أننا نلف في كتاب التوازي مثل "الأحكام الكبرى" لأبي الأصبغ عيسى بن سهل الجبالي^(٣) (ت: ٤٨٦هـ) على أخبار عن مسلمين تمسروا وطلق عليهم الحد، ونصاري تنصروا العهد، وطلق عليهم الحد كذلك، لكن هذه الأخبار ترجع جميعها إلى أواخر القرن الثالث الهجري، أي بعد مضي أكثر من خمسين سنة على إسماء عصر الشهداء .

* أقرنا استخدام تعبير شهداء قرطبة - ربما عن تحفظاتها عليه - لأنه صار تعبيراً اصطلاحياً في الكتابات التاريخية وبخاصة العربية منها.

(١) قصص من ثلاث عشر إلى الحادي والعشرين PP.357 - 501

أما ليفي بروفسال فيخصص لهذه الحادثة جزءاً من الفصل الأول من كتاب ثلاث

(إفليس بمصر عبد الرحمن الأوسط) . PP. 225- 239 .

(2) Ibid. Vol. I, p.225 .

(3) وثائق في أحكام قضاء أهل قلعة في الأندلس من ٤٧ - ٤٧٠ - ٧٣ .

على أننا - مع ذلك - لا نستطيع أن نجزم بأن المؤرخين المسلمين، لم يذكروا شيئاً عن هذه الحادثة. ومن الجائز أنهم ذكروها، لكنها لم تصل إلينا بعد. وقد وردت في التوقيع القرطبي أخبار عن احتفال النصراني بأعياد شهدائهم، ومن بينهم بعض (شهداء قرطبة)، ولدينا أيضاً نصي لورده العذري في معرض حديثه عن بعض أجداده البعيدين فيقول (١) "وتزل زهيدة وليسين بقرية دلالية" (٢) على شياريه ديو وعلى سلاط الميميين* ومن المرجح أن شياريه ديو هذا هو Spera - in - doe لسانة إيلوخيرو، وقد عاش في الفترة نفسها التي عاش فيها جدا العذري .

ولستطيع أن أقول إن حادثة (الشهداء) لم تكن ذات خطر كبير، كما ذهبت المصادر النصرانية، بل اعتبرها الأندلسيون حادثة عارضة، ومن ثم أغفلوها وعلى ذلك سنذكر في (الحقائق) عن (شهداء) قرطبة من المصادر النصرانية وحدها (٣) .

(١) نصومس الأندلس - ص ٩٩ - ٩٤ .

(٢) قرية بالأنلس من عمل القرية الحميري: القروطن المعطار، ص ٧٧ وانتظر أيضاً: وقوت معجم اللسان ج ٤ ص ١٧ .

(٣) أقرنا أن نخلص - بالأسفة - ما ورد في المصادر النصرانية، رغماً عما بها من مخالفة، وفي الفقرة التالية نعلق عليها .

والمصدر الأصلي للحادثة كتابات كنسية لأيوأخو وألرو وأخوهماء، وعنهم ينقل المؤرخون المحدثون، ومحتفناً هنا نوزي ثم سيمونيت وإليسيد رودى لاش كلخيچش الذي يأتي بثبوت بأسماء الشهداء ومخلص لحياتهم ، مرتباً حسبة المقتن، وذلك في الفصل الرابع من الباب ثمانس من كتابه.

١- الرواية النصرانية لحادثة الشهداء :

تقول الرواية النصرانية أن المسلمين عاملوا النصارى بقتر من السماح في البداية، لكنهم بعد أن شعروا بقوةهم غيروا هذه السياسة، وصار الإسكندرية الإسلامية شديد الوطأة على ضماير النصارى وأموالهم وكرامتهم، وكان يتصاعد مع انتصار يحرزه نصارى الشمال، أو ثورة يشعلها نصارى طليطلة^(١).

وكان عامة الشعب من المسلمين يعادون النصارى ويشتمونهم، وعندما يشاهدون قسا في الطريق يهزأون به، أو يهزأون أنيقهسخر بالصليب، أو يقتله الضحية بالحجارة، ويمطرونه بالاقذار، ولدى مرور جنازة لأحد النصارى يطلق السائلة^(٢) على الله ألا يريده رحمة، وعندما تقف أجساد الكنائس يهزأون ورسولهم، ويتصرون على النصارى الحقى الذين يدعهم قساوستهم^(٣) إلى جانب ذلك كان النصارى يمتلكهم الأسى، حين يرون مخيلتهم العظيمة قد أضحت مستقرا للسلطان الذي يصدر من حين لآخر قرارات تجرح شعورهم، مثل إخبارهم على الختان، شأنهم شأن المسلمين، مما جعلهم يعتقدون أنهم صاروا أقل شأنًا من بنى جنتهم نصارى الدويلات الصغيرة في شمال إسبانيا^(٤).

لم يكن النصارى وحدهم هم الذين تعرضوا للمعادى فهناك أيضا المولدون الذين عرف إيلوخيو بمعنيهم باسم النصارى السريين Christiani Occulti وهم الذين أسلم أسلافهم هربا من دفع الجزية، أو خوفا من عقاب قاض نصراني، وكان المولدون - بوجه عام - يعيشون في أوضاع سيئة،

(1) Simoes: op.cit. p. 358 ff.

(2) Duzy: op.cit p. 271

(3) Ibid. p. 269 .

فالعرب ينظرون إليهم بعين الشك، ولا يستبدون إليهم وظائف كبيرة، وكثيراً ما يدعونهم بالعبيد، رغماً عن انتماء بعضهم إلى أصول عريقة^(١) .

ولما شكك صنف المسلمين بتضارّي قرطبة، عمدوا إلى ترحيلهم خارجها، وبخاصة في المدن البعيدة، أما في العاصمة، فإيهم لم يجدوا وسيلة غير (الاستشهاد)، وكان ردفهم في هذا الشأن القسامة أنفسهم^(٢) .

شاعت عند رجال الدين أفكار زائفة عن الإسلام^(٣)، كما ذاعت بينهم أفكار أخرى عن أسلافهم هلكوا على أيدي الوثنيين، وصاروا يرجون أن يقوموا بعمل مجيد مثلهم^(٤) .

وفي أوائل القرن التاسع الميلادي، ظهر أول المحرضين على (الاستشهاد) ودعى في الكنائس الكاثوليكية بإسبيرا - إن - ديو أي، "الأمل في الله" ويعد الأب الروحي لشهداء قرطبة، وكان يقيم في دير شوليش قرب العاصمة^(٥) .

كان لإسبيرا - إن - ديو تلميذان، أحدهما شيس هو إيواخييو، والآخر علماني هو ألفرو، وقد اختار إيواخييو من عائلة تبيلة، وكان له أربعة أخوة، عمل اثنان منهم - وهما ألفرو وإيسيدور - في التجارة، واشتغل الأخ الأكبر - وهو يوسف - في قصر السلطان، أما أخته - ودعى أنولونا Anolona - فقد ترحلت. وكانت الأسرة جميعها معروفة بكرامتها للإسلام وتعصبها للتصورية، وزاد من هذا التعصب عاد إيواخييو، ميله إلى العزلة فترهب في فترة مبكرة، وصار كاهنًا لكنيسة القديس شوليش^(٦) .

(1) Ibid. pp. 240 - 241 .

(2) Ibid. p. 272 .

(3) Ibid. pp. 269 - 270 .

(4) Ibid. p. 273 .

(5) Simons: op. cit. p. 340 .

(6) Ibid. pp. 381-382 .

لما أليرو فهو شاب ثرى، يقال أنه ينتمى إلى أصل يهودى، وقد تعرف على إيولوخيو فى مجلس إسبيرا - إن - ديرو، وتلثر بفكر الأمتك القنميد معاً، ووصلت إليها عدة من كتبه ورسائله، منها ترجمته لحياة إيولوخيو Vita Eulogii وهى مصدر أساسى لمعلوماتنا عن (حركة الشهداء)^(١).

لُمرت دعيات إيولوخيو ومسيحه، وفى سنة ٨٥٠ م، دخل قسيس من كنيسة شويش يدعى برفكتو Perfectus فى نقاش مع بعض المسلمين حين سألوه عن رايه فى محمد صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام، فأساء الحديث عن نبي الإسلام، وجئ به إلى القاضى الذى أمر بإعدامه فى يوم بحدده نهر الخصى وفى يوم الفطر سنة ٢٣٥هـ/١ أبريل ٨٥٠م ثم إعدام برفكتو وسط حشد من المسلمين، وكان فى المقبرة التى تضم عظام القديس شويش^(٢).

بعد عام تكرر التهجيم على النبي الكريم من تاجر يدعى يوحنا (خوان) فأحضروا إلى القاضى الذى أمر بإعدامه، وطيف به على حمار فى شوارع المدينة بينما المندى يصيح " هذا جزاء من يجترأ على مسخريه بالنبي" وألقى به فى السجن، ولم يلبث أن أعدم^(٣).

وكان ثالث (الشهداء) رابع من أسرة تبيلة يدعى إسحق، كانت إجابته للعربية، سبياً فى سبيته كاتبا عند الأمير، لكنه لم يلبث أن هجر القسســـــر والتحق بدير تابلوس وترهب، ثم عاد إلى قرطبة، وقابل القاضى، وتقوه فى حضركه بألفاظ فيها إساءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وحسب القاضى فى بداية الأمر، أنه مخمور أو فقد عقله، وكاد أن يكف بحبسه، لكنه لم يجد

(1)Ibid. p. 113

(2) Dozy: op. cit. pp. 278-281. Simonsen: op. cit. pp. 385 - 388 .

(3) Dozy: op. cit. pp. 282 - 283. Simonsen: op. cit. pp. 389 - 390 .

إزاء نصراؤه، إلا أن يامر بقتله فقتل وعُلقت جثته، ثم أحرقت ورعى
برمادها في القنر^(١) .

نُشرت هذه الأحداث استياء غالبية النصاري الذين قالوا: إن السلطان
يسمح لنا بمزاولة شعائر ديننا ولاضطهيدنا، فلماذا إذن هذا المسمى التعصبي،
إن هؤلاء الذين تدعونهم شهداء ليسوا كذلك، إنما هم انتحاريون يحفزهم
الزهر وهو أصل الخطايا كلها، وإذا هم طاعوا الإنجيل يجدون فيه^(٢) : أحبوا
أعداءكم باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى «بغضيتكم»...^(٣)

لما انتشرت هذه الأفكار بين النصاري، وكادت تحدث أثرها، انبرى
إيرلنوخير لرد عليها في كتاب دعاء تذكيرات مقدسة "Memoriale Sacerdotum"
فدافع عن (الشهداء)، وتعرض للمضايقات التي صانها النصاري والقساوسة
منهم، واقتبس من الكتاب المقدس وآباء الكنيسة، ما يؤكد أن (الاستشهاد) عمل
من أعمال القوي، يستحق التقدير والثناء^(٤) .

نتج عن ذلك أن امتدت عدوى (الاستشهاد) إلى نفر من المعلمين،
بعضهم من المولدين، وأشهرهم فتاة تدعى فلورا Flora ، مات أبوها وهي
صغيرة، وتأثرت بأمها النصرانية المتصرة، وذويت سدى جهود أخيها المسلم
في حملها على العنول عن تمرانيتها، ثم اضطجعتها إلى القامثنى الذي أُلحق
عليها، واكتفى بضربها، وأعادها مع أخيها إلى دارها، لكنها هربت إلى أحد

(١) Dozy: op. cit. pp. 283 - 285, Simonet: op. cit. pp. 391 - 394 .

(٢) متى: إنجيل ٥ آية ٤٤ .

(٣) Dozy: op. cit. p. 286.

(٤) Ibid. pp. 286 - 287 .

ويخمس سيمونيت الفصل الخامس عشر من كتابه إنجيل إيرلنوخير عن الشهداء .

معارفها النصراري، والتقت عنده بيلولوخيو الذي أعجب بها وحفرها على الاستشهاد، فتوجهت إلى كنيسة شويش لتتصلي، وشاركتها في الصلاة فتاة أخرى من أصل مسلم طلبها تدعى مارية، وخرجت القناتان من الكنيسة إلى القلنسي، وأقرتا بتصرفيهما، ولمرة الثانية لشق القاضى عليهما، واكتفى بجسمهما، وفي الحين تجدد اللقاء بيلولوخيو، وتجددت دعوته إلى الاستشهاد، ولمرة الأخيرة استدعى القاضى القناتين، حيث أسرتا على أتعائهما، وفي يوم ٢٤ نوفمبر سنة ٨٥١ م، تم اعدامهما، وألقيت جثثهما في النور^(١) .

بعد خمسة أيام من هذا الحادث أطلق سراح بيلولوخيو وغيره من النساء، لكنه - وأثيرو - لم يتوقفا عن المحض على (الاستشهاد)، وتعالى أعدام النصراري، ووصل الأمر إلى أن اقتحم اثنان منهم المسجد الكبير (جامع قرطبة) وأثارا مشاعر المسلمين، فقبض عليهما ثم أعدموا في ١٦ سبتمبر سنة ٨٥٢ م^(٢) .

بذلت الحكومة الإسلامية جهدها لصمم الفتنة، فأمر عبد الرحمن الأوسط بعقد مجمع كنسى رأسه ريكا فريجو Recafredo مطران اشبيلية، وكان يمثل في المجمع قورس بن أنتران الذي يصفه بيلولوخيو بأسوأ التبعوث وفي هذا المجمع بسط قورس الموقف، وحدد النتائج التي يمكن أن تحدث للذين يسيئون إلى الإسلام، ولهم يستحقون الحرمان، لا للتدين، لأنهم يعرضون لخرابهم النصراري لخطر الاضطهاد، ودعا الأساقفة إلى إصدار قرار يشجب سلوك هؤلاء (الشهداء)، ويحول دون سلوك غيرهم السبيل نفسها وفي المقابل دافع شاعون أسقف قرطبة عن (الشهداء) . واتخذ المجمع حلاً وسطاً يرضى

(1) op. cit. capitulo .navl. Diego: op. cit. pp. 274 - 276, 291 - 293 .

(2) ibid .p.294 .

الطرفين، فاعترف بمن قتلوا (الشهداء)، لكنه في الوقت نفسه قرر إدفنة من يقدم علي (الاستشهاد) مستقبلا، ودعا إلى حبس المجرمين من القساوسة^(١). بعد أيام قليلة من لفناء من المجمع توفي عبد الرحمن الأوسط في ٣ ربيع الثاني ٢٢٨هـ/ ٢٣ سبتمبر ٨٥٢م، وزعم إيلوخي أن أجله وأقاربه بينما كان جالسا في شرفة قصره، يشاهد النصارى الذين علقوا جثثهم في المكان الذي عرف فيما بعد (بحديقة الشهداء) el Jardín de los Mártires^(٢) لما ولي الأمير محمد أمر بالقضاء النصارى من وظائف الدولة، كما أمر بهدم الكنائس المستحدثة، وزعم إيلوخي أنه أمر بقتل رعاياه النصارى وهناك أعراس نساءهم وبناتهم، لكن وزراءه، نصحوه بالمعذول عن ذلك^(٢). توافقت حركة (الاستشهاد) في عهد الأمير محمد، وكان من جملة من قتل راهبة من أصل عربي تدعى أوربا. Aurea في ١٧ يوليو سنة ٨٥٦م^(٤). وفي سنة ٨٥٨ م توفي وسثريميرو Wistremiro مطران طليطلة، واختار الأساقفة إيلوخي مطرانا، لكن الأمير رفض أن يقره في منصبه^(٥). وفي هذه الأثناء هربت فتاة متصرة تدعى ليوكريشيا Leocritia إلى إيلوخي الذي أحجب بها، لأنها تذكره بقورا، وأولها في دار أخته ثولوتا، واكتشفت الشرطة الأمر، وقبضت على الفتاة وإيلوخي، وفي ١١ مارس سنة ٨٥٩ تم إعدام إيلوخي، ودفن في كنيسة شويلش، وبعده بأربعة أيام، أعدمت ليوكريشيا، ودفنت في كنيسة خنيس، وفي سنة ٨٨٤ م نقلت عظامهما

(1) Ibid . pp. 287 - 292 .

(2) Lévi - Provençal: op. cit. - vol. II p. 130 .

(3) Dozy: op. cit. p. 299 .

(4) Isidro de las Cagigas. op. cit. tomo I. pp 219 - 220 .

(5) Ibid. tomo. I. p. 156 .

إلى أفييتو Ovieto في الشمال وسجلا قديسين^(١)، وبعد موت يولوخيو بسنتين أعدم أليرو وحدات (فئة الشهداء).

٢ - دراسة تحليلية لحادثة الشهداء :

إذا ألقينا النظر فيما أوريثته المسار التوراتية عن حادثة (شهداء قرطبة) يتجلى لنا ما يأتي :

(أ) إن التصاري المعاندين كانوا يعيشون حياة طيبة في إطار الجماعة الإسلامية بالأندلس، وكانت أحوالهم العامة لا تختلف عن أحوال أحوالهم المسلمين .

(ب) لم ينكر يولوخيو في حديثه عن الانضطهاد الذي لحق بالتصاري على أيدي المسلمين ما إذا كان قد حدث قبل أن تبدأ (حركة الاستشهاد)، أم بعد أن بدأت بالفعل^(٢)، لأنه في الحال الأخيرة يعد ما فعله المسلمون رد فعل على موقف التصاري تجاههم .

(ج) بنيت الثورة من جانبها جهدها لحسم الفتنة، فعمدت لذلك مجعما، إتخذ قراره دون تدخل منها، واتسم هذا القرار بالاعتدال .

(د) يعد التصاري ورجال دينهم بوجه خاص مسؤولين عن إثارة هذه الفتنة، فقد نهجم فريق منهم على الإسلام وتبنيه الكريم، كما إتخذ بعضهم من أمثال إسبيرا - إن - ديرو وطلميتيه يولوخيو وأليرو من الأفييرة مراكز للخصم على (الاستشهاد)^(٣).

(1) Simoes: op. cit. p. 486 .

(2) Waite: op. cit. p. 226.

(3) يتردد ذكر هذه الأفييرة كثيرا إبان حركة الشهداء، وتخص منها أرملا من تافوس، شويش، خنيس، فرنتول، أبلح .

لما عن الدافع لإشعال فتنة الشهداء، فتستلج أن ترجمه إلى ضيق بعض القساوسة من إتساع نطاق الإسلام، وإقبال كثير من أبناء جلدتهم عليه مما حفزهم إلى (الاستشهاد) والتحريرين عليه، حتى يتغروا الحصانة التصريحية عند أبنائها .

ولمجه هؤلاء القساوسة في دعائيتهم إلى الشباب ومن ينحدر منهم من أبناء مسيحيين وأمهات نصرانيات، واستخدموا معهم أسلوب الإحشاء، والمعروف أن النساء وصغار السن من المؤمنين لكثير قابلية للإحشاء من غيرهم^(١)، وهذا يقصر أن كثيرا من (الشهداء)، كانوا من النساء والشبان .

لم يكن الإقبال على الإسلام وحده سببا في تتمر القساوسة وإنما ساءهم أيضا تسرب بعض الأفكار التي تتصل ببشرية المسيح عليه السلام إلى أصول عقيدتهم، والتي عبرت عنها حركة إيليانوس عشية فتنة (الشهداء)^(٢).

ويتصل بحركة (الشهداء) موقف فريق من المولدين من الإسلام، فيوضح لنا أن بعضهم أسلم لدوافع مادية .

ولدينا مثال واضح في بني قسي بالأنبار الأعلى، فقد ألكج موسى بن موسى بن فرون بن قسي أبنه وبنات أخيه إلى بعض ملوك نير، وتزوجت حفيدة بعيدة له فروعلة الثاني بن كلفونش ملك ليون ٩١٠ - ٩٢٥ م ، فولدت له زهير وارثوني، كما تنص أربعة من بني قسي^(٣).

على أن غالبية المولدين أسلموا عن عقيدة خالصة وإيمان عميق، وقد

(١) معجم العلوم الاجتماعية، ص ٨٩ .

(٢) راجع عرضنا لهذه الحركة في الفصل الخامس الخامس بالحياة الثقافية

للتصاري.

(٣) ابن خزم: جمهرة أساليب العرب، ص ٥٠٢ - ٥٠٣ .

عاصر ابن حزم^(١) يعنتهم وقال عنهم: لئن شأخنا من النصراني واليهودي طوافت لألخصي عندهم أسلموا وحسن إسلامهم^(٢).

ولئن شأخنا لملأه عبيدة تكويد ابن حزم فيما ذهب إليه، منها أبو المعلى الألبيري (ت ٢٩٢هـ) الذي عاصر (فترة الشهادة)، وكان نصرانياً فأسلم وشفت بكتب عبد الملك بن حبيب، وفاق أهل عصره في الزهد والورع^(٣) بل إن ابن حزم - كما يذكر ابن حيّان - كان من أصل نصراني - وله مكانة كبيرة بين فقهاء المسلمين وعلمائهم.

لما عن موقف النولة من (حركة التشيعة)، فقد رأت أن تعاملهم بما تقتضي به قوانينها، فقد تهجموا على الإسلام، وحرصوا المسلمين على الارتداد عن دينهم، فاستجاب لهم يعنتهم^(٤).

(١) الفصل جـ ص ٦٠٢.

(٢) ابن الخطيب: الإملأ ج ٤ ص ٢٩ - ٣٠.

(٣) لجمع الفقهاء - والمالكة منهم - على أنه لا يجوز لمن أساء إلى الإسلام وتبىء تكريم توبه، ويتنصرى هذا المسلم والمنى. لما لمرء قد اتفق جمهورهم على أنه لا يجوز له أيضاً توبه شأنه في هذا شأن الفزنيق، وماله جماعة المسلمين.

محتون: المعونة الكبرى ج ٤ ص ١٦٢، ابن رشد (الحفيد) بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٣١، يحيى بن عمر: الأحكام ورقة ٦٩ ظهر، ابن فرحون: تبصرة الحكام ج ١ ص ١١٠، ج ٢ ص ٢٠٤-٢٠٥، الفوتريش: المعيار المصوب ج ١ ورقة ٤٧ ب، ابن حزم: المعلى ج ١١ ص ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٥. والمثل أيضاً أبو عبيد: الأموال ج ٢ ص ٢٦٠، الفاردي: الأحكام المشلقية ص ٦٠ - ٦١.

وعتدا نكر نصراني - في مصر - رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز كتب قاضيها المفضل بن فضالة ١٦٨ - ١٧٠هـ يسأل إمام دار الهجرة فأمره بقتله بقتل، أما الحارث بن مسكين - قضى مصر أيضاً ٢٢٧-٢٤٦هـ فأنه لم يكلف بقتل نصراني، إن هذه القصة، وإنما جلدته قبل أن يقتله. الكندي: كتاب الفلاو كتاب القضاة ص ٢٨١ و ٢٧٠.

ولم تكن الدولة تفرق في تطبيق الحدود بين مسلم وبنى. فقد قتل ابن أخى عجب حظية الأمير عبد الرحمن الأوسط، فقتلوه على الدين، ولم تشفع له مكانة عمته من الأمير^(١)، وكذلك كانت حال إبراهيم بن أحمد بن عبد العزيز بن العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان، الذى ارتد إلى النصرانية فقتل^(٢)، ولم يشفع له أن كان من أبناء الأسرة الأموية الحاكمة وابن عمه أحد وزراءها .

ومما يجدر ذكره أن فقهاء المسلمين وبخلافهم بالأندلس، اتسموا بالمرونة في تطبيقهم الحدود، بل تلمعوا أحياناً (الشهداء) أعذاراً كالجنون، كما كانوا يميلون المرأة التي تهاجر بتصرفاتها، حتى ترجع عن غيرها، ويقتلون بمنزلة^(٣)،

عاصر (فتنة الشهداء) من قضاء الجماعة لقان، أولهما سعيد بن سليمان الخاقنى (ت ٢١٠ هـ) وعنه يقول ابن وضاح: رأى القضاء أربعة، فأتصل العدل بهم فى أقالق الأرض، رحيم بن اليقيم بالشام، والحارث بن مسكين بمصر، وسحنون بن سعيد بالقيروان، وأبو خالد سعيد بن سليمان بقرطبة ويصفه ابن أبيه بالخير والتموضع، ومات غير معزول^(٤).

(١) الخشني: فتنة قرطبة، ص ٥٩ - ٦٠، ابن سبيل فى الوثائقي: المعيار المغرب م ١ ورقة ١٧٨ ب، ولفظ ١٧٨ ب ونظر أيضاً: Labi - Provençal: op. cit. vol. I, p. 230 .

(٢) ابن خزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٦٠٨ .

(٣) ابن أبي عمير، والتميز أسر اجتهدى يترك تقديره للإمام. عبد الكريم زيدان أحكام المسلمين والمستأمنين ص ٢١٨ - ٢١٦ .

(٤) الخشني: فتنة قرطبة، ص ٦١ - ٦٢، ابن خزم: تاريخ علماء الأندلس، ص ١٦٢ تر ٤٧٧ .

وثانيهما أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي (ت ٢٥٥هـ) وعنه يقول
الحكشي (١) "سار بخير سيرة وأجلها، فكان بطلا صالحا صحيح المذهب
حسن الصورة ولينته نحو عشرة أعوام، أي أنه حضر نهاية القصة،
مجل القول أن (قصة الشهداء) كانت حادشا عابرا في تاريخ الأندلس
ومن ثم فقد أغلقتها المصادر العربية، وسارت الأمور سيرها الطبيعي بعد
انتهائها، واستمرت القولة في سبيلتها التي تنطوي على التسامح مع رعاياها
التصاري، ومسحت لهم بالإحتفال بأعياد (شهداءهم)، وبينهم عدد من (شهداء
قرطبة) (٢).

(١) قصة قرطبة ص ٦٥ .

(٢) قتيب برنكتو في ٢٠ أبريل، البحر ١ - إن - ديو في ٧ مايو، القديس إيلوين
في ١٥ سبتمبر، تولفوخوان في ٢٧ سبتمبر، أيزو في ٧ نوفمبر .
ولمع صفحات ١٨، ٥٢، ٨٨، ١١، ١٠٢ النص اللاتيني من تقويم قرطبة لعرب
لبن سعد وريبع بن زياد .

2

3

الفصل التاسع

النصارى والفتنة الكبرى

١ - مقدمات الفتنة الكبرى *

لم يكن يمضي عشرون عاما على اخلاص فتنة الشهداء بقرطبة، حتى اندلعت في بلاد الأندلس ثورة عرفت بالفتنة الكبرى، استغرقت نحو عشرين سنة من جهد الدولة. وقد بدأت أحداثها بهروب عبد الرحمن بن مروان الجلفي من قرطبة في سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥ م، وعصيته بعد ذلك بمدينة بطليوس Badajoz (١) وفتحت باقتحام جيوش عبد الرحمن الناصر طليطلة في سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م.

شاركت في هذه الفتنة عناصر المجتمع الأندلسي، واتسع مداها حتى شملت جميع البلاد، وانحصر سلطان الدولة لايتعدى في أحيان كثيرة أسوار الحضرة وأقيمت الفرصة لعملاء الشمال النصرانية لأن تتوسع على حساب المسلمين.

* لم يطلق على هذه الفتنة في مصطلحاتنا تعبير محدد، وإنما كانت قد عمت القطار الأندلسي، وشملت عناصر السكان جميعها، وإستغرقت نحو سبعين سنة، فقد قرأنا أن نقميس تسيير "فتنة الكبرى" وهو تعبير سبقنا إليه الأستاذ محمد عبد الله عثمان في كتابه "تولية الإسلام في الأندلس".

(١) بطليوس بقمطين وسكون القام وباد مضمومة وسين مهملة، مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال مارتة، على نحو ثمة غربي قرطبة وأنها عمل واسع ... وأقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٢١٧.

ومما يجدر ملاحظته أن أغلب المؤرخين الأندلسيين، لم يمدونا بمعلومات وافية عن أسباب هذه الثورة التي انفرد ابن الخطيب^(١) بتوضيحها يقول:

«والثوار في دول بني أمية متعدون، شقيت بهم الملوك، وتفصت بهم الخلقاء، واضطروا إلى مساكنهم ثائرة، ومحاربتهم ثائرة أخرى، وجعلوا رسم الوفاء لمن عاهدوه منهم سياسة، لولاها لجل الخطيب، ولم يخلص الملك. والسبب في كثرة قتول بالأندلس يومئذ، ثلاثة وجوه الأول متعة البلاد وحسنة المعالي، وبأس أهلها، بمقاربتهم عدو الدين فهم شوكة وحد، بخلاف سواهم. والثاني علو التهم وشموخ الكؤوف وفلة الاحتفال لقل الطاعة، إذ كان من يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرفاء، يلقب بعضهم من الإذعان ليمش. والثالث: الاستعداد عند الضيق والاضطرار، إلى الجبل الأشم والمعقل الأعظم، من ملك للصارى العريس على ضرب المسلمين بعضهم ببعض، فكان الأمراء من بني أمية، يرون أن اللجاج في أمورهم يؤدي إلى الاضطراب، وفيها فساد الأموال وتضرر الجباية، وتعرض الجيوش إلى الانتكاس، ولولياء الدولة إلى القتل، ولا يقوم المسرور بغلبة الثائر، بما يوزيه من ترحة هذه الأمور».

على أننا نستطيع أن نقف من النصوص التي وردت في بعض المصادر على أسباب هذه الثورة .

شهدت بلاد الأندلس خلال القرن الثالث، وبخاصة عهد الأمير محمد بن سنان متتالية، سادها القحط والاضطراب، عناصر الطبيعة، مما ترتب عليه هلاك كثير من الناس أو مجرتهم من البلاد .

(١) إصل الأعلام، ص ٣٥-٣٦ .

يقول ابن حبان^(١) في حديثه عن سنة ٢٦٠ هـ: وفيها أصابت البلاد مجاعة شديدة، أرقت الأعوام الجذاعة^(٢)، التي توالى عليها في عقدة الخمسين، فأكثرت عليها وعزت الخلق فمات أكثرهم، وجرى المثل بها على السنة التي دهرها سنة ستين^(٣).

كانت سياسة الدولة تجاه الأمراء الاقتصادية التي واجهتها في عهد الأمير محمد لا تتم عن الحرص على معالجتها وتخفيف وطأتها، وكان لهذه السياسة تأثير بالغ على الموالدين والتجار المعادين، لأنهم كانوا أكثر أفراد المجتمع الأندلسي المتجنين.

يقول ابن القوطية^(٤) "ورافقت مجاعة سنة ستين وليد بن غانم وإلى المدينة، وكانت سنة لم يزرع فيها قنار حبة ولا رفعت^(٥)، فأرسله محمد إلى نفسه فقال له: العصور ما ترى فيها. قال: إنما يؤخذ العصور بسبب الزراعة والرقع، ولم تزرع ريعتك ولا رفعت، فألفق من أهرك وبيوت أموالك، فلم يله أن يأتي في العام المستقل بخير. فرأه^(٦) فقال: لا والله لأقتلن^(٧) تحريك حبة واحدة منه.

وواصل الخير بالقنار وما دار فيه، فرأى حمون بن بسيل المعسوف بالأكشيب، وكان من الطغاة البغاة، فقال: ولاية المدينة، على أن يتضمن إيراد

(١) المقتبس من ٩ من ٣٤٣.

(٢) سنة جداج السنة للتعبئة تذهب بكل شيء كأنها تدعه.

ابن منقور: لسان العرب ج ١ من ٥٦٧.

(٣) تاريخ افتتاح الأندلس من ١٠٠.

(٤) أي جنت.

(٥) أي نورة.

(٦) أي توفيت.

المشروع حتى هناك السطور، وضرب الظهيرة وقتل الأتليش بالتطبيق، ففر الناس إلى الله عز وجل منه، وأما الله يفتن، وقبضه إلى سلطته .
 فالتصل الخير بمحمد، وما نال الناس منه، فأرسل إلى نفسه وليد بن غانم، واعتذر إليه، وسأله أن يرجع إلى المدينة ليصلح ما أفسد الميت قبله.
 فقال: أما وقد صرت عندك في محل من بيته حميون بن يسول أو مثله، فلا والله لأخدمك في المدينة لئلا، فوالى غيرة، فالتسلطت الأحوال في آخر أيامه...^(١) .

على أن أكبر من أبناء إلى صورة الدولة لواء أهل البلاد من مولدين ومهاجرين، هو هاشم بن عبد العزيز^(٢)، وزير الأمير الأثير عنده، وتفق النصوص في حملتها عليه، وتذهب إلى سوء سيرته في غير موضع .
 يقول ابن القوطية^(٣) ثم والى الأمير محمد - رحمه الله - وكان من أهل الأثارة وقلة العجلة، والتقى عن العقوبة، مكرما لأعلام الناس من أهل العلم والموالي والأجناد، متفيرا لعماله، إلى أن والى امرء هاشما، فأسد عليه،

(١) كانت سياسة الدولة في عهد عبد الرحمن الأوسط الذي دعيت إليه بآرام المومنين على القبض من سياسة ولده محمد، فتمتعا حدثت مجاعة في سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م سعى إلى الحد منها بالعلم الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة، ابن حبان النقش، ص ٢ من ٩٢ - وفيما بعد راجع عبد الرحمن قتال مجاعة سنة ٢٠٣هـ/٩١٥ - ١١٦م التي شهت بمجاعة سنة ٢١٠هـ، بأن كثرت مصقاته وصحبات أهل دولته على المساكين، ابن حبان: النقش، ص ٥ من ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) وهو شقيق القاضي أسلم بن عبد العزيز الخالدي الذي والى قضاء مراكش ٣٠٠-٣٠٩هـ، ٣١٢-٣١٤هـ.

(٣) تاريخ افتتاح الأتليش، ص ٨٦، وأظن أيضا: ابن سبيح: المغرب، ص ١ من ٥٢-٥٣، ج ٢ من ٩٤ .

فترك طريقة اختياره العمال من الكهول والشيوخ، ومال إلى الأحداث، وشاطرهم أربابهم، فكان العمال يسمون المتأصلين، فقد بذلك الأمر.....^١
 زاد الأمر سوءاً موقف القبائل العربية من الأجناد، وبخاصة أهل البصرة، وكثرتهم شامية قيسية، فقد تنمر هؤلاء لانصراف الدولة عنهم إلى غيرهم من الأجناد المرتزقة والصقلية. وفي الوقت نفسه لم يعد ثمة مبرر لأن يحصلوا من أهل البلاد على تلك الأموال، خاصة بعد أن انتشر الإسلام بينهم، وهكذا دخل للعرب في صراع ضد الدولة، وضد المولدين والمعاهدين جميعاً^(٢).
 وقد عبر عمر بن حفصون عن موقف المولدين والمعاهدين من الدولة والعرب بقوله: "ما نلنا ما نعطى عليكم السلطان، ونقتزع أموالكم، وحملكم فوق ظلفتكم، وأنتكم العرب واستعبدتكم، وأنا أريد أن أقوم بشاركم، وأخرجكم من عيوديتكم"^(٣).

ومن بين الأسباب التي أدت إلى الفتنة الكبرى، موقف الفريق الناقم من النصاري المعاهدين الذين أشعلوا (فتنة الشهداء) بقرطبة، فقد كانوا يتحينون الفرصة لإثارة الصعاب في وجه الدولة، والإشتراك في الحركات المناهضة

(١) يعبر عن تلك الفئحة الفارس سعيد بن جردى رئيس العرب فيخاطب الدولة

يا بني مروان جندوا في الحرب نوم القاسم من وادي القصب

يا بني مروان خلوا ملكنا إيماء ملكك لإنشاء المعسرة

فن حيان: القلتين، ص ٢ من ٢ -

ويخاطب المولدين والمعاهدين :

ورثنا الملك عن آباء صدق وأرثكم بني العبيد أن تل

والخضنا وأرثكم فذلنا فليت ما حيتكم تستعمل

من ٢ من ٦٦

(٢) فن عذاري : البيان المغرب، ج ٢ من ١١٤ -

لها، فقد اُختار شيريند بن حجاج - وهو ولد قومس قرطبية - إلى عمر بن حفصون، وشاركه غاراته على لحواز الحضرة، وإما ظفرت به خيل المسلمين، قتل واجتزت رأسه، كما صلب أبوه. وعاد قومس قرطبية الجديد - وهو حزمير - للتواطؤ مع عمر بن حفصون فحسب وعذب إلى أن مات .
 كذلك لم يتوان ملوك النصارى في إعانة الثوار الخارجين على الدولة الإسلامية بالأندلس، وبخاصة في مناطق القصور، بل ارتبطوا مع بعضهم بمصالح المصاهرة، واستفادوا بتورهم من هذا كله، فالتصحت رقعة دولتهم الأمر الذي دفع ألفونس الثالث الكبير el magno إلى أن يتخذ لنفسه - فيما يرى - لقب إمبراطور -.

٢ - نور النصارى في الفتنة الكبرى :

يذهب سيمونيت (١) إلى تغليب العامل الديني على الفتنة الكبرى، ويرى أن يمس الثوار الذي يحملون أسماء عربية هم في الحقيقة من المستعربين، وليسوا من المولدين، وكذا كانت حال كثير من الجنود. ويؤيد أيضا (٢) كما كان للأندلس الديني من أثر، في بعث الروح القومية والوطنية في شبه الجزيرة عند مضطهدي الشعب الإسباني، وما يذهب إليه سيمونيت فيه كثير من المبالغة، فالفتنة الكبرى اندلعت لأسباب اجتماعية، وليس لأسباب دينية، كما أن زعماءها كانوا في البداية من المسلمين (٣)، أما النصارى فقد قاموا بدور شريك الأسماء في مناطق

(1) op. cit. p. 504 .

(2) Ibid. p. 520 .

(3) راجع قائمة الثوار في ابن حبان: المستنير، ص ٢ من ٩-٢٢، وانظر أيضا:

ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢ ص ١٢٢-١٢٨ .

التغور، حيث كانت القرعسة للمولدين، ثم تجاوزوا هذا الدور في جنوب الأندلس بعد عدة سنوات من اشتغال القشتالة، بحيث صاروا أغلب جنودها، وأكثر العناصر تأثيرا فيها، ولم تلبث الثورة أن تحولت على يدي عمر بن حفصون، فأصبحت ذات طابع ديني.

يذهب دوزي^(١) إلى أن أهل طليطلة - وهي قاعدة تغور الأوسط - شاروا على الأمير محمد، بزعمه القوم سندولا (Sindula)^(٢) وتقدموا بجيشهم في سنة ٢٤٠هـ / ٨٤٥ م، وهدوا العاصمة نفسها، مما أسفر عن حملة قادها الأمير بنفسه، وأوقع بأهل طليطلة، والقوات التي قدمت لتجديتهم من ليون في معركة وادي ملط.

وقد أساء دوزي فهم الرواية العربية عن هذه المعركة، فسندولا = والصحيح شندلة - ليس اسما لكرنت نصراني، وإنما هو اسم تيهير قريب من طليطلة تولدت إليه جيوش المسلمين^(٣).

على أن طليطلة استسلمت، قبل أن ينته عهد الأمير محمد أن تحقق استقلالها عن التولية، ووضعت نفسها تحت حماية ملوك ليون^(٤)، وقد لعبت نصاري هذه المدينة دورا هاما في هذا المضمار^(٥)، بل إنهم أعلنوا انفوذ

(1) op. cit. pp. 300-301.

(٢) ويجعله دوزي مرادفا للاسم القوطي Chinila أو Chinila.

(٣) ابن حبان: المقتبس، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(4) Dancy: op. cit p. 311.

(5) Simones: op. cit. pp. 504-505.

الثالث(الكبير) في تعمير مدينة سمورة Zamora^(١) .

ومما يجدر ذكره أن ما حدث في طليطلة تجد له شبيها في التشر
الأكتي، فيوضح من رواية ابن حبان^(٢) عن يثع هاشم بن عبد العزيز إلى
بعلبوس أن جيش عبد الرحمن بن مروان الجليقي التشر بها ضم كثرة من
المولدين، إلى جانب عدد من التصارى المعاهدين .

بعد أن مشاركة التصارى في الفتنة الكبرى تدور على نحو واضح في
جنوب الأندلس، حيث كان يترعها عمر بن حفصون رأس الفتنة بالأندلس
ومضموم نازها، وركن العصبية المعجم والمولدين^(٣) .

بدأت ثورة عمر بن حفصون - مثل غيرها من ثورات المولدين - كثورة
اجتماعية، تنقم على الدولة سياستها، إزاء ما واجهته من أزمات اقتصادية
على أن الطابع الديني لهذه الثورة، أخذ يتضح بعد سنوات قليلة، ففي سنة
٢٧٨هـ/ ٨٩١ م دارت معركة بلاى بينه وبين الأمير عبد الله، وكان
النتهاء المسلمون يرفعون خلالها أيات من القرآن الكريم، بينما كان القيسيون

(١) ابن حبان: المحققين، ص ٢ من ١٠٩، ابن الأثير: الحلة لسيراء، ج ٢ ص ٢٩٨-
٢٧٠، ١٩٩ .

سمورة هي دار سلطنة الجلائقة على ضفة نهر كبير جدا .. وبين سمورة وبين
البحر سترن ميل، وسمورة مدينة جميلة قاعدة من قواعد الروم، وطلها سبعة أسوار من
عجيب ليليان^٤ . الحصري: فروض السطار ص ٩٨، وانظر أيضا جاكوت معجم البلدان
ج ٥ ص ١٢٢ .

(٢) للمحققين، ص ٢ من ٣١٢-٣٩٢ .

(٣) ابن الأثير: الحلة لسيراء، ج ١ ص ١٥٩، ٥٧ .

التصاري يرتلون آيات من الإنجيل^(١). ويشير قشاصر والكاتب المعاصر أحمد بن عبد ربه إلى السابغ الذي لهذه المعركة، وإلى عيد الفصح الذي حل في ذلك الوقت^(٢).

كان بلانيا والختانير حولها مقطعة الأوصال أيديها كخج^(٣) ديار الذين كتبوا رسل ربههم فلاحوا عذابا كان موعده الفصح أمنا عليها الله في يوم عيدهم فكم لهم فصادنه^(٤) قطع الفصح وفي سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩ م أعلن عمر بن حفصون النصرانية وتسمى بصمويل، وكذا فعلت زوجته كولومبا^(٥)، وكان أبوه قد قصّر مشد سواك، وتبع ذلك قصّر بعض أتباعه، وعلى رأسهم سعيد بن ناصح بن مستنة في كورة باغة Priego^(٦) ويصفه ابن جيان^(٧) بأنه "صاحب عمر بن حفصون، وتاليه في التمرد واللعة".

وقد أوردت المصادر أسماء بعض قواد حفصون في صيغة عربية مما يجعلنا نصل إلى القول بأنهم كانوا مسلمين (مولدين) ثم تنصروا مثل حفص بن

(١) Dozy: op. cit. p. 363.

(٢) ابن جيان: المقتبس من ٣ ص ٩٧-٩٨.

(٣) التلويح والتلويح بدو الاستناد عند القسوس: ابن منظور: لسان العرب ج ٣ ص ٣٩١٤.

(٤) يوم منسج لاجم فيه ولا في المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١٦.

(٥) Simoes: op. cit. p. 307.

(٦) باعة مدينة بالأندلس من كورة كبيرة بين المغرب والقلعة (الجنوب) منها وفي قتي قرطبة، مشرفة عنها بيزك... وبين باعة وقرطبة خمسون ميلا والقوت: معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢.

(٧) ابن جيان: المقتبس من ٣ ص ٢٧.

المرّة الذي قتل في غزاة سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م^(١)، وابتلى الشهلاء الذي قتل في غزاة سنة ٣٠١هـ/٩١٣م^(٢). كما أوردت أسماء بعضهم في صرخة أعجمية، مما يدل على أنهم كانوا نصاري أصلاً، مثل شربل العجمي الذي قتل في غزاة سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م^(٣) ورنمير 'صاحب حرب' الذي قتله سليمان بن عمر بن حفصون، الذي تلمّره عليه في سنة ٣١١هـ/٩٢٣م^(٤). تبع دخول عمر بن حفصون في النصرانية إنشاءً عديد من الديارات والكلاسيك في المناطق التي يسيطر عليها، وتأسست في بيشتر أسقفية تقلدها جعفر بن مقيم Maximus، ومما يجدر ذكره أن المصادر العربية تشير إلى جنود القولا الذين توجهوا لمحاربة عمر بن حفصون بأنهم مسلمون، أما جنود عمر بن حفصون فتشير إليهم بالنصارى أو النصرانية أو العجم . على أن تنصر عمر بن حفصون، لم يتبعه تنصر سائر المولدين فطالب ابن مولود صاحب حصن القوط Luque^(٥) رفض أن يتنصر ويتزوج ابنة عمر بن حفصون، وإن استمر في خروجه على طاعة للدولة^(٦). كما أن يحيى بن زكريا بن أنطاكيا Anatolijو غلره في جماعة من المسلمين^(٧)

(١) ابن حبان: المقتبس، ص ٢ من ١٠٨ .

(٢) ابن حبان: المقتبس، ص ٨١ .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢ من ١١٥-١٤٦ .

(٤) ابن حبان: المقتبس، ص ٥ من ١٤٠-١٦٨ .

(٥) تمت القوط بالقاء حصن من تواني باجة بالأشلمن بالقوت: معجم البلدان، ج ٨ من ١٧١ .

(٦) ابن حبان: المقتبس، ص ٢ من ١١٥ .

(٧) ابن حبان: المقتبس، ص ٢ من ١٢٨ .

ولم يثبت أن التحق فيما بعد بختمة عبد الرحمن الناصر وشارك في غزوات الدولة بنهش، وأُزيل عبد الرحمن بن عكر بن حفصون عن حصنه طرش Torrox (١) في سن ٣٠٧ هـ (٢) .
ويذهب (٣) دوزي إلى أن عبد الرحمن بن مروان الجلفي انتحل ببليوس نيتا جديداً بين المشرقية والإسلام، وما يذهب إليه غير صحيح، ويقيم من عبارة ابن القوطية (٤) أن ابن مروان مسلم ثار على الدولة، وتحالف مع يساري الشمال ضدها، لكنه لم يثبت أن قارقه بعد أن أسرفوا في قتل المسلمين (٥).

يؤيد حقيقة إسلام الجلفي ما يذكره البكري (٦) من أنه كتب إلى الأمير عبد الله، يطلب معرفته في بناء مسجد ببليوس، فأجاب طلبه وأرسل إليه بعض العمال، ويؤكد الحميري (٧) كلام البكري، ويضيف أنهم قاموا ببناء عدة مساجد إلى جانب هذا المسجد .

-
- (١) طرش بنيم أوله وتشيد ثلثه وحتمه أيضا وآخره شين معجمة، ناحية بالأندلس تشمل على ولاية وقرى ياقوت: معجم البلدان ج ٦ ص ٢١ .
(٢) ابن حبان: المقتبس، ص ٥ ص ١٥٥، مدونة تاريخية مجهولة المؤلف، تحقيق فؤاد بروفانس، غرسة غومس، مدريد، غرناطة ١٩٥٠ م ص ١٢.
(٣) op. cit. p.312., Lusa; op. cit. vol.I, p.50
(٤) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٩، وانظر أيضا ابن حبان: المقتبس، ص ٢ ص ١٥.
(٥) المصدر السابق، ص ٢ ص ٣٩٥-٣٩٧ .
(٦) جغرافية الأندلس ولوزيان، ص ١٢١-١٢٣ .
(٧) الرومات المعطار، ص ٤٦ .

٣ - موقف الدولة من ثورة النصارى المعاصرين :

كان موقف الدولة تجاه نقض النصارى عهد الذمة^(١) يتراوح بين الشدة واللين، فيما يتعلق بحركة عمر بن حفصون، وغيره من زعماء الفتنة، سمحت إلى القضاء على ممتلكات حياتهم، وقتل الأسرى الذين لا يستلمون قبل أن تقتله المعركة، ولما أسر القرلي العجيمي أبو نصر في سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م - وكان قد اغتال كثيراً من المسلمين - أتي به إلى باب المدنة بقرطبة، وأمر الناصر بصلبه في مشهد حافل من الناس^(٢)، وبعد افتتاح مدينة بيشتر - معقل الفتنة - زارها الناصر في سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، وأمر بتشييد قبر عمر بن حفصون، وأتى بعظامه إلى قرطبة، فرفعت على باب المدنة في أعلى الجذوع، إلى جانب ولده المصلوب قبله سليمان^(٣).

على أن الدولة - من ناحية - أخرى - كانت تميل إلى معاملة المستسلمين من الثوار باللين، بل تمتنعهم بعض المصلين، فلما استسلم عبد الرحمن بن حفصون في سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م وسلم حصن طرشي، وقدم إلى قرطبة وسمع عليه الناصر^(٤)، كما أن جعفر - آخر الحفصونيين - صار من خاصته واصطاحبه في حروبه ضد مملكة ليون^(٥).

لم يقتصر الأمر على قادة الثور، بل تمداه إلى جلودها أنفسهم فعندما

(١) راجع آراء الفقهاء في هذا الشأن في القرطبي: الجوامع، ج ١، ص ١١٤، لقرلي: القروق، ج ٢، ص ١٩، ونظر أيضاً البارودي: الأحكام السلطانية، ص ١٦٥.
(٢) فن حيان: المقتبس، ص ٥، ص ٢٠٢.
(٣) القصور لنفسه، ص ٥، ص ٥٢٢، ص ٥٢٢٢، مدونة مجهزة، ص ٧٦-٧٧.
(٤) فن حيان: المقتبس، ص ٥، ص ١٥٤-١٥٥، مدونة مجهزة، ص ٦٢.
(٥) القصور لنفسه، ص ٧٥، فن الخطيب: أصل الأعلام، ص ٣٤.

استعداد الناصر حصن طرش في سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢م^(١)، طلب أهله الأمان فأمّنهم، وأحق بعضهم في ديوان الجند، كما عمل أهل حصن منت روى في العام التالي بالمعاملة نفسها^(٢).

كذلك سمحت الدولة للمسلمين من التتصلي للمعادين، أن يصطحبوا عدد نزولهم قرطبة، من شيوخهم من الأرقاء المسلمين، حتى ولو كانوا أحرارا في الأصل، وهو أمر كان يعارضه بعض الفقهاء.

ولما استجارت امرأة حرة مسلمة، كانت عند أعمسى لنزول من بعض الحصون المخالفة بالقاضي أسلم بن عبيد العزيز، أظهر ميله إلى إصنافها، غير أن الحاجب بدر بن الحمض أرسل إليه كتابا، يطلب فيه رد المرأة إلى الأعمسى، لكنه أسر على رأيه بإطلاق المرأة، وكان - كما يذكر القشتلي -^(٣) "سارما صليبا، لا عودة هذه الخاتم، ولا مداولة مع ميطل".

كما كانت الدولة - في الوقت نفسه - تنسرب بين ابن حفصون وبين خلقه وبدا لنحل الخلف بينه وبين ابن حجاج صاحب الشربلية.

٤ - ثورة عمر بن حفصون :

لقد ثارت ثورة عمر بن حفصون اهتماما خاصا من المؤرخين للفرتنج^(٤)، وعدّها بعضهم ثورة ديمية وطنية ضد غزاة، عملوا على استعباد الشعب

(١) وكان الحفصونيون قد عاودوا الاستيلاء عليه .

(٢) ابن حيان: المتكسب، ص ١٧٣، ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) قصيدة قرطبة، ص ١٠٧، وقد أورد دوزي هذه القصيدة، ويستدل منها على

ضامح الناصر، op. cit. pp. 390-391، كما يأتي بها سيوليت op. cit. 583.

(٤) بفصل كرندي - وقد أقت كتابه في سنة ١٨٢٠م - مقتضات عديدة لهذه الثورة ومع أنه اعتمد - كما يذكر - على مصادر عربية فإن روايته غير دقيقة، وتقتلص فيها أحداث ثورة ابن حفصون في الجنوب، بأحداث ثورة بني هاشم في الفتر الأعلى، ومسلم =

الإسباني. وهذا الإدعاء يجانبه التصواب، لأن هذه الثورة، نتجت عن أسباب ثلاثة لا تعود في أصولها إلى قيام الدولة الإسلامية، وكانت شخصية عمر بن حفصون عتسراً هاماً في إنتمائها، وحدثت وفاته بدايةً لنهاية لها.

يلقب عمر بن حفصون إلى أسرة من أصل قوطي، ويروي ابن عذاري^(١) - عن ابن حبان - نسب، فيقول هو عمر بن حفص (المعروف بحفصون) بن عمر بن جعفر بن شليم بن ذبيان (أولميدان) بن قرطوبس بن أوفونس، من مسالمة أهل الأندلس، ويذكر سيمونيت^(٢) أن جده الأعلى - أوفونس Aclefonso - نبيل قوطي، لقيه العرب بالفوس، وقتل ابنه نصارى ثلاثة أجيال، وفي عهد الحكم الأول أسلم ابن شليم Septimio ودعا نفسه بجعفر، وعلى ذلك عرف بجعفر الإسلامي^(٣)، وكانت ذريته تدعى بالإسباني، لكنهم كانوا يسمون اللصونية .

تذكر الرواية العربية أن عمراً تشا سى الخلق، ثم عبر البحر إلى المغرب، وأقام بتيهت فترة، لكنه ما لبث أن عاد إلى الأندلس في سنة ٢٧٦هـ / ٨٨٠ - ٨٨١ (٤) .

محدثه يتركز على ولده ويذكره بقالب Calat، وليس لعمر ولد بهذا الاسم، ويجعل سرح الأحداث يتراوح بين تركسطة وطليطلة وبريشتر، وغيرها من مناطق القنوب وهو غير صحيح، ويبدأ الأحداث الرواية إلى أواخر عصر عد ترجمن القصص، وهو أيضاً غير صحيح، ثم هو يقطع هذه الأحداث لجاء راجع

History of the Dominion of the Arabs in Spain. p. 304 ff.

(١) قبيل المغرب، ج ٢ ص ١٠٦، وانظر أيضاً ابن خلدون: المغر، ج ١ ص ١٢٤

(٢) op. cit. p. 513

(٣) ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص ٣١

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٣-١٠٤، ابن حبان: المغر، ص ١٢٤

ص ٤٠٠

كانت كورة ريه Rejo وقدذاك تضطرم بالثورة ضد الحكومة بسبب
تسبف عاملها في مطالية أهلها ببقايا الفراج، فالتهم عمر القرصة واستمالهم
إليه، وارتحل ببعضهم إلى جبل بيشتر^(١) Bobastro واستقر بحصن روماني
قديم، يقع على مقربة من السهل الكبير الذي يمتد حتى مدينة قرطبة^(٢) .
وتشير المصادر العربية في غير موضع إلى مناعة هذا الحصن^(٣)، وقد
زاره بعد فترة طويلة ابن سعيد^(٤) الذي قال عنه أن من أقام فيه لا يخشى إلا
من الأجل .

لما قتل عمال الدولة في مواجهة عمر بن حفصون، توجه إليه الوزير
هاشم بن عبد العزيز في سنة ٨٢٧٠هـ / ٨٨٢، ونجح في إزالته من الحصن،
وقدم به إلى قرطبة، وعفا عنه الأمير محمد، لما رأى من شجاعته وبسالته،
والحقه بحاشيته، وأرسله مع ولده المتذر في محاربة بني قنق في الثغر
الأعلى، وبعد عودة عمر إلى الحضرة، عومل معاملة سيئة من صاحب
المدينة، وهو محمد بن وليد بن غلام، فغادر سرا إلى بيشتر وعاد
للمصيان^(٥) .

أرسل الأمير قوة بقيادة ولده المنذر، فحاصر عمرا في مدينة الجملة
Alhama، لكنه اضطر إلى رفع الحصار، عندما علم بموت أبيه في سنة
٨٢٧٢هـ / ٨٨٦م، فخرج عمر من المدينة، وبسط سيطرته على كورة ريه كلها،

(١) المصدر السابق ص ٢ من ٢٩٢-٢٩٥

(2) Dozy: op. cit. p.318.

(٣) الإفرنجي: صفة المغرب ص ٢٠٤، الحميري: الفروض المصطلح ص ٢٧.

(٤) المغرب ج ١ ص ٥٣ تر ٤

(٥) ابن قزطبة : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٠٤ - ١٠٥، ابن عذاري: البيان

لمغرب ج ٢ ص ١٠٥ .

ودلت له حصونها، وأثار في الأهلين من مولدين ومجاهدين روح المعصية ضد العرب^(١) .

وفي سنة ٢٤٧هـ/ ٨٨٧ خرج الأمير المتذر إلى ابن حفصون وفتح عددا من حصونه، ثم أعاد الكرة عليه في العام التالي حتى أجهده فأظهر ميله إلى الطاعة، لكنه نكث فعاد الأمير حصاره، وفي هذه الأثناء مرض المتذر، وما لبث أن توفي، وخلفه أخوه عبد الله الذي أنقل إلى قرطبة، مصطحبا معه رفات المتذر^(٢) .

يرتبط عيد الأمير عبد الله بزيادة خطر القشة، فقد عم الانقراض بلاد الأندلس ، حتى أن سلطان الدولة ، لم يكن يتجاوز قرطبة والحوزة بها يقول ابن الخطيب^(٣) "تصورت إليه قتلا"^(٤) ، وقد تحيف النكث لغيره بها واقتسمها الثوار ، وكلب عليها الأشرار ولم يسبق منها إلا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة والقتيل من غيرها، وساعت الظنون، ولم يتر عيد القشة إلى أن يصرف وجهه^(٥) .

وجه الأمير عبد الله إهتمامه إلى إخماد حركة ابن حفصون الذي لم يكتف بكونه ربه -بما جاورها-، إنما كان هدفه أن يتخذ قرطبة ويقطع على دولة بني مروان ، ومن أجل ذلك سعى إلى جانيبه الثوار المولدين في كور ربه وإثيرة وجيان ، واتصل بنصارى قرطبة المجاهدين ، وأثارة

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٠٦ ، ١٠٤ ، ١١٥ .

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٣ ص ٢٠٧ ، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢

ص ١١٦-١١٧ .

(٣) أصل الإعلام ص ٢٠ ، وانظر أيضا ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ١٢١ .

(٤) الصحيح الإمارة وإثارة قتال الخلافة ص ٦٠ .

قومسها شريك بن حجاج، الذي استعان به في العبث بأرياض المدينة^(١) .
 وبلغ من خطورة ابن حصون أنه سعى إلى الإتصال بالخلافة العباسية
 عن طريق إبراهيم بن أحمد بن الأظلم (٢٦٦هـ/٨٧٥م - ٢٨٩هـ/٩٠٢م)
 أمير القريفة ، رغبة في أن يضفي على ثورته طابع الشرعية^(٢) ، بيد أن
 اضطراب الأمور بالريفية شغل الأغلبية عن ثلابة رغبة ابن حصون^(٣).
 أما عن موقفه الأمر عبد الله، فإنه أعد عدته للتصدي لابن حصون
 فاتبع سياسة تطوى على الشوكة إلى أهل قرطبة وتولجها، فاستقطب بعض
 الضراب عنهم، كما عمل على تحسين حال الفقراء والعامة^(٤)، وأظهر ميله
 إلى العرب ، وأقر سعيد بن جردى على كورة إبيرة ، وقمع ثورة المولدين
 بالمرابية، وخاضت المدينة لإبراهيم بن حجاج، وهو من العرب اللاتين .
 وفي المنفوات الأولى لولاية الأمير عبد الله دارت بينه وبين
 عمر بن حفصون عدة مناقشات ، تبادل الاكاذن خالفها مدينة إستجة^(٥)
 لهامة^(٦) ، التي تعد مفتاح العاصمة، وجعل الأمير معسكره في شقته جنوبى
 قرطبة ، واستطاع لسحاب ابن حفصون أن يصلوا إليها ، وحرقوا خيمته
 بها^(٧) . ويطلق موزى^(٨) على ذلك ، بأنه كان من الممكن أن تسقط قرطبة

(١) ابن حيان: المقتبس، ص ٣ ص ٩٢ .

(2) Druzy: op. cit. pp. 356-357 .

(٣) ابن حيان: المقتبس ص ٣ ص ٩٢ ، الحموي: نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٣٩٥ .

(٤) ابن حيان: المقتبس ص ٣ ص ٩٣-٩٥ .

(٥) بين قتيلة والغرب من قرطبة ، بينهما مرحلة كاملة، وهي مدينة كتيبة

الحموي: فروع المعطر ص ١٤ ، وانتظر أيضا: يقرت: معجم البلدان ج ١ ص ٧٧٤ .

(٦) ابن حيان: المقتبس، ص ٣ ص ٥٠-٥١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٨ .

(٧) أخبار مجرحة، ص ١٥١، ابن حيان: المقتبس، ص ٣ ص ٩٢-٩٤ .

(8) op. cit. p. 355 .

في أيدي الثوار ، لأن النصارى لم يكونوا قد نسوا بعد شهادتهم القتين قتلهم قبل أربعين سنة .

وقعت المعركة الأساسية عند حصن بلّاي (1) في ٢ صفر سنة ٢٧٨هـ / ١٦ مايو ٨٩٠ م ، وكان أحمد بن محمد بن أبي عبيد يقود جنود الأندلس الذين بلغ عددهم ثمانية عشر ألفاً ، بينما كان مع ابن حفصون ثلاثون ألفاً ، وانفردت المعركة عن هزيمة لثائر ، وقرّأه إلى حصن بلّاي ، لكنه وجد معظم أصحابه قد انفتروا عنه ، ففارق الحصن والسحب جنوباً ، فالتصمه المسلمون ، وقتلوا عدداً كبيراً من أمّته ، ثم قصد الأمير استرجة واستردها ، وطارد ابن حفصون إلى مقله بيشتر ، ثم عاد إلى قرطبة وفي عودته تعاقب ابن حفصون مؤخرة جيشه ، لكن الأمير أحبط خطته وقتل عدداً من أصحابه(٢) .

تجلى الطابع الديني لثورة عمر بن حفصون في معركة بلّاي ، فكان معه قسيسون يحرطون جنوده ، كما كان مع الأمير عبد الله فريق من الفقهاء الأجلاء ، مثل عبيد الله بن يحيى بن يحيى ، وعندما هرب ابن حفصون من حصن بلّاي تعلق بيرثون هجرن بعض نصارى أصحابه ولما اقتحم المسلمون الحصن قتلوا من في أيديهم من أسرى نصارى(٣) .

ومع ما كان لمعركة بلّاي من أثر طيب في نفوس المسلمين ، إلا أنها لم تمنع لثائر من المعادة هذه المطوات ، وواصل المسلمون توجيه صواففهم إليه ،

(١) زمن حصن بلّاي إلى مدينة قرطبة ٢٠ ميلاً الأندلسي : سنة التقريب من

٢٠٦ ويدهم اليوم Simonet : op.cit. p. 554 Aguilar de la Frontera

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص ٢٠٧ ، ابن عذاري : البيان المغرب ج٢

ص ١٢٢ .

(٣) ابن حبان : المقتبس ص ٣ ص ٩٥-٩٦ .

وذلك القرينان يتحاربان دون نتيجة حاسمة. ومن مظاهر هذا النضال أن هجم المسلمون في صلالة سنة ٢٨٠هـ / ٨٣٩م كنيسة كان والد عمر بن حفصون قد بناها على مقربة من بيشر، كما قتلوا حفص بن المرة النصراني أحد كبار أعرافه^(١).

عمد ابن حفصون إلى تثبيت البلاد على الأمير عبد الله، فاتجه في سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م إلى التحالف مع بني قسي أصحاب الثغر الأعلى، واتفق مع محمد بن لب القسوي على الاجتماع في بعض أطراف جيان، لكن الحرب التي نشبت بين ابن لب وبين أبي عبد الرحمن التجيني جعلته يرسل ولده ليا بدلا منه، ولما بلغ هذا الأخير موت أبيه على أبواب طليطلة لثر العودة من حيث أتى^(٢).

لم يمتنع عام واحد، حتى طرأ تطور على الصراع بين الحكومة الإسلامية في الأندلس وبين عمر بن حفصون. يقول ابن جيان^(٣) فيها أظهر للعين عمر بن حفصون لتصراعية، وباطن العجم نصارى الثمة، واستخلصهم^(٤) بالكثمة، وأيدهم وقنطهم، وتخصب على التسلتين، وأنساء الظن بهم^(٥). بعد أن أعلن ابن حفصون تنصيره التسل يملك ليون كما اتصل بالآدارسة بالمغرب الأقصى^(٦)، وخطب لإبراهيم بن الفاسم بن إدريس صاحبه

(١) المصدر نفسه من ٣ من ١٠٨-١٠٩.

(٢) المصدر نفسه من ٣ من ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه من ٣ من ١٢٨.

(٤) أي اختطهم - ابن منظور : شأن الفريد من ٢ من ١٢٢٧.

(٥) تأسست دولة الآدارسة على يد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م. ورائت في سنة ٣٦٤هـ / ٩٤٧م، ويرجع أن ابن حفصون اتصل بالآدارسة عندما يش من عن الخلافة العباسية له.

البصرة^(١) ، على أن العون الحقيقي جاءه من إشبيلية .

كان إبراهيم بن حجاج قد استطاع أن يستقل بإشبيلية^(٢) ، وساعت
علاقته بالأمير عبد الله ، لأنه رفض أن يطلق سراح ولده الذي أخذ رهينة ،
كما أن ابن حصون من ناحية وجد في التحالف مع ابن حجاج سيلا ، لأن
بعد ثقة المسلمين به^(٣) ، غير أن الهزيمة التي حلت بالحلبيين في العسام
التالي، وانطلاق الأمير عبد الله ولد ابن حجاج لهذا التحالف^(٤) .

كذلك صنت الدولة إلى توجيه جهودها في السنوات التالية إلى الثوار
الذين حالفوا ابن حصون ، وارتدوا إلى التصراعية ، مثل سعيد بن مستنة
وسعيد بن هذيل، وسعت في الوقت نفسه إلى استعادة ما فقدته من قنود في
مناطق أخرى من الأندلس مثل سرقسطة^(٥) .

عندما صعد نجم القاطميين في بلاد المغرب وبحث نذر الصراع بينهم
وبين الأمويين في الأندلس اتجه ابن حصون إليهم، لمتيد العون له فصارت

(١) ابن حزم: نقل العروس، ص ٧٥ تر البصرة أيضا بلد في المغرب في قصص
قرب الموم خربت يلقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٢) بعد قمع ثورة المرابطين بإشبيلية، قسم المنطقة بها إبراهيم بن حجاج وكريش
بن خلدون، مع الاعتراف بقطاعة للأمير عبد الله، على أن ابن حجاج قتل كريش وابن
أخيه خالد، وانفرد بحكم المدينة في سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م، ولم يلبث أن ضم إليها قرمونة.
انظر المأثور: لموس عن الأندلس ص ١٠٠-١٠٤، ابن خلدون: العبر، ج ٧ ص
٣١٨ .

(3) Dory: op. p. 375.

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٠-١٢١، ابن حبان: التقيس ص ٣

ص ١٢٩-١٣٠ .

(٥) راجع هذه التفصيلات في ابن حبان: التقيس، ص ٢ ص ١٢٩-١٣٢ .

بحر سقطهم من العتوة إليه ، الأمر الذي دفع عبد الرحمن الناصر في سنة ٩١٤هـ/٣٠١م إلى الترميد لها ، وأحرق عدد منها ، كما شحن مراكبه بالأسلحة والعدد والنفط ، وجعلها تتجول قرب الساحل ، لمراقبة ما يأتي من البحر الآخر^(١) .

قد عاد عبد الرحمن الثالث في أعقاب ولايته سنة ٩١٢هـ/٣٠٠م حملة لمحاربة عمر به حصون ، توجه بها إلى كورة إلبيرة ، واستولى على نحو سبعين حصناً من حصونه وحصون أسجابه^(٢) . وسار في العام التالي إلى كورة زية ، والتقى بأبن حصون قرب ملرش ، وهزمه وجعل في أنحاء الجزيرة الخضراء وشذونة وفرمونة^(٢) .

وفي سنة ٩١٥هـ/٣٠٢م حدثت مجاعة بالأنطلس ، جعلت الأمير يرجئ الغزو إلى العام التالي ، لكنه قبل أن يتخذ أميته ، كان ابن حصون قد أظهر ميلاً إلى السلم ، فأرسل إلى عبد الرحمن يتردد إليه ويذكره بصنيعه مع أبيه محمد ، حين خرج على جده الأمير عبد الله فأواه وأكرمه^(٤) ، وتدخل في الوساطة عدد من الصنفاء ابن حصون من الوزراء ، مثل يحيى بن اسحق الطيب . وهو من أصل نصراني . والحاجب بدر بن أحمد ، كما تدخل في

(١) قرأ في ابن حيان: المقتبس من ٢ ص ٨٧-٨٨ .

(٢) ابن حيان: المقتبس من ٥ ص ٦٠-٦٧ ، مئونة مجهولة ص ٣٧-٣٨ .

(٣) ابن حيان : المقتبس من ٥ ص ٨٥ - ٩٣ ، مئونة مجهولة ص ٤٢-٤٣ .

(٤) كان محمد لقر لبناء الأمير عبد الله ، وقع صراع بينه وبين أخيه المشرقي على ولاية العهد ، ثم أوجس خيفة من أبيه وغرب إلى ابن حصون ثم عفا عنه لوفاء ، لكنه لم يلبث أن قتله بتخريص من المشرقي في سنة ٩١٩هـ/٢٧٧م على أن الأمير عبد الله يتم على قتله تلك وقتل المشرقي في سنة ٩٢٢هـ/٢٨٠م وجعل عبد الرحمن بن محمد والى بعده ، فقرر ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٥٦ وما بعدها .

الوسيلة أيضا عدد من رجال ابن حفصون مثل جعفر بن مقسم أسقف بيشتر،
وتم عقد الصلح ، وبلغ عدد الحصون التي دخلت في أمان ابن حفصون مائة
والثين وستين حصنا^(١) .

هيات فرسة السلم لعبد الرحمن الثالث ، أن يواصل توجيه الفتح وفتح
النصارى الشمال، كما أخذ حركات بعض الثوار . وقد وفي ابن حفصون لأول
مرة بعهده ، فلما نقض والده سليمان شروط الصلح في العام التالي، واستولى
على كنيسة *Sancti Martini*، حاربه والده، ورد الحصن إلى الأخير عبد الرحمن، وعندما
عاد سليمان الفتح واسترد الحصن، حاربه في حوزة بخاصة حتى أصيب
بمرض، فعاد إلى بيشتر حيث توفي في شعبان ٣٠٥هـ / يناير ٩١٨م^(٢).
كان عمر بن حفصون قد اشتد عليه المرض في أيامه الأخيرة، وصار
يختلى إلى نفسه بكنيسة بيشتر المنعقدة، ومات نصرانيا، ودفن تبعا لطقوس
أجداده^(٣).

(١) ابن حيان : المقنن، ص ١١٣-١١٦ .

(٢) ابن حيان: المقنن، ص ١٢٠-١٢١ .

(٣) Lévi - Provençal: op. cit. II p. 15.

وينظر الإنسان إلى عمر بن حفصون، على أنه أول بطل قومي منذ هروب الفرس
Viriathus الذي قاد ثورة لتحرير بلاده من الرومان، ويطلقون عليه حوسيه مازيا لقرون
تاسع ، وهو بطل إسباني نوح الجيوش الفرنسية إبان الحرب النيبونية Dozyop. cit.
pp. 320, 302 ويذهب سمونيت فيزغم أنه تحول من زعيم عشيرة *Katono* إلى زعيم
لغة *Sancti Martini* op. cit. ٥١٦ وما يذهب إليه هؤلاء غير صحيح، وكان ابن حفصون يسم
النصارى، ثم جبر بها بعد أن فرغ أسره، وأسرف في عذابه للمسلمين، وطلب الطابع
النيبوني على ثورته، بعد أن انحاز إليه النصارى المعادين، وصاروا أعداء قدامى عددا
وسعى إلى إعادة إسبانيا إلى حظيرة النصارى ومترد المسلمين منها .

لجيب عمر بن حفصون أربعة من اليثين هم جعفر وسليمان وعبد الرحمن وحفص، ويثنا هي أرغنتا (Argentea)^(١) فأقام جعفر في بيشتر، وسليمان في لينة وعبد الرحمن في طرش. وبعد شهر استرد الأمير أيدق، وأسر سليمان وجاء به إلى قرطبة، فجعله في رجليه^(٢)، أما عبد الرحمن الذي كان على خلاف مع أخيه سليمان، فقد راسل الأمير عبد الرحمن يستأمنه ومن معه، فأجابوه ولحقوا بالحضرة، وصار فيما بعد وراثا^(٣).

ثم بك جعفر بخلف أياه، حتى أعلن العصيان، وعزل ابن مقسم أسقف بيشتر، وأبعده إلى أحد النيارات. وتذهب بعض الروايات إلى أن جعفر كان يصر الإسلام، وعلى هذا فقد تأمر عليه أصحابه بزعامة قلده زنمير، وقتلوه في سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م. ومن المحتمل أن تكون لأخيه سليمان المقيم بقرطبة يد في اغتياله، لأن القلة المذكورة فخرج من المدينة مستخفيا، واتخذ مكان أخيه، وأظهر الطاعة في البداية، ولم يلبث أن نكث واستولى على طرش^(٤). وجه الأمير عبد الرحمن جيشه لمحاربة سليمان بن حفصون بيشتر في سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢م واسترد طرش وغيرها من الحصون الهامة كما أُنزل بني سعيد بن ممثلة من حصونهم في كورة يافة^(٥).

عاد عبد الرحمن الثالث للتصديق على سليمان، فسير إليه في عام ٣١٤هـ/٩٢٦م عبد الحميد بن بسيل الذي ظفر به خارج بيشتر، وقتل وصلب

(١) أي الفضة ويختل الفل الإسماني Argentea بفضن .

(٢) ابن حبان: المقتبس ص ٥ من ١٤٠-١٤١ .

(٣) مدونة مجهولة ص ٦٢، ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢ ص ١٧٥ .

(٤) ابن حبان: المقتبس ص ٥ من ١٤٠، ١٦٨-١٦٩، مدونة مجهولة ص ٦١-٦٥.

(٥) ابن حبان: المقتبس ص ٥ من ١٧٢، مدونة مجهولة ص ٦٧-٧٧.

على خشبة عالية على باب المدنة^(١)، ومما يجدر ذكره أن ليلته كانت تعالي من القحط في هذا العام، ثم نزل الغيث، يوم رفع جثة سليمان بن عمر بن حفصون، فقال أحد الشعراء^(٢) :

سماء يمور^(٣) الفيث منها ونيسة^(٤) سماء العدى تسمى^(٥) به وتصور
غيثان لينا ولكنان من الحيسا ولكن ذا رجس وذلك طهور
وذلك نجيع ليس يقبله الثرى وذا تاجع يسرى به ويقور
تدسست الدنيا به فتطهرت يمشون لها من رجسه وظهور

خلف حفص أضاء سليمان في بيشتر، وفي ربيع الأول سنة ٣١٥هـ/ مايو ٩٢٧م سار الأمير بنفسه، ومعه ولده الحكيم، وشدد الحصار على المدينة، وبني حصناً تجاهها، جعل عليه سعيد بن المنذر القرشي، وجال بين الحصون المجاورة، ثم عاد إلى قرطبة^(٦) .

ضاق حفص بالحصار، وكتب إلى عبد الرحمن يستأمنه، على أن يخرج من الجبل، فوافق واقتحم المسلمون المدينة في ٢٣ ذي القعدة سنة ٣١٥هـ/ ١٧ يناير ٩٢٨م، ولما قدم حفص إلى قرطبة، صفح عنه الأسير وصغره في حاشيته^(٧)، ثم أرسل إلى الطار الأندلس كتاباً بالفتح أمر بقرأته في الجوامع^(٨).

(١) ابن حبان: المقتبس، ص ٥ من ٩٠٤-٩٠٥، مكتبة مجهرية، ص ٧٣.

(٢) ابن حبان: المقتبس، ص ٥ من ٢٠٥-٢٠٦ .

(٣) سال وجري: ابن منظور: لسان العرب، ج ٦ من ١٢٩٧-١٢٩٩.

(٤) سطر يكون مع سكون: ابن منظور: لسان العرب، ج ٢ من ١٤٥٧ .

(٥) سال وجري: ابن منظور: لسان العرب، ج ٦ من ١٧٠٥ .

(٦) ابن حبان: المقتبس، ص ٥ من ٢٠٩-٢١٢ .

(٧) المصدر السابق، ص ٥ من ٢١٢-٢١٣، مكتبة مجهرية، ص ٧٣-٧٥ .

(٨) ابن حبان: المقتبس، ص ٥ من ٢٢٦-٢٣١ .

وفي ١٩ محرم سنة ٣١٦هـ/١١ مارس ٩٢٨م زار الخليفة الناصر لدين الله، ويصحبه ولده الحكم ببشر، وعمل على إزالة آثار الثورة بها، ودخل مسجدها القديم المهجور، وصلى فيه، وأمر بإقامة الصلوات به، كما هدم الكنائس التي كان ابن حفصون قد أنشأها، وأتى بعلمه من قبره لترفع إلى جانب أشلاء سايمان على باب السدة^(١).

لما أُرختها لجة عمر بن حفصون، التي تربيت في حياة أبيها، وأقامت في دير أشباح داخل ببشر فقد نالت نفسها إلى الاستبداد، فاستقرت المملكات، وفعلت ما سبق أن فعلته الزوراء ومارية ونيوكرييا، فأخذت في ١٣ مايو سنة ٩٣١م وبُنيت في كنيسة القديسين الثلاثة Iglesia de los tres Santos بقرطبة، ورسمها النصارى قديمة^(٢).

(١) لقصص نفسه من ص ٢١٥ - ٢١٦.

(2) Simón: op. cit, pp. 295-298.

1

2

الفصل العاشر

نصارى الأندلس والصراع بين المسلمين وبين ممالك إسبانيا النصرانية

شارك عدد من النصارى في الشمال الذى حدث بين المسلمين وبين
نصارى الشمال، واتخذوا جانب اخوانهم فى الدين، الأمر الذى يعد نقضا
لحد التامة .

ومن الثالث أن فريقا من النصارى المعادين هاجروا من الأندلس إلى
ممالك الشمال النصرانية، ويروى بعض المؤرخين أن مسبب هذه الهجرات
يرجع إلى ما تعرض له النصارى من صيف المسلمين واضطهادهم، وهذا
الزعم لا يبدى الأحداث، فالتين هاجروا في أعقاب الفتح عاد معتلهم بعد أن
بذلوا إلى تسلح المسلمين وعد لهم⁽¹⁾.

وإذا كان فريق آخر من النصارى المعادين هاجروا في عصور ثلثة فإلهم
أرادوا أن يلتحقوا بأرض يسكنها نصارى، ويخضعون لحكم غير إسلامى،
ويؤكد هذا أن هجراتهم كانت قديمة بإشياء الأكر، بحيث يمكننا أن نقرر أن
معظم الأندلس التى بنيت فى إسبانيا النصرانية، يعود النشئل فى نشأتها إلى
قوم قدموا من الأندلس⁽²⁾ .

(1) Lévi - provençal: op. cit. vol. I p. 47

(2) Altamira: A history of Spain, p. 138.

من هذه الأديرة ديسر ساهاجيون Sahagún ودير سان ميغيل دي إسكالادا San Miguel de Escalada ودير مسان مارين دي كاستيليدا San Martín de Castañeda، وتشاهد في الوثائق الليونية وللشغالية أسماء كهنة مثل ملك وهشام وحلال^(١) .

ومن العوامل التي جعلت المعادين على الهجرة في بعض الأحيان إلى ممالك الشمال النصرانية، تبأمرهم ضد الدولة الإسلامية، واضطروا هم إلى الفرار بعد احباط مؤامراتهم، فبان احتدام الفتنة الكبرى، هاجر عدد منهم^(٢) . كما كان لتشجيع الملوك النصراني لهم أثر كبير في حفزهم على القدوم إليهم، ليستفيدوا من مستواهم الحضاري المرتفع، في تعمير الأراضي التي استولوا عليها من المسلمين، والتي كان قد حل بها الخراب . وكان النصراني المهاجرون يحصلون على إراءات من الملوك تتضمن حق الجيزة، والسير وفق أعرافهم وقوانينهم، وعدم التبعية لأحد سوى الملك نفسه^(٣) .

قام هؤلاء المستعمرون^(٤) بدور هام في الصراع بين المسلمين وبين نصاري الشمال ، فكانوا يشاركون في هذا الصراع على نحو مباشر متعلما حدث في سنة ٩٣٠هـ/٩٤٦م عندما غدر رشمير الثاني، ٩٣٠-٩٥١م ملك ليون

(١) Lévi - gróvengat: op. cit vol III pp. 216 - 217 .

(2) Livermore:op. cit. p. 327 .

(٣) تتردد أسماء هؤلاء المعادين في السفارات التي ترجعت من مملكة الشمال النصرانية إلى الأندلس في عصر الخلافة، ابن حبان: المحققين، ص ٤٦٥ - ٤٦٧، ١٧٥-١٧٧، قلعة الحكم المستنصر ص ٢٤١-٢٤٢ .

(٤) وهو الاسم الذي كان يطلق على المعادين المهاجرين في إسبانيا النصرانية .

بالمسلمين، واجتمع مع صهره غرسية بن شاذلة ٩٢٦-٩٧٠ صاحب بلبونة، وقصداً لمدينة Tudela^(١)، دارت حرب عظيمة، استشهد فيها عدد من المسلمين ثم رد الله الكرة للمسلمين عليهم، فانهزموا وقتل منهم أبو المنذر قوس غوماج^(٢) San Esteban de Gormaz.

كذلك كان يستعان بالمستعربين في بناء المعاقل والمدن الحصينة في مناطق التقوم، مثل مدينة سمورة، التي أنشأها ألفونس الثالث في سنة ٩٨٠هـ/٩٩٣م، واتخذت مركزاً هاماً للتصدي للمسلمين، مما دفع أحد أبناء البيت الأموي، وهو أحمد بن معاوية بن هشام بن معاوية بن هشام الرضوي المعروف بأبن القنفذ لأن يحشد بعض المتطوعة، لمعاينته في الإستيلاء عليها سنة ٩٨٨هـ/٩٠١م، لكن محاولته فشلت وهزم، واحتجزت رأسه وعلقت على بابها^(٣). ودارت قرب أسوارها معركة الخندق المشهورة، التي هزم فيها عبد الرحمن التماسر، وكاد يفقد حياته ولم يتمكن المسلمون من اقتحام هذه المدينة، حتى فتحها المتصور بن أبي عامر في سنة ٩٧٨هـ/٩٨٨م، ودعا المسلمين إلى استيلائها في سنة ٩٩٩هـ/١٠٠٤.

(١) "مدينة بالانلس في جولي وثقة وبين الجوف والشرق من مدينة مرسطة، وإطراف بجانات قليلة نهر كاثي، وهي من أكرم تلك القصور قرية الحميري : قروص المعطار من ٦٤. وتطار أرضاء بقوت: معتم قبليان ج٢ من ٣٩٢ .

(٢) ابن حبان: المعقبين من ٥ من ٤٨٤. أثبتين حصن بالانلس على يسار الطريق تحت لاسل جبل ممتنع لأيدركه لمقاتل ملحق بنى عليه بعض الملوك حصونا كثيرة الحميري: قروص المعطار من ٩٢ .

(٣) ابن حبان: المعقبين من ١٣٣-١٣٧ .

(٤) ابن خلدون: العبر ج٤ من ٦٨١ .

وإلى جانب المعاهدين المهاجرين، فإن عدداً من المعاهدين المقيمين بالأكثس، دخلوا في الصراع الدائر مع نصارى الشمال، فأعلنوا شارلمان^(١) في حملته على الأندلس^(٢) وبعد فشل الحملة، أجبرهم المسلمون على الهجرة، حيث عولت جاليهم معاملة سيئة على أيدي اخوانهم نصارى الشمال^(٣)، وإبان الصراع بين المسلمين والفرنجة، بعد إنشاءه اثني عشر الإسباني (أو القوطي) في سنة ١٨٥هـ/٨٠١م^(٤) جرى اتصال بين نصارى ماردة وبين لويس الثاني^(٥) Ludovico pio ابن شارلمان (٨١٤-٨٤٠م) فأرسل لويس إليهم

- (١) ويعرف في الحوادث العربية بقاؤه وهو تعريب لاسم اللاتيني *Carinus* .
(٢) شتير شارلمان فرصة خروج بعض المسلمين بالشعر الأعلى على عبد الرحمن الداخل، ليستطاعه عليها، فقام بحملته الشهيرة في سنة ١٦١هـ/٧٧٨م ، لكن هذه الحملة تمثرت على أبواب مرسطة، فارك شارلمان بجيشه عائداً إلى بلاده، وفي جوفته تلك المسلمون والبيشكن يؤخروه في شعب رونسفال Roncesvalles بجبال بيرت ويكرند صدى هذه المعركة في أغنية رولان *Chanson de Roland* التي دأج صيتها في زمن الحروب الصليبية، انظر . عيلة كحيلة: صقر قريش. الفصل السابع .
(٣) ويؤد تاريخ هزولك العرب: ص ١٢٢، توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٥٩ .
(٤) لم تعداً لشماخ لفرنجة في بلاد الأندلس، بعد فشل حملة شارلمان، وعاونوا التحالف مع القوار المسلمين، ومنهم بعض أفراد الأسرة الأموية كما جرى اتصال مع الخلافة العباسية، وفي سنة ١٨٥هـ/٨٠١م سير شارلمان ولده لويس في جيش كبير حاصر برشلونة، ومنع الأندلس عنها، إلى أن سقطت في يديه وسارت قاعدة للشعر الإسباني الذي أنشئ بعد إنشائه نواة لإمارة قشتالونيا .
(٥) ويعرف عند المسلمين بـلوك ويق وهو تعريب لاسم اللاتيني *Ludovico* .

سنة ٨٢٨م رداً على خطاب أرمطوه إليه، وقد تضمن الرد ما يعالنيه هؤلاء من الضرائب والأموال التي يؤمنونها إلى الأمير (كذا) ووعدهم بأنهم إذا ثاروا على المسلمين، ودخلوا في طاعته، أعاد إليهم حريتهم وتركهم يسبزون وفق أهلهم وقرائينهم، وأفضلا من ذلك، فقد أيدى استعداداته لإرسال جيشه لقتال عبد الرحمن الأوسط إذا توجه إليهم، ولوضح لهم أن كل من يرغب في الهجرة، فإنه سيجد الأمان والملاجئ عنده^(١).

وبما يجدر ذكره أن خطاب لويس هذا وجه إلى الأساقفة والشعب في ماردة^(٢) مما يؤكد أن نصارى هذه المدينة وخدمهم هم الذين طلبوا صوته .

على أنه يتضح مما تزويه المصادر العربية أن النصاري من أهل ماردة، انتهزوا فرصة عصيان عدد من المسلمين بهذه المدينة، واشتغال عبد الرحمن الأوسط^(٣) بهم، فتأمروا ضد الدولة، وحثوا ملك القرنجة على غزو الأندلس، غير أن الغزوة التي قام بها لويس بايت بالفشل وتوالت بعوث المسلمين إلى بلاد القرنجة وهاجر عدد من أهل ماردة النصاري إلى الشمال^(٤).

وفي عهد الفتنة الكبرى، شارك نصاري طليطلة في وضع مدينتهم تحت حماية ملك ليون، وظللت على هذه الحال، حتى تمكن عبد الرحمن الناصر من إعادتها إلى الطاعة في سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م^(٥) .

(1) Lévi-provençal : op. cit. vol. I, pp. 228-229.

(٢) في سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م ثار بماردة رجل من قرطبة يدعى سليمان بن مرقين، وأمر من الوزير يدعى محمود بن عبد الجبار بن راحلة، وقد أجمعت الثورة، وقتل ابن مرقين، وهرب ابن راحلة إلى القونقل الذي ملك جليقية ، الذي رجب به خنرة، ثم اختطف معه وقلته. ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٥٦. ابن سعد: المغرب، ج ١، ص ٤٨ .

(3) Livemore: op. cit. p. 380 .

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٠٦-٢٠٨ .

ويذكر بعض الكتاب^(١) أن عمر بن حفصون، تحالف مع قرثون عرسية ملك نيرة ٨٧٠-٩٠٥م، وأن ولده غالب تحالف مع شالجه الأول عرسية ٩٠٥-٩٢٦م، غير أنه لم يرد في المصادر، ما يؤيد ذلك، فلم يتحالف ابن حفصون مع ملك نيرة، كما أنه لم يكن له ولد يدعى غالب .

ويشير ميونيت^(٢)، إلى أنه جرى تحالف بين عمر بن حفصون وبين أنقوش الثالث ملك لبيون، وأن هذا التحالف تم بعد تنصيره في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، ولكن بعد المسافة، جعل هذا التحالف، لايفر عن شيء .

وإذا نحن عاودنا مصادرنا الأصلية، نجد تصابها به فتوقع لورده ابن خلدون^(٣) جاء فيه اللهم.....وثمانين..... عمر بن حفصون، وخالف ملك الجلائفة^(٤)، فبدأ إليه امرأه بالحصون عهده* وتستطيع أن نقرأ النص كما يلي اللهم كانت سنة ست وثمانين ومائتين، تنصر عمر بن حفصون، وخالف ملك الجلائفة، فبدأ إليه امرأه بالحصون عهده* .

يتبين مما سبق ذكره أن ثمة حلفاء، وقع بين زعيم اللوات من النصاري المعادين، وبين ملك لبيون، ولم يتركب على هذا الحلف عون مباشر لابن حفصون، وربما كان السبب في ذلك، ما جرى داخل مملكة لبيون، في أواخر عهد أنقوش الكبير، من نزاع على العرش، أفضى إلى اعتزاله في سنة ٩١٠م .

(١) عبد الرحمن الحجي: الفلسفات - بيروت، دار الإرساد، ١٩٦٩م ص ١٢٢ .

(2) op. cit. p. 569 .

(٣) تاجور ج ٤ ص ١٢٥ وابن خلدون هو المصدر الوحيد بين مصادرنا الذي

يشير إلى وقوع هذا الحلف .

(٤) أي حلفاء . ابن منظور: لسان العرب ج ٢ ص ١٢٢٨ .

على أنه مما لا شك فيه أن مملكة ليون النصرانية، أقامت مما جرى في
الأندلس، في هذه الحقبة المضطربة، فامتدت حدودها في عهد ألفونس الثالث،
وعبر هذا الملك نهر دويره، وغزا أراضي المسلمين غير مرة، ولقبه - فيما
يزعمون - بالأميراطور، وعلى النهج نفسه سار ولده ألدون الثاني، ٩١٠-
٩٢٥م، وفي المرحلة نفسها نجح شالجه الأول غوسية ٩٠٥-٩٢٦م في أن
يجعل من إمارة نبرة مملكة عاصمتها بيلورنسة، كما انفصل
ويغريته (١) ٨٧٣-٨٩٨م بيزلونة عن الدولة الكارولنجية وجعلها
إمارة مستقلة (٢).

كل ذلك دفع عبد الرحمن الثالث (الناصر) بعد انتهاء الفتنة الكبرى، إلى
توجيه غزواته إلى ممالك إسبانيا النصرانية، وتابع خلفاء سياسته، ووصلت
هذه السياسة إلى ثروتها في عهد المنصور بن أبي عامر. وتحولت هذه
الممالك في أحيان كثيرة إلى ممالك معاددة تؤدي الجزية، وتشارك في حروب
الخلفاء.

لم يتم التمساري للمعاهدون بأي نشاط في هذه الأثناء، على أنه حدث
في إحدى غزوات المنصور العامري أن تخلى بعض التمساري للمعاهدون من
جندهم مع إخوانهم التمساري الحربيين، ولما وصلت إليه هذه الأخبار لم
يترقب اعتقالهم.

• • •

(١) ويعرف بالكثيف الشعر el Voloso.

(٢) O'Callaghan : op. cit. pp. 114 - 115.

لما سقطت الخلافة الأموية بقرطبة في عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م، حافظ الصنهاجي المعاهدون على وجودهم ككثلية، تعيش في سلام مع إخوانهم المسلمين، وواصل حكام المسلمين الذين دعوا يملوك الطوائف سياستهم في استغلالهم، فاختار المقتدر بن هود ملك مرسية ٤٣٨هـ/١٠٤٦م - ٤٧٤هـ/١٠٨١م إياهم بن غند شليف Gandisalvo وهو من المستعربين وزيراً له^(١).

كان بعض المستعربين يقدرون حسن معاملة المسلمين لهم، فوقوا منهم موقفاً ودياً، إبان المحن التي أصابهم عند تغرق أمر الأندلس، فكان سيسمنند Sisemando وزير ألفونس السادس ملك ليون - وهو من المستعربين - حسن السياسة مع المسلمين بعد سقوط بلبلطة في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م^(٢). على أن البعض الآخر اتخذوا موقفاً عدائياً من المسلمين عندما رجحت كفة الصنهاجي في الصراع الدائر على شبه الجزيرة، ويبدو هذا بوضوح في غزوة ألفونس المحارب el Batallador ملك أرغونة ١١٠٤-١١٣٤م للأندلس في سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، فقد اخترقها من أقصاها إلى أنهاء، ووصل إلى ساحل البحر الرومي (الموسط) فيما يلي غرناطة، وقد أبدى المعاهدون بعدة آلاف من خيرة مقاتليهم، وأخفق المرابطون في التصدي له^(٣).

(١) محمد عبد الله علق: دول الإسلام في الأندلس، دول الطوائف، ص ٤١٢.

(٢) ابن بطوطة: المغاربة، ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤ ص ٦٩-٧١، ابن الخطيب: الإحاطة، ص ١٠٨-١١٤، وكان يترجم المعاهدون رجال تدعى مسندراً العربية (ابن قتيلا)، ولا أعلم اسمه الحقيقي.

نتج عن تقصص المعاهدين عهد الفضة أن حرب عشرة آلاف منهم صحبة ملك التصاري في عوده شمالاً^(١)، وأقنى ابن رشد (الجد) بتغريبهم إلى بلاد المغرب^(٢)، فأرسل معظمهم إلى هناك، حيث عمل بعضهم في حرم أسير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠هـ/١١٠٧م - ٥٣٧هـ/١١٤٣م) الذي أحسن معاملتهم، كما أسلم بعض آخر^(٣). ولما استولى الموحدون على لومة الحكم في المغرب، بعد سقوط دولة المرابطين سنة ٥٤٦هـ/١١٤٦م، عاد عدد من التصاري إلى الأندلس، وسمح لهم بالاستقرار في وادي تاجنة^(٤) وصاروا يشكلون عنصرًا من عناصر السكان في مملكة غرناطة^(٥) وأسلم بعضهم، ثم عاد معظمهم إلى دين آبائهم بعد سقوط المدينة في سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م وانتهاء دولة الإسلام بالأندلس .

(1) O' Callaghan: op. cit. p. 221.

وك اختص سيمونيت حملة القوايسو المحارب بالتصاري التابع والثلاثين من كتابه.

(٢) ابن الخطيب : الامانة ج ١ ص ١١٣-١١٤، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ٧٢ .

(٣) محمد عبد الله عان: دولة الإسلام بالأندلس، عصر المرابطين والموحدين ق ١ ص ٢١٢ .

(4) O' Callaghan: op. cit. p. 286

(٥) وهي مملكة بني نصر أو بني الأحمر ٦٢٩هـ/١٢٢٩م-٨١٧هـ/١٤١٧م .

4

4

خاتمة

أسفر فتح المسلمين لبلاد الأندلس عن ظهور سبعة عناصر رئيسية هي العرب ، البربر ، الموالي، المولتون، التصارى المعاهدون، اليهود، الجديد.

ومع أن هذه العناصر، كانت تتفاوت على نحو ما في أصولها العرقية، فإنها لم تكن تتفاوت كثيراً في أوضاعها الاجتماعية، فكانت الفرصة متاحة لكل من أظهر نيابةً، ولأبى امتيازاً في ناحية من النواحي، أن يحقق ما يصبو إليه، وينظر بالمكانة المناسبة له في مجتمعه.

ولذا كان ثمة تمييز في البداية بين النشابة القيسية من العرب، وبين غيرهم من عناصر المجتمع الأندلسي، فإن هذا التمييز لم يلبث أن خفت حدته مع استمالة الدولة بالأجناد المرتقة والمستقلة.

ومن التغييرات التي طرأت على المجتمع، ويرجع للمسلمين الفضل فيها، تحسن أحوال الجديد، وعدم جواز الفصل بين أفراد الأسرة الواحدة منهم، والتشجيع على عقولهم.

وبناءً على ذلك أسهمت عناصر المجتمع الأندلسي في إدارة الدولة، وشاركت في الحياة السياسية وفي الحياة العقلية، وتشكّلت بين بعضها علاقات سودها العودة والرحمة.

لما في ممالك إسبانيا النصرانية، فقد استمر التقسيم للطبقي القديم، وأضيف إليه عنصر جديد، فزامة المسلمون الأسرى، وكانوا يعاملون في معظمهم - وبخاصة في الصدر الأول - معاملة العبيد.

استطاع المعاهدون من تصارى الأندلس أن يعيشوا حياة طيبة، لا يختلفون عن غيرهم من العناصر، وسقطت الدولة لهم بأن يسيروا في

حياتهم وفق المنهج الذي يلائمهم، ولم تتدخل في أمورهم الخاصة، فاحتفظوا بكنائسهم ودور عبادتهم، وحقق في إقامة شعائرهم وعقد مجامعهم. ولم تضع قيوداً عليهم في لباسهم، أو علامات يميزون بها، كما لم تسع لارتدائهم على تعيير دينهم، ولم تتعسف في جمع الأموال منهم.

كذلك أخلت الدولة للنصارى أن يختاروا حكامهم، ومن يمثلهم لديها، وأخلت لهم أيضاً أن يكون لهم قضائهم، يقضون بينهم وفقاً لكتاب التوراتين الموروث من عهد القوط، والذي تمت ترجمته إلى العربية، ولم تعمل على إرتدائهم بالكماليات.

وكانت الدولة تمتنع بالنصارى في وظائفها، وأجرت عليهم الأرزاق، كما استخدمتهم في جيوشها، ومنحت بعض من أقالم منهم في مناطق للخور فترا من الاستقلال.

وكان النصارى يرتبطون بالمسلمين بملاقات طيبة ومصاهرات، مما ترتب عليها فقد المسلمين تقاوتهم لقرية، والقياسهم بعض عادات أهل البلاد، فضلاً عن المصاهرة بينهم اللاتينية.

كذلك كانت الحال بالنسبة للنصارى، فقد تأثروا بالمسلمين، وصاروا يتحدثون بلغتهم العربية، ويؤلفون بها كتبهم، ويقدسون تصومس دينهم، بل إن منهم من نظم شعراً عربياً.

على أن أوضح مجال لهذا التأثير هو انتشار الإسلام بين النصارى بحيث أوضحت بلاد الأندلس في مطلع القرن الرابع الهجري دولة إسلامية بها أقلية نصرانية.

وليس أدل على تحسن أوضاع النصارى بالأندلس من أن المهاجرين منهم إلى الشمال، كانوا يشكلون عنصراً أرق حضارياً بين عناصر السكان،

قبل قسوم هلك، كما تبلى تشابوهم في كتابة حوليات تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى.

على أن هذا كله لم يمنع بعض النصارى من أن يستغلوا تسامح الدولة معهم على نحو سيء، وبخاصة في قنرات المنعك فينزعون إلى مناهضة المجتمع الأندلسي، وهو ما يتضح في حادثة الشهداء النصارى قرطبية، وسحبهم إلى أفتة بعض المسلمين عن دينهم، كما يتضح أيضاً من دورهم في الفتنة الكبرى، وما قام به عمر بن حفصون من إضفاء الطابع الديني عليها، وبلغ من خطورة حركته أن كانت قرطبة نفسها تسقط في يديه.

كذلك يسعى عدد من المعاهدون إلى الاتصال بنصارى الشمال، ومعاونتهم في الصراع الذي كان سجالاً بينهم وبين المسلمين،

نجحت الدولة في أوائل القرن الرابع الهجري في إحباط هذه المساعي جميعها، غير أنه لما زالت الخلافة وتفرق أمر المسلمين، عاود المعاهدون نقض العهد، فأعلنوا انفوقش المجازب ملك أرغونة في حملته الشهيرة التي انتهت فيها إلى قاصية الجنوب، ونتيجة لذلك صدرت الفتوى بتفريدهم إلى البندوة، فلبس بعضهم وهلك بعض آخر.

يتضح لنا من دراسة أوضاع النصارى أن المسلمين في علاقاتهم بأهل الأمة، كانوا على قدر كبير من التسامح، فقد استماعوا أن يستوعبوا في دولتهم لقلبات منهم، عاشت في سلام، واحتلت مراكز مرموقة.

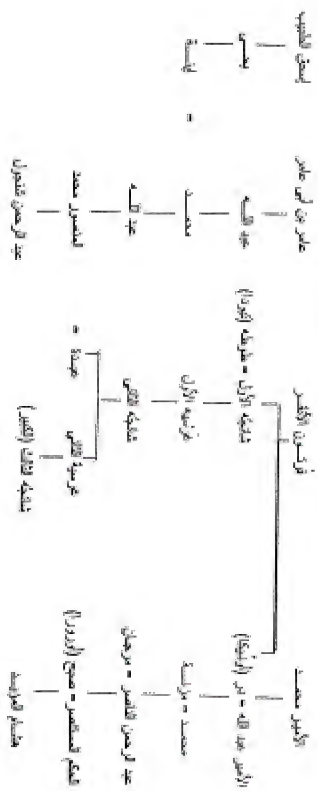
كما يتضح أيضاً أن التسامح مع الأقليات الدينية في الدولة الإسلامية لا يكفي وحده لضمان ولاء هذه الأقليات، فلا بد أن يصحب هذا العنصر عنصر آخر، وهو قوة الدولة التي تعد الضمان الحقيقي لولاء رعاياها جميعهم مسلمين وغير مسلمين.

وقد شاهدنا ما قام به بعض النصارى بعد انقضاء الخلافة الأموية من الاتحاد مع إخوانهم في الدين، "نصارى الشمال" ضد إخوانهم في الوطن "المسلمون".

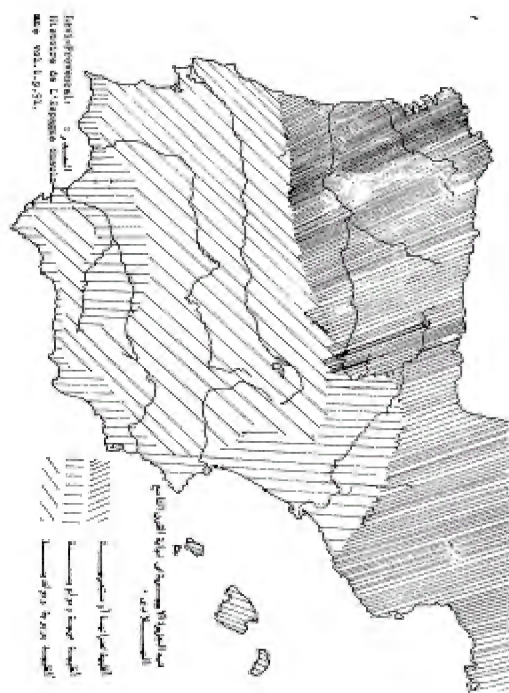
ومن الأمور التي تسترعى النظر، ذلك الخطأ الذي وقع فيه بعض المستشرقين بخصوص انتشار الإسلام في الأندلس، فقد أرجعوا ذلك الانتشار إلى أسباب مادية، كما همروا حادثة الشهادة من النصارى بقرطبة بأنها نتيجة لاضطهاد المسلمين لهم، ودعوا أن اللغة اللاتينية كانت اللغة العامة المشتركة بين عناصر المجتمع الأندلسي.

وإذا كان من المتفق عليه بين الباحثين، أن الأندلس كانت معبراً عبرت عليه الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، وأسهمت فيما عرف - بعد - بالنهضة Renaissance، فإنه يتضح من دراستنا أن هذا العبور بدأ في فترة باكورة، وأتى نتيجة لهجرات النصارى المتتالية إلى الشمال، فقتلوا معهم طرز المسلمين للفنية، وألقوا من لغتهم العربية، وبعض علومهم العقلية والنظمية، فضلاً عن عاداتهم وأصناف حياتهم.

جدول اسباب ووضوح اسباب بعض المسلمين إلى تسلي إلى سوريا









تخطيط المدينة قرطبة في القرن العاشر الهجري
 ويقع في المأمنين إلى الشرق + يمتد إلى حوض
 اليهود في وسط المدينة قرب قصر الخلافة

المصدر :
 Léves-Provinciel : L'Espagne
 Musulmane au x^e siècle p. 365.

4
1

4
1

...

المصادر والمراجع

المصادر :

أ - مصادر مخطوطة :

- ١ - الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)
سير أعلام النبلاء (١٢ مجلدًا) مصورة بدار الكتب المصرية برقم
ح ١٢١٩٥ عن نسخة مكتبة أحمد لثالث باستانبول رقم ٢٩١٠-١٣.
- ٢ - ابن المنيذ : عبد الله بن محمد بن السيد البطلوني (ت ٥٢١هـ).
المسائل والأجوبة. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٠٩ معالم تيمور.
- ٣ - الخزفي : أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين (ت ٦٧٧هـ)
النز المتكلم في مولد النبي المعظم. مخطوط بالمتحف البريطاني
برقم ٩١٩.
- ٤ - فونشريشي : أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي
(ت ٩١٤هـ)
المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس
والمغرب (سنة أجزاء) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٠ قه ملك.
- ٥ - يحيى بن عمر القرطبي: (ت أواخر القرن التاسع الهجري)
كتاب الأحكام اختصرها من كتاب الأحكام للشيخ المشار إلى الأصبغ
عيسى بن سهل. مخطوط بالمتحف البريطاني برقم ٢٦٢.

(ب) مصادر مطبوعة :

- ٦ - ابن الأثير : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القنساعي (ت ٦٥٨هـ)
(أ) التكملة لكتاب الصلة (ثمان) نشر ألفريد بل وابن أبي شبيب، الجزائر، المطبعة الشرقية ١٩١٩م.
٧ - (ب) الحلة الشوكاء (جزءان) تحقيق وتعليق حميد مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.
٨ - ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري، (ت ٦٢٠هـ)
الكامل في التاريخ (١٢ جزءاً) القاهرة، بولاق، ١٢٩٠هـ.
٩ - الأثيري : الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إريس الحسني (ت ٥٦٠هـ).
صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط٢ نشر دوزي ودي خويه، لندن، بريل، ١٩٦٨م.
١٠ - الإصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت ٣٤٦هـ).
مسالك الممالك، ط٢، نشر دي خويه، لندن، بريل ١٩٦٧م.
١١ - ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن بونس السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ).
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار وحنا، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

- ١٢ - ابن بسلام : ليل الحصن على بن تميم الشنفرى (ت ٥٤٢ هـ)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. (أربعة أقسام في ثمانية مجلدات)
تحقيق إحسان عيسى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩.
- ١٣ - ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ)
كتاب الصلة (قسمان). القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة،
١٩٦٦م (المكتبة الأنثروبولوجية - ٤).
- ١٤ - البكرى : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن
عمرو البكرى (ت ٤٨٧ هـ).
جغرافية الأندلس وأوروبا، من كتاب المسالك والمعالم.
تحقيق عبد الرحمن على الحجي، بيروت، دار الإرشاد للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٩٦٨م.
- ١٥ - البيلغوى : أبو الحاج يوسف بن محمد بن عبد الله المالقى المعروف
بأبي الشيخ (ت ٦٠٤)
كتاب ألف باء . مصر، بولاق، ١٢٨٧ هـ.
- ١٦ - ابن تيمية : أبو المعلى يوسف بن تيمية (ت ٧٢٩ هـ)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦ جزءاً). القاهرة دار الكتب
المصرية ١٩٢٩م.
- ١٧ - الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل التميمي
(ت ٤٢٩ هـ).
يقيمة لأدهر (أربعة أجزاء). تحقيق محمد إسماعيل الصاوي، القاهرة،
المكتبة الحسينية المصرية، ١٩٣٤م.

- ١٨ - ابن جُيُوش : أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد ٣٨٤هـ)
طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد. القاهرة، المعهد العلمي
الفرنسي للأثار الشرقية ١٩٥٥م.
- ١٩ - الجُهَنُشَيَارِي : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ)
الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ
شليبي. القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨م.
- ٢٠ - ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ).
(أ) الأحكام في أصول الأحكام (ثمانية أجزاء). تصحيح أحمد محمد
شاكر. القاهرة، الخانجي، ١٣٤٥هـ.
- ٢١ - ب - جمهورية المذهب العرب، ط٣. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة،
دار المعارف بمصر، ١٩٧١م. (إشاعة العرب - ٢).
- ٢٢ - (ج) طوق الحمامة في الألفة والألاف، ط٣. تحقيق لطاهر أحمد
مكي. القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.
- ٢٣ - (د) الفصل في الملل والأهواء والنحل (خمسة أجزاء) القاهرة،
الخانجي، ١٣٢٠هـ.
- ٢٤ - (هـ) المحلى (١١ جزءاً). تحقيق أحمد محمد شاكر.
القاهرة، إدارة المطباعة المنيرية، ١٣٤٨هـ.
- ٢٥ - (و) نطق العروس في تواريخ الخفاء. تحقيق شوقي ضيف. فصله في
مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، م ١٣ ج٢ ديسمبر ١٩٥١م.
- ٢٦ - الحَفَنَدِيُّ : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر قنوح بن عبد الله الأزدى
(ت ٤٨٨ هـ).
- جذوة المقيس في نكر ولأه الأندلس. القاهرة، الدار المصرية للتأليف
والترجمة، ١٩٦٦م. (المكتبة الأندلسية - ٣).

- ٢٧ - الجغيتري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت أواخر القرن الثامن الهجري).
 صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار. نشر لافي بروفسال. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م.
- ٢٨ - ابن خوقل : أبو القاسم محمد بن علي التميمي (ت ٣٦٧هـ).
 صورة الأرض (الممالك والممالك والمنازل والممالك) ج٢. نشر كرامرز. لين، برلن، ١٩٦٧م.
- ٢٩ - ابن حيسان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت ٤٦٩هـ).
 المقتبس من آباء أهل الأندلس.
 السفر الثاني. تحقيق محمود علي مكي. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م.
- السفر الثالث، نشر ملتشور أفونيا. باريس، بولس كثر الكتب، ١٩٣٧م.
 السفر الخامس. تحقيق ب. شامينا، ت. كوريتسكي، م. صبيح، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، الرباط، كلية الآداب، ١٩٧٩م.
 قلعة من عهد الحكم المستنصر. تحقيق عبد الرحمن علي الحجي. بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م. (المكتبة الأكاديمية - ٤).
- ٣٠ - ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي (ت ٥٢٩ أو ٥٣٥هـ).
 (أ) فلك العيان. تصحيح محمد الصباغ. بولاق، المطبعة الخيرية، ١٢٨٣هـ.

- ٣١ - (ب) مطمح الأفق ومسرح التماس في ملح أهل الإسكندرية، قسطنطينية، مطبعة الجوائب ١٢٠٢هـ.
- ٣٢ - ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالي ٣٠٠هـ). المسالك والممالك، ط ٢٠٠٠ نشر دي خويج، لندن، بريل ١٩٦٧م.
- ٣٣ - القشسني : أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني (ت ٣٦١هـ).
- قنساء قرطية، القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م. (المكتبة الأنثوية ١).
- ٣٤ - ابن الخطيب : إسماعيل بن عبد الله محمد بن عبد الله السلاطيني (ت ٧٧٦هـ).
- (أ) الإحاطة في أخبار غرناطة (أربعة أجزاء) ط ٢.
- تحقيق محمد عبد الله عثان، القاهرة، الخانجي، ١٩٧٣-١٩٧٧م.
- ٣٥ - (ب) تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أصل الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ط ٢. تحقيق أ. إيلبي بروفسال- بيروت، دار المكتوف، ١٩٥٦م.
- ٣٦ - ابن خلدون : أبو زيد علي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ).
- (أ) العبر وديوان النبأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (سبعة مجلدات) تصحيح أبو الوفا الليزي، القاهرة، بولاق، المطبعة الكبرى، ١٢٨٤هـ.
- ٣٧ - (ب) مقنة ابن خلدون (ثلاثة أجزاء) ط ١. تحقيق علي عبد الواحد ولي، القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٥٧م.

- ٣٨ - ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان (سنة أجزاء) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٤٨م.
- ٣٩ - الجبوري عيسى : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٧هـ).
- مفاتيح العلوم، ط٢، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨١م.
- ٤٠ - ابن نزار : أحمد بن محمد بن دراج القسطلاني (ت ٤٢١هـ).
- ديوان ابن دراج القسطلاني. تحقيق محمود علي مكي، دمشق المكتب الإسلامي، ١٩٦١م.
- ٤١ - الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)
- سير أعلام النبلاء (نشر منه شاذية أجزاء) تحقيق شعيب الأرنؤوط، دفتر حمدان- بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.
- ٤٢ - ابن رشد (الجد) : أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٢٠هـ).
- المقدمات للمهددات لبيان ما اقتضته رسوم الممنونة من الأحكام الشرعية (جزءان) نشر محمد أفتدي سلسي المغربي للتونسي، القاهرة مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ.
- ٤٣ - ابن رشد (الحفيد) : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ).
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد (جزءان) القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٣٩هـ.
- ٤٤ - الرقيق الفيرواني : أبو اسحق إبراهيم بن القاسم (ت بعد ٤١٧هـ).
- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، د.ت.

- ٤٥ - الأُرَيْشِي : أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن منمخ بن محمد بن عبيد الله (ت ٣٧٩هـ).
- طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، الخالجي، ١٩٥٤م.
- ٤٦ - ابن زبيلون : أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخرومي (ت ٤٦٣هـ).
- ديوان ابن زيدون. تحقيق كامل كيلاني، عبد الرحمن خليفة. القاهرة، مصطفى أبيي الحلبي، ١٩٣٢م.
- ٤٧ - ابن زيري : الأمير عبد الله بن بلقين بن يحيى بن حبوس بن ماكسن ابن زيري بن مناد الصنهاجي (ت ٤٨٣هـ).
- مذكرات الأمير عبد الله المسمدة بكتاب الفتيان. تحقيق أبيي بروفنسال. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٥م (تخالف العرب - ١٨).
- ٤٨ - مبخون بن سعيد التتوخي (ت ٤٧٤٠هـ).
- المدونة الكبرى لإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأصبحي (سنة عشر جزءاً) نشر محمد ساسي المغربي التونسي. القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٣هـ.
- ٤٩ - ابن سعيد : علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (ت ٦٨٥هـ).
- المغرب في حلى المغرب (جزءان) ح.٢. تحقيق شوقي خفيف. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م. (تخالف العرب - ١٠).
- ٥٠ - السقطي : أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي.
- كتاب في أدب الحسبة. نشر أبيي بروفنسال وج. م. كولان جازين. لوزن لير، ١٩٣١م.

- ٥١ - ابن سهل : أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجبلي (ت ٤٨٦هـ).
- (أ) وثائق في أحكام قضاء أهل القبة في الأندلس. مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى. تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة محمود علي مكي، مستشار مصطفي كامل اسماعيل. القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٠م.
- ٥٢ - (ب) وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى. تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة محمود علي مكي، مستشار مصطفي كامل اسماعيل، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٠م.
- ٥٣ - المسروقي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ).
- بغية الرعاة في طبقات اللغويين وقامحا (جزءان).
- تحقيق محمدليو الفضل إبراهيم. القاهرة، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م.
- ٥٤ - الشافعي : أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ).
- الذيارت، تحقيق كوركيس عواد. بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٥١م.
- ٥٥ - الشافعي : أبو إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت ٧٩٠هـ).
- المواصفات (أربعة أجزاء). تحرير سيدي أحمد الورتاني. تونس، مطبعة الدولة للدولة التونسية، ١٣٠٢هـ.
- ٥٦ - ابن شهاب : أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهاب (ت ٤٢٦هـ).

- ديوان ابن شهيد الأندلسي. تحقيق يعقوب زكي، مراجعة محمود علي مكي. القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ت. (ترغفا).
- ٥٧ - صاعد الأندلسي : أبو القاسم صاعد بن أحمد بن مسعود الأندلسي (ت ٤٦٢هـ)
طبقات الأسم. نشر الأب لويس شيخو القيسوعي. بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢م.
- ٥٨ - الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبيدة (ت ٥٩٩هـ).
بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس. القاهرة، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م. (المكتبة الأندلسية - ٦).
- ٥٩ - الطيسري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
تاريخ الرسل والملوك (عشرة أجزاء). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م (تخالف العرب - ٣٠).
- ٦٠ - الكزطوشي : أبو بكر محمد بن الوليد بن أبي رنقة (ت ٥٢٥هـ).
(أ) الحولث واليدج. تحقيق محمد المالبي. تونس، كتاب الدولة للتربية القومية ١٩٥٩م.
- ٦١ - (ب) سراج الملوك ط١. مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ.
- ٦٢ - ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ).
فتوح مصر والعراق. نشر توري، نيويورك ١٩٢٢م.
- ٦٣ - ابن عسكون : محمد بن أحمد بن عديون التجيبي.
رسالة ابن عديون في القضاء والحسبة. في ثلاث رسائل أندلسية في أداب الحسبة والمحتسب. نشر إيفي بروفانسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٥٥م.

٦٤ - ابن عبد ربه : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٩هـ).

المقدّم للزبد (أربعة أجزاء) القاهرة، المطبعة الأزهرية ١٩٢٨م.

٦٥ - عبد الواحد المراكشي : محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (ت بعد ٦٢١هـ).

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العربيان، محمد العربي العلمي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٩م.

٦٦ - أبو عبيد : القاسم بن سلام (ت ٥٢٤هـ).

الأموال - تحقيق محمد خليل هراس، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٨م.

٦٧ - ابن عسّاذري: أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي (ت ٧١٢هـ). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (أربعة أجزاء) تحقيق ليلى بروفنسال، كولان، هيرشي ميرلندا، أعاد نشره إحصان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٩٧م.

٦٨ - العثري : أحمد بن عمر بن لؤس المعروف بابن الفولاني (ت ٤٧٨هـ). تصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتلويح الآثار واليسائر في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك.

تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م.

٦٩ - عريب بن سعد : أبو الحسن الكاتب (ت ٣٦٦هـ).

تقويم قرطبة لسنة ٩٦١م. تحقيق بوزي، لندن، بريل، ١٨٧٣م.

٧٠ - القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض القيصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ).

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (أربعة أجزاء) تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٨م.
- ٧١ - ابن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون المالكي المصري (ت ٧٩٤هـ).
- (أ) تيسرة الحكم في أصول الأفضية ومناهج الأحكام. القاهرة، المطبعة النبية، ١٣٠٢هـ.
- ٧٢ - (ب) للنباح المذهب في معرفة أعيان المذهب (جزءان) تحقيق محمد الأحمد أبو النور. القاهرة، دار التراث ١٩٧٢.
- ٧٣ - ابن القزويني : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ).
- تاريخ علماء الأندلس (جزءان) القاهرة، الدار المصرية للترجمة والترجمة ١٩٦٦م (المكتبة الأندلسية - ٢).
- ٧٤ - ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الكلابي (ت ٧٤٩هـ).
- مسالك الأيمان في مسالك الأمصار ، ج١. تحقيق أحمد زكي باشا. القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.
- ٧٥ - ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٠هـ).
- كتاب الإمامة والسياسة (منسوب إليه) (جزءان)، تصحيح محمد بدر الدين النعساني الحنفي، القاهرة، المكتبة المصرية ، ١٣٢٥هـ.
- ٧٦ - القرافي : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي (ت ٦٨٤هـ).

- (أ) الأجرية الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والمخلوق لمجد الرحمن بك القنذلي بليغ جى زاده. القاهرة، مطبعة الموسوعات، دت.
- ٧٧ - (ب) القروى (أربعة أجزاء) تونس، المطبعة التونسية الرسمية، ١٣٠٢هـ.
- ٧٨ - الامام القرطبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن قرح الأنصاري (ت ٦٧١هـ).
- (أ) الإعلام بما في دين النصارى من اللباد والأوهام ونظائر محاسن دين الإسلام والاثبات لهبة نبينا عليه الصلاة والسلام (أربعة أجزاء) تحقيق أحمد حجازي الشاف. القاهرة دار التراث العربي، ١٩٨٠.
- ٧٩ - (ب) الجامع لأحكام القرآن (عشرون جزءاً) القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٣٦م.
- ٨٠ - الغزويني: أبو يحيى عماد الدين زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ).
- (أ) آثار البلاد وأخبار العباد، نشر فستقك، جنتجن ١٨٤٨م .
- ٨١ - (ب) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، نشر فستقك جنتجن ١٨٤٩م.
- ٨٢ - اللفظلي : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)
- تاريخ الحكماء وهو مختصر للزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، نشر يوايوس ليريرت، لايبسوج ١٩٠٣م.
- ٨٣ - القلقشندي : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (١٢ جزءاً) القاهرة، دار الكتب الخديوية، ١٩١٣م.

- ٨٤ - ابن القوطية : أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (٣٦٧هـ)
تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبراري، القاهرة، دار الكتب
الإسلامية، ١٩٨٢م. (المكتبة الأندلسية - ٧).
- ٨٥ - ابن القزويني : أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس الشوزري
(ت أواخر القرن السادس).
الاكتفاء في أخبار الخلفاء، في تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه
لابن الشباط، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد معهد الدراسات
الإسلامية، ١٩٧١م.
- ٨٦ - الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري
(ت ٣٥٠هـ).
كتاب الولاء وكتاب القضاء، تصحيح رفن كست، بيروت، مطبعة الآباء
المسيحيين، ١٩٠٨م.
- ٨٧ - الإمام مالك بن أنس: الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي (جزء أن)
تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية،
١٩٥١م.
- ٨٨ - العسائري : علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ).
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، نشر محمد فهمي السرجاني،
القاهرة، المكتبة التوفيقية ١٩٧٨م.
- ٨٩ - المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)
مروج الذهب (جزء أن)، تصحيح محمد السباع، القاهرة، بولاق
١٢٨٣هـ.

- ٩٠ - العفري : شهاب الدين أحمد بن محمد القنصلي (ت ١٠٤١هـ).
(أ) أذهار الرياض في أخبار بياض (ثلاثة أجزاء) تحقيق مصطفى
المسقا، إبراهيم الإبري، عبد الحفيظ شلبي القاهرة، لجنة التأليف
والترجمة والنشر، ١٩٣٩م.
٩١ - (ب) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب. (أربعة أجزاء). القاهرة، المطبعة الأثرية المصرية،
١٣٠٢هـ.
٩٢ - المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
(ت ٨٤٥هـ) المواضع والاعتبار بتكرار الخطيب والآثار. (جزءان)
القاهرة، بولاق، ١٢٧٠هـ.
٩٣ - مؤلف مجهول :
أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها رجمهم لله والحروب
الواقعة بها بينهم نشر لافينتي ألكسرا مجريك مطبع ريد نيرا،
١٨٦٧م.
٩٤ - مؤلف مجهول :
مدونة تاريخية مجهولة المؤلف من عصر عبد الرحمن الثالث لناصر.
تحقيق ليفي بروغمان، ليلى غرمية غومس.
مدريد - غرناطة. ١٩٥٠م.
٩٥ - مؤلف مجهول :
ألف كتابه سنة ٧١٢هـ.
نقد تاريخية في أخبار الفرير في القرون الوسطى. نشر ليفي بروغمان.
ريلك الفتح، معهد العلوم العليا المغربية، ١٩٣٤م.

- ٩٦ - ابن منظور : جمال الدين أبو الفتح محمد بن مكرم بن علي بن أحمد المصري (ت ٧١١هـ).
- لسان العرب (بنة أجزاء)، تحقيق عبد الله علي الكبير محمد أحمد جيب الله، هاشم محمد الشافعي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.
- ٩٧ - التيسافى : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن التيسافى المالقي (ت أواخر القرن الثامن).
- المرقبة العليا حين يستحق للتناء والتفتا. نشر ليلى بروفيسال. القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٤٨م.
- ٩٨ - نوافل المخطوطات : (سبع مجموعات)
- للمجموعة الثالثة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٣م.
- ٩٩ - التويسرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٢هـ).
- نهاية الأرب في فنون الأدب (صدر سبعة وعشرون جزءاً) ج٢٣.
- تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
- ١٠٠ - هروشيوس : Paulus Orosius.
- تاريخ العالم . تحقيق عبد الرحمن بدوي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م.
- ١٠١ - ابن وضاح : محمد بن وضاح بن يزيد القرطبي (ت ٢٨٧هـ).
- البدع وانتهى عنها. تصحيح محمد أحمد دهمان. دمشق، مطبعة الاعتدال، ١٣٤٩هـ.
- ١٠٢ - ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ).

- معجم البلدان (شافية الجزاء) تصحيح محمد أمين الخافجي. القاهرة ،
الخافجي، ١٩٠٦م.
١٠٣ - اليقطيني : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكلاب (ت ٨٢٨هـ).
كتاب البلدان ، نشر دي خويه ، لندن ، بريك ، ١٨٩٦م.
١٠٤ - أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢هـ).
الخراج. نشر قسمي محب الدين الخطيب. القاهرة، المطبعة السلفية
ومكتبتها، ١٣٩٦هـ.

* * *

المراجع :

- ١ - أرتوك : سيرتوماس .
للدعوة إلى الإسلام ط٣. ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين. القاهرة،
النهضة المصرية ، ١٩٧٠.
- ٢ - أشباح : يوسف .
تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (جزءان). ترجمة محمد
عبد الله عثمان. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠م.
- ٣ - أمير علي : السيد .
مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي. ترجمة رياض وأفت القاهرة،
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٢٨م.
- ٤ - الأهوازي : عبد العزيز .
الزجل في الأندلس. القاهرة، معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٧م.
- ٥ - بونز : تورمان .
الإمبراطورية البيزنطية . ترجمة حسين مؤنس ، محمود يوسف زفيد.
القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠م.
- ٦ - التتيلي : ربي بنيامين بن يونا التتيلي القبارى الأندلسي.
رحلة بنيامين ترجمة عزرا حداد. بغداد، المطبعة الشرقية، ١٩٤٥م.
- ٧ - جوميث مورينو : مانويل.
الفن الإسلامي في إسبانيا. ترجمة لطفي عبد البديع، السيد عبد العزيز
سالم. القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

- ٨ - جونثالڤ بالڤنيا: أفسل .
تاريخ الفكر الأتلسى. ترجمة حسيڤ مؤنس، القاهرة، النهضة المصرية،
١٩٥٥.
- ٩ - جيسوم : ألفريد (محرر).
تراث الإسلام (جزءان). ترجمة حسيڤ مؤنس وآخرين، القاهرة ،
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥ .
- ١٠ - حسي : فيليب .
تاريخ العرب (مطول) (ثلاثة أجزاء) ط٢. بيروت، دار الكشاف
للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٥٣ م .
- ١١ - الخجسي : عيد الرحمن على .
أتلسيات (جزءان) بيروت دار الإرشاد ١٩٦٩ .
- ١٢ - حمدان : جمال .
بين أوروبا وآسيا: دراسة في التناظر الجغرافية . القاهرة عالم
للكتاب ١٩٧٣ م .
- ١٣ - خلف الله أحمد : محمد (محرر).
أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، القاهرة، الهيئة العامة
للتأليف والنشر، بونيكو، ١٩٧٠ م .
- ١٤ - الرافعي : جودت .
في الأتلس الأتلسى ط٤ . القاهرة، دار المعارف بمصر،
١٩٧٥ م. (مكتبة الدراسات الأتبية - ٢٢)
- ١٥ - الرئيس : محمد ضياء الدين .
أخراج والنظم المالية للتولة الإسلامية، ط٤ . القاهرة، دار
الأتلس ١٩٧٧ م .

- ١٦ - رينسو: ج .
تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر
المتوسط ترجمة الأمير شكيب أرسلان، القاهرة، عيسى البابي
الحظي ١٣٥٢هـ.
- ١٧ - زيدان : عبد الكريم .
أحكام العميين والمستلبين في دار الإسلام، القاهرة، ١٩٦٢م .
- ١٨ - مسالم : السيد عبد العزيز .
تاريخ المسلمين وأثرهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢م.
- ١٩ - شاكيت وبيزورث : (محرران).
تراث الإسلام (ثلاثة أجزاء) مراجعة فؤاد زكريا، الكويت، المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٧٨م .
- ٢٠ - العبادي : أحمد مختار .
الصلابة في إسبانيا لمحة عن أسلهم ونشأتهم وعلاقاتهم بحركة
الشعبوية، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٥٣م.
- ٢١ - هيلين : إحصان .
تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيطرة قرطبة، ط ٤ . بيروت، دار
الثقافة، ١٩٧٥ (المكتبة الأندلسية - ٢) .
- ٢٢ - العريشي : السيد ليلز .
الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١، القاهرة، النهضة العربية ١٩٦٥م.
- ٢٣ - يونس : محمد عبد الله .
دولة الأمان في الأندلس (أربعة أجزاء)، القاهرة، الخانجي، ١٩٦٩م.

- ٢٤ - غربية غومس : إيليو،
الشعر الأنتلسي، بحث في تطوره وتقييمه ط٢، ترجمة حسين
مؤنس، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٦ (الألف كتاب -٩٥)،
٢٥ - غيبك : محمد عاتق (محرر ومراجع) . قاموس علم الاجتماع،
القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
٢٦ - فلانوييف: أ.
العرب والروم ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر
العربي، د. ت. (الألف كتاب) .
٢٧ - قلنسون : يوليوس .
تاريخ الدولة العربية ط٢ . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة
القاهرة لجنة تكليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨ (الألف كتاب ١٣٦)
٢٨ - قون شاك : لولف فريد ريتش .
الفن العربي في إسبانيا وصقلية، ترجمة الطاهر أحمد مكي
القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م .
٢٩ - كلشف : سيده إسماعيل . مصر في فجر الإسلام من الفتح
العربي إلى قيام دولة الطولونية، القاهرة، دار الفكر العربي
١٩٤٧م.
٣٠ - كحيلة : حياة عبد الرحمن رضا .
(أ) مصر قريش؛ عبد الرحمن الدافل، القاهرة، دار الكتب العربي
١٩٦٨ (أعلام العرب - ٧٦) .
٣١ - (ب) المؤلفون في التاريخ الأنتلسي، لمروجة غير منشورة
لدرجة الماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٨م .
٣٢ - (ج) لتلسيات . القاهرة ، ١٩٨٩ .

- ٣٢ - كراتشكوفسكي : إغناطيوس .
الشعر العربي في الأندلس . ترجمة محمد منير مرسى . القاهرة ،
عالم الكتب ، ١٩٧١م .
- ٣٤ - كرم : يوسف .
تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط . القاهرة ، دار المعارف
بمصر ١٩٦٥م (مكتبة الدراسات الفلسفية) .
- ٣٥ - ليفي بروكسمال :
(أ) الإسلام في المغرب والأندلس . ترجمة السيد سالم ومحمد
صلاح الدين حلمي . القاهرة ، نهضة مصر ، ١٩٥٦م . (الألف كتاب -
٨٩) .
- ٣٦ - (ب) الحضارة العربية في إسبانيا ط ١ . ترجمة الطاهر أحمد
مكي . القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٩م .
- (ج) سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها . ترجمة
محمد عبد الهادي شعيرة . كلية الآداب جامعة فاروق الأول
بالإسكندرية ١٩٥١م .
- ٣٨ - مقسر : آدم .
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (جزء ١) . ترجمة محمد
عبد الهادي أبو ريدة . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٠م .
- ٣٨ - منكور : إبراهيم بيومي (محرر ومراجع) .
معجم العلوم الاجتماعية . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، بونسكو
١٩٧٥م .

- ٤٠ - مكسى : الطاهر أحمد .
ملحمة السيد: دراسة مقارنة ط٧ ، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩م.
- ٤١ - مكسى : محمود على .
متريد العربية. القاهرة، دار الكتف العربى، دت .
- ٤٢ - مؤنس : حسين .
(أ) تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأنلس: متريد، معهد
الدراسات الإسلامية، ١٩٦٧.
- ٤٣ - (ب) فجر الأنلس؛ القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر
١٩٥٩م .
- ٤٤ - هيكس : أحمد .
الأنب الأنلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ط٧، القاهرة، دار
المعارف، ١٩٧٩م .

References in foreign languages :

- 1 - *Alamir* : *Rafael*
A history of Spain from its beginnings to the present day. trans
by Muna Lee. N.Y.D. Van Nostrand company, 1949.
- 2 - *Aschbach* : *Joseph*.
Geschichte der Ommajjaden in Spanien. Wien, Wilhelm Braumüller, 1860.
- 3 - *Ayalon* : *David*.
On eunuchs in Islam. In Jerusalem studies in Arabic and Islam.
- I 1979. The Hebrew univ. Jerusalem.
- 4 - *Barbour* : *Nevill*.
The significance of the word Maurus, with its derivatives Moro
and Moor, and of other terms used by medieval writers in Latin to
describe the inhabitants of Muslim Spain. in Actas do IV
congresso de estudos Árabes e Islâmicos, Coimbra- Lisboa.
1968. Leiden, Brill, 1971.
- 5 - *Baron* : *Salo Wittmayer*.
A Social and religious history of the Jews (13 Vols) N.Y.
Columbia univ press, 1957.
- 6 - *Branigan* : *J.J. & Jarrett* : *H.R.*
The Mediterranean lands, 2 nd edition. London, Macdonald and
Evans, 1975.
- 7 - *The Cambridge* economic history of Europe, (6 vols), Cambridge
univ press, 1971.
- 8 - *The Cambridge* history of Islam (2 vols). Cambridge univ. press,
1970.
- 9 - *The Cambridge* medieval history. Cambridge univ press, 1913
reprinted 1936.
- 10 - *Carreras y Candi* : *Francisco*.
Relaciones de los Vizcondes de Barcelona con los Árabes. en
Homenaje a D. Francisco Codera. Zaragoza, Mariano Escar,
Tipógrafo, 1904.
- 11 - *Casiri* : *Michaelis*.
Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis. (2 tomos) Matriti,
Antonius perez de Soto imprimebat, 1750.

- 12 - *Castro : América.*
The Structure of Spanish history. Trans by Edmund L.King.
Princeton univ press. 1954 (Based on *España en su historia, Cristianos, Moros y Judíos*).
- 13 - *Conde : J. A.*
History of the dominion of the Arabs in Spain (3 vols) Trans by
Mrs. Jonathan Foster. London, Henry G. Bohn. 1854.
- 14 - *Diccionario de historia de España, Revista de occidente Madrid*
(2 Tomos) Madrid, 1952.
- 15 - *Dazy : R.*
A. Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant
le moyen age. (2 vols) troisième édition. Leyde, E.J. Brill, 1881.
- 16 - B. Spanish Islam; A history of the Moslems in Spain. Trans by
Francis Griffin Stokes. London, Frank Cass, 1912, new
impression 1972.
- 17 - C. Scriptorum Arabum loci de Abbadides (3 tomos) Lugdunum,
Batavorum, Apud E.J. Brill, 1852.
- 18 - D. Supplément aux dictionnaires Arabes, Deuxième Édition. (2
vols) Leide, E.J. Brill. 1927.
- 19 - *Encyclopaedia Judaica* (16 vols); 3 rd edition. Jerusalem, Keter
publishing house, 1974.
- 20 - Fernández y González: Don Francisco.
Estado social y político de los Mudéjares de Castilla. Madrid
Imprenta a cargo de Joaquín Muñoz formento, 1866.
- 21 - González Palencia: Angel.
Los Mozárabes de Toledo en los siglos XII y XIII (4. tomos)
Madrid, 1926-1930.
- 22 - *Grayzel: Solomon.*
A history of the Jews. The Jewish publication society of America
1948, revised edition 1968.
- 23 - *Isidro de las Cagigas.*
Los Mozárabes. 2 tomos. Madrid, instituto de estudios
Africanos. 1947. (minorías étnico - religiosas de la edad media
Española - I).
- 24 - *King : P.D.*
Law and society in the Visigothic kingdom, Cambridge univ
press, 1972.

- 25 - *Lea : H.C.*
A history of the inquisition of Spain (4 vols) N.Y. The Macmillan Company, 1906.
- 26 - *Lévi - Provençal : É.*
A. L'Espagne Musulmane au Xème siècle; institutions et vie sociale. Paris, Larose, 1932.
- 27 - B. Histoire de l'Espagne Musulmane (3 vols); nouvelle édition Paris- Leiden, E.J. Brill, 1950.
- 28 - C. Inscriptions Arabes d'Espagne. Paris, Larose, 1931.
- 29 - *Livemore : H. V.*
The origins of Spain and Portugal. London, George Allen & Unwin, 1971.
- 30 - *Menéndez Pidal : Ramón*
The Spaniards in their history. Trans. by Walter Starkie. London, Hollis & Carter, 1950.
- 31 - *Montgomery Watt: W.*
A history of Islamic Spain, reprinted. Edinburgh Univ. Press. 1967. (Islamic surveys - 4).
- 32 - *O'Callaghan: J.F.*
A history of medieval Spain, Cornell univ press, 1975.
- 33 - *Petrus Alfonsi.*
Disciplina Clericalis. Trans by P.R. Quarrie. London, Routledge and Kegan Paul, 1977.
- 34 - *Poliakov : León.*
The history of Anti - Semitism. (3 vols). Trans by Natalie Gerardi. London, Routledge & Kegan Paul, 1974.
- 35 - *Pons Boigues : Francisco.*
Apuntes sobre las escrituras Mozárabes Toledanas. Madrid Est. Tip. De la Viuda é hijos de tello, 1897.
- 36 - *Saavedra : D. Eduardo ,*
Estudio sobre la invasión de los Árabes en España. Madrid El progreso editorial, 1892.
- 37 - *Simonet : D. Francisco Javier.*
A. Glosario de voces Ibéricas y Latinas usadas entre los Mozárabes. Madrid, Establecimiento tipográfico de fortanet, 1888.

- 38 - B. Historia de los Mozárabes de España. memorias de la Real Academia de la Historia Tomo XIII. Madrid. Est. Tip de la Viuda é Hijos de m. Tello, 1897-1903.
- 39 - *Steinsneider: Moritz.*
Die Arabische Literatur der Juden, ein Beitrag zur Literaturgeschichte der Arabes, grossenteils aus Handschriften Quellen. Frankfurt, Verlag von J. Kaufmann, 1902.
- 40 - *Van Koningsveld: P. S.J.*
The Latin Arabic glossary of the leiden universty library. A contribution to the study of Mozarabic manuscripts and literature. Leiden, New Rhine publishers, 1977.
- 41 - *Waxman: Meyer.*
A history of Jewish literature from the close of the bible to our own days, 4 vols, 2nd edition. N.Y.Bloch Publishing company. The Jewish book concern, 1938.

دوريات :

مقالات باللغة العربية :

- ١ - الأملواني : عبد العزيز .
للفاظ مغربية في كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة
معهد المخطوطات العربية م . ٣ . ج ١ شوال ١٣٧٦هـ-مايو
١٩٥٧م ص ١٢٧-١٥٧، م ٣ ج ٢ ربيع الثاني، ١٣٧٧هـ، نوفمبر
١٩٥٧م، ص ٣٥٨-٣٢١ .
- ٢ - العبدلي : أحمد مختار .
(أ) الإسلام في أرض الأندلس اثر البيئة الأوروبية. عالم الفكر،
م ١٠ ع ٢، ١٩٧٩م، ص ٣٤٣-٣٩٤،
٣ - (ب) من فترات العري الإسلامية نماذج لأهم المصادر العربية
والحوادث الإسبانية التي تأثرت بها، عالم الفكر، م ٨ ع ١، ١٩٧٧م،
ص ٣٩-٨٨ .
- ٤ - مكسي : محمود علي .
مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي مع نص الجزء الأندلسي
من تاريخ عبد الملك بن حبيب. مجلة المعهد المصري للدراسات
الإسلامية م ٥ ع ١-٢، ١٩٥٧م ص ١٥٧-٢٤٨ .
- ٥ - مؤنص : حسين .
(أ) أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه التصاري ولم
يهاجر للتشريشي ، وهو جزء من المعيار المغرب. مجلة المعهد
المصري للدراسات الإسلامية بمطريذ، م ٥ ع ١-٢، ١٩٥٧م
ص ١٢٩-١٩١ .

٦ - (ب) تطور العمارة الإسلامية في الأندلس. حوايات كلية الآداب
جامعة إبراهيم باشا الكبير م ١٩٥١م.

Periodicals, Essays in Foreign Languages :

- 1 - *Cutler : Allan*
The ninth century Spanish martyrs, movement and the origins of
Western Christian missions to the Muslims. The Muslim world,
Vol. LV, N.4 1965, pp. 321-339.
- 2 - *Dunlop : D.M.*
Hafs b. Albar; the last of the Goths. Journal of the royal Asiatic
society of Great Britain and Ireland. 1934, pp.137-151.
- 3 - *Fernando de la Granja*
Fiestas Cristianas en Al-Andalus; materiales para su estudio, al-
Andalus vols XXXIV fasc 1, 1969 pp. 1-53 XXXV fasc 1, 1970
pp. 119-142.
- 4 - *Murphy : Francis.X.*
Julian of Toledo and the fall of the Visigothic Kingdom in Spain.
Speculum, vol. XXVII n.1, January 1952, pp. 1-27.
- 5 - *Waltz : James:*
The significance of the voluntary martyrs of the ninth century
Cordova. The Muslim World vol. LX. 1970, n.2, pp. 143-159,
n.3, pp.226-236.

كتب أخرى للمؤلف

- صقر قريش: عبد الرحمن الدخيل. القاهرة ١٩٦٨ (أعلام العرب - ٧٦) نقد.
- عن العرب والبحر. القاهرة. ١٩٨٩.
- أنشيدات. القاهرة. ١٩٨٩.

رقم الإيداع ١٩٩٣/١٥٤١
I.S.B.N. 977-00-6394-0

المطبعة الإسلامية الحديثة

٤٢ (١) ش دار السعادة - حمية الزينين
القاهرة - ت ٨٥٥٨ ٢٤